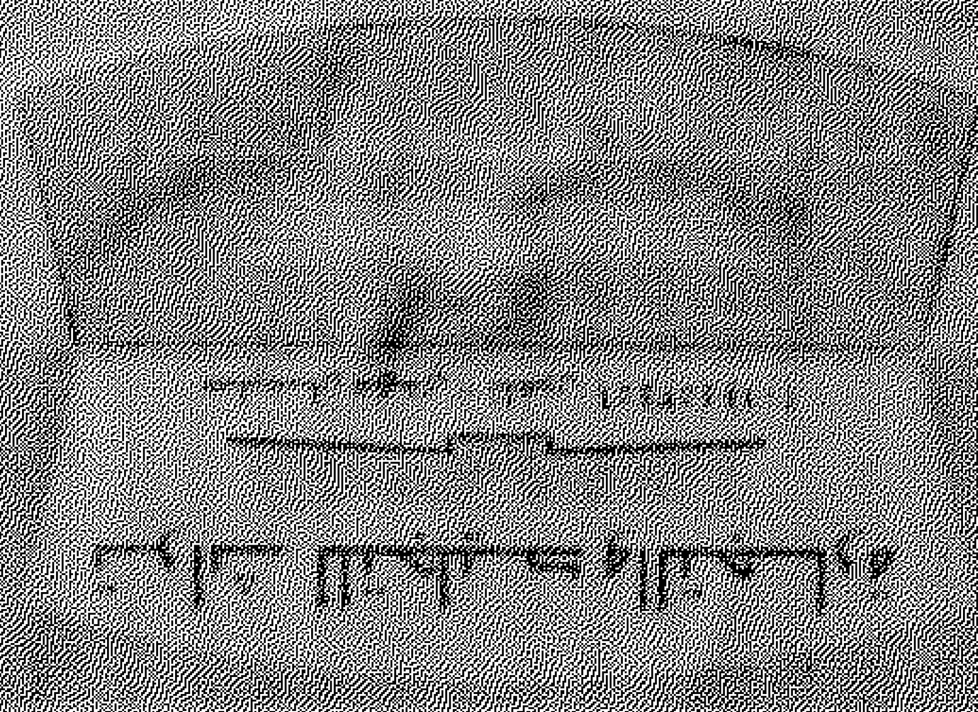
الجماعات الإسلامية

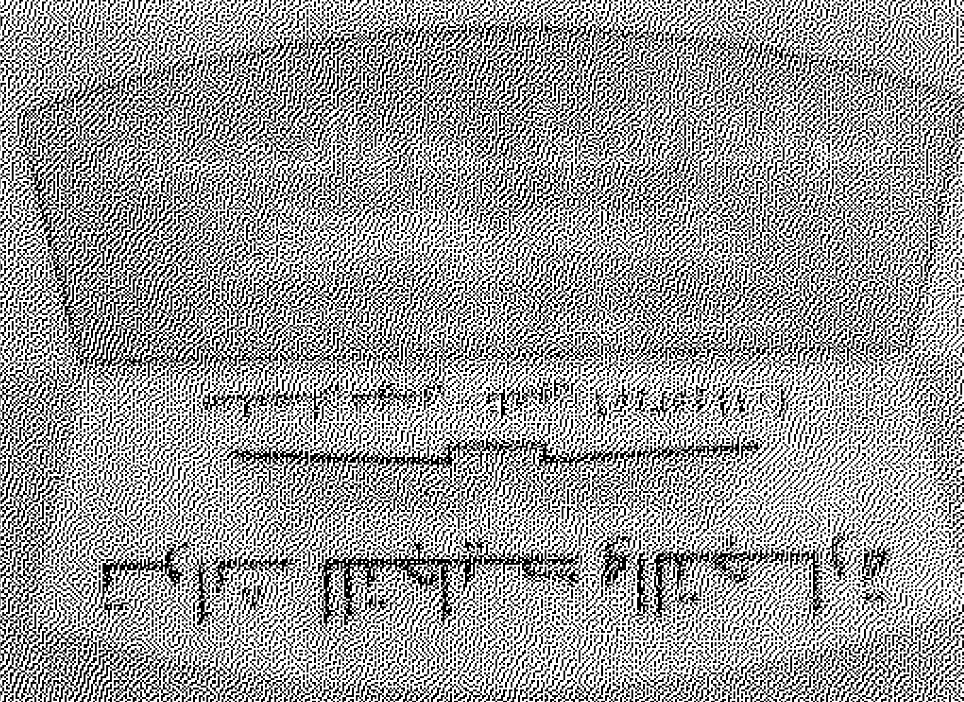
محاولة استنساخ الأمة

د. أحمد راسم النفيس



دار المحجة البيضاء





الجماعات الإسلامية

محاولة استنساخ الأمة

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب.: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

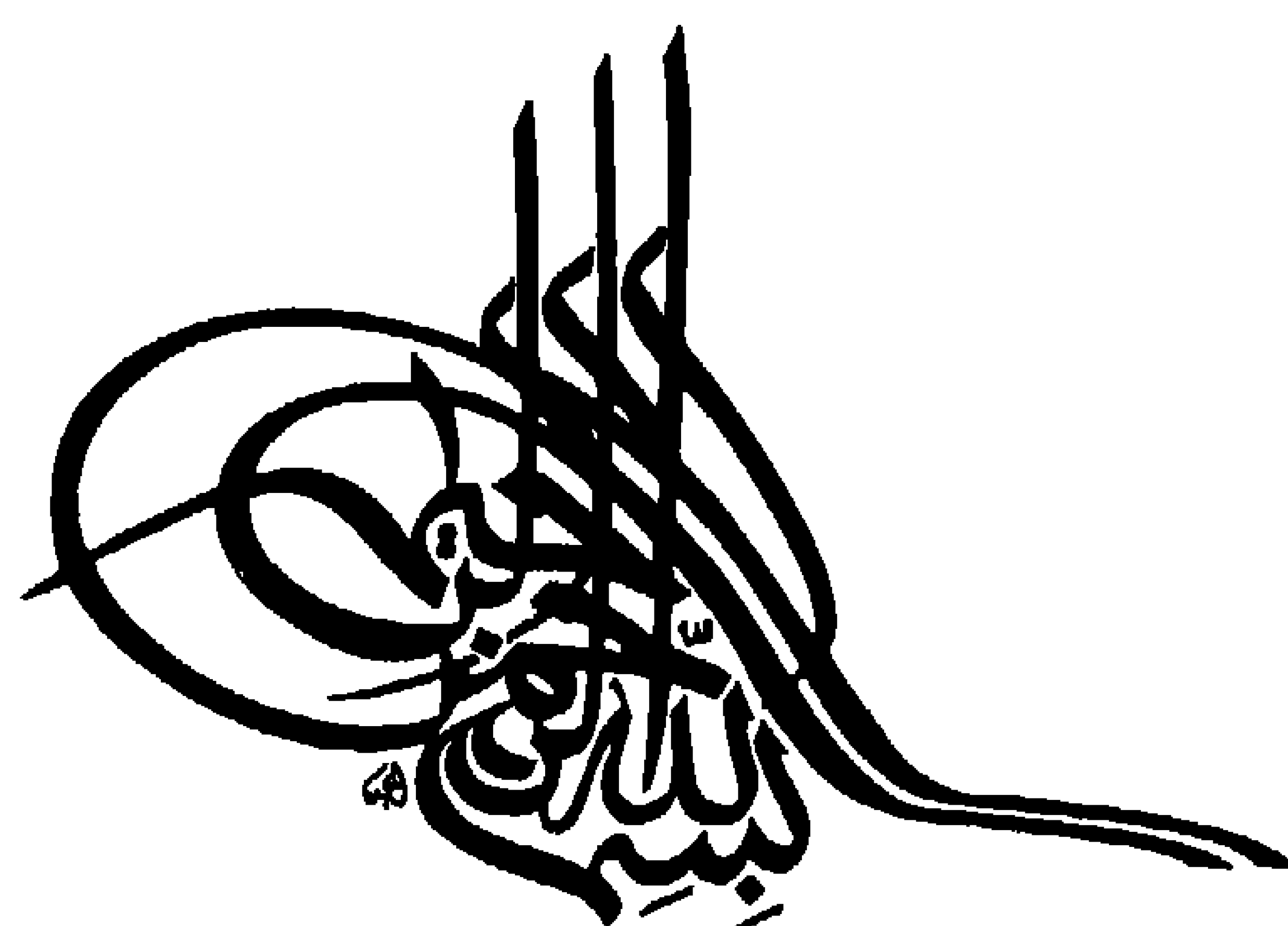
الجماعات الإسلامية

محاولة استنساخ الأمة

تأليف

د. أحمد راسم النفيس

دار المحجة البيضاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بين يدي هذا الكتاب

السائر على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعة لم تزده شدة السير إلا بعدا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[١].

هذا هو شأن كل من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه جعل على بصره غشاوة.

ويزداد الأمر خطرا حينما يكون الخلاف حول الدين وحين يكون خصومك في الرأي من ذلك الصنف الذي لا يتورع عن استخدام أي نوع من الأسلحة في معركته ضد من يعتبرهم أعداء لهذا الدين وفقا لتصوره بعد أن صارت الجماعة هي الدين وصار الدين موجودا داخل الجماعة حصرا. خاصة بعد أن أعلنت الجماعة امتلاكها للفهم الشامل الكامل للإسلام بوضع اليد ومن يومها أصبح توجيه النقد للجماعة، التنظيم هو عدوان صريح على الدين والإسلام والمسلمين ومما زاد الطين بلة أن الكثير ممن هاجموا تلك الجماعات إنما فعلوا ذلك من منطلق العداء للدين ذاته أو أنهم بسبب فرط جهلهم لم يفلحوا في التمييز بين نقد هذه الجماعات ونقد الدين ذاته مما أكسبها سمعة المدافع الوحيد عن الدين في وجه أعدائه.

---

(١) سورة البقرة، الآيتين: ١١، ١٢.

الأمر الثاني: هو أن تلك الجماعات التنظيمات ولإثبات صحة نسبها الزائف والمنتحل ادعت أنها الممثل الشرعي والوحيد (لأهل السنة والجماعة - الفرقة الوحيدة الناجية من النار) تلك الأكذوبة الخالدة وهي أكذوبة لأنه لا أحد من هذه الفرقة ولا غيرها بإمكانه الجزم بنجاته من النار وهي خالدة لأنها من صنع وابتكار المؤسسات الكهنوتية التي أرادت ونجحت في تزييف وعي الأتباع ودفعهم للانقياد الأعمى للمؤسسة ومنعهم من البحث الحر عن الحقيقة خارج الأسوار رغم أن هذه المؤسسة باعت الدين والأتباع للسلطة وأهلها بثمن بخس دراهم معدودة.

المهم فقد انتشرت فجأة على الساحة الإسلامية تلك التنظيمات التي تدعي كلها ادعاءات متشابهة بل ومتنافسة يدحض بعضها بعضا في حقيقة الأمر. وانتهى مهرجان الادعاءات بعدة أمراء للمؤمنين كلهم يزعم أنه واجب السمع والطاعة وأنه من مات وليس في عنقه بيعة لذلك الغلام في الجزائر أو أفغانستان أو ذلك الشيخ في القاهرة أو السودان مات ميتة جاهلية وسيدخل النار والمهم أن كل هذا قد جرى بموجب الانتماء لأهل السنة والجماعة التي يفترض أنها فرقة وحيدة متوحدة وان هؤلاء الأماجد هم ورثتها الشرعيون!!!.

لا بأس فهكذا قالت لنا المؤسسة الكهنوتية (أغمض عينيك واتبعني أدخلك الجنة ولن تمسك النار إلا أياما معدودة.. تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!!!.

يبقى الجانب الأهم في رؤيتنا لواقع تلك الجماعات. وهو الأمر الذي يخصنا وتحديدا طبيعة العلاقة بين تلك الجماعات

والمجتمعات الإسلامية التي تعيش فيها وهل هي علاقة جدل سياسي وفكري صحي أم أنها علاقة تناقض واضحة أو خفية. وربما كان التناقض الخفي أشد خطورة من التناقض الواضح والمعلن، فلو كانت هذه الجماعات أو التنظيمات تقتصر في مهمتها على توجيه عملية التغيير الاجتماعي من خلال أطروحاتها الفكرية والسياسية لما كان هناك من تناقض حقيقي مهما كان رأينا فيما تطرحه من مواقف وآراء وهو حق طبيعي لكل إنسان يعيش على ارض الوطن مسلما كان أمْ غير مسلم.

أمّا أن تدعي فئة أو مجموعة من البشر كبيرة كانت أو صغيرة حق التصرف فيما هو شأن عام لمجموع الأمة. ونعني من بين ما نعني قضية وجود هذه الأمة. أما ما يسمى (بالجماعة) فضلا عن قضية الإمامة، أي إمامة كل الأمة فتلك هي الكارثة التي ما بعدها كارثة وهو ما سنبينه في هذا الكتاب.

وهناك شأن آخر على صلة وثيقة بالأمرين السابقين ألا وهو أدوات الصراع السياسي المستخدم من قبل تلك الجماعات التي تطلق على نفسها وصف الشمولية وهو ادعاؤها الحق في استخدام أي وسيلة لفرض الذات طالما هي قادرة على استخدامها وتبريرها من خلال أجهزتها التبريرية الناشطة والتي تستغل جهل الجماهير من الأصدقاء والخصوم على حد سواء بحقائق التاريخ المعاصر لتلك الجماعات الذي لم يجف مداده بعد.

فهاهو المستشار الهضيبي المرشد السابق لتلك الجماعة وفي معرض إجابته على سؤال وجه إليه: (البعض أخذ على الإخوان أنهم دخلوا النقابات بمفهوم المغالبة. وليس المشاركة بمعنى أنهم

يحصلون على كل المقاعد في مجلس النقابة الأمر الذي لا يتيح لتيارات سياسية أخرى فرصة المشاركة) فارتدى السيد المستشار مسوح الديمقراطية وقال: (عندما نجح توني بلير في الانتخابات وأراد تشكيل الوزارة هل عين بها أحدا من حزب المحافظين أم أنها كانت كلها من حزب العمال) وانطلق المستشار الراحل يعطي محدثه دروسا في الديمقراطية قائلاً: (الحياة النيابية أساسها أن الناس تنتخب وتختار ومن يتم اختيارهم يكونون هم أصحاب القرار فإذا جاءت إرادة الانتخابات بمجموعة فيجب أن تتولى هي العمل أما التباكي على عدم التمثيل في النقابة فهو بكاء التماسيح)[1].

ما قاله السيد المستشار يمكن أن يكون صحيحا من ناحية الشكل الديمقراطي وخاصة إذا تعلق الأمر بالمنافسة بين الأحزاب السياسية أو الجماعات المتماثلة من ناحية النوع.

فالانتخابات عادة ما تجري بين أحزاب أو كيانات سياسية وليست دينية. فالحزب السياسي يمثل عادة مجموعة من الأفكار الاجتهادية وهو يمثل قطاعا من أي فئة أو حتى من أصحاب أي دين يلتفون حول برنامج حزبي سياسي ولا يمكن لأي حزب أن يزعم لنفسه امتلاك تلك المنظومة الشاملة من الأفكار التي تزعم تلك الجماعة امتلاكها هذا من الناحية السياسية.

أما من الناحية التنظيمية التمثيلية فما يقوله المستشار الراحل عن ديمقراطية الإخوان وعن حقهم في دخول اللعبة السياسية (وهو حق لا ننكره ولا ننادي بمصادرته) ينطبق أيضا على بقية الجماعات مثل الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة التي تتجاهل

(١) كتاب الإخوان المسلمون ٦٠ قضية ساخنة.

مصيرها الجماعة الأم وتنادي بحقها هي دون حقوق باقي الإخوة الذين ساروا على دربهم واهتدوا بهديهم في التنظيم والتكوين. . . والسؤال هو. . هل يرى الإخوان المسلمون أنفسهم مجرد حزب سياسي يمكن له التنافس مع بقية الأحزاب على قدم المساواة كما يفعل حزب العمال البريطاني في مواجهة حزب المحافظين؟؟.

الجواب معروف ولا بأس من تذكير القوم بالمأثور عن إمام الجماعة (عفوا إمام الأمة حسب رؤيتهم) والذي ما زال البعض يصر على اعتبار منهجه هو المنهج القويم وصراطه كان الصراط المستقيم وأن الانحرافات التي تمارسها الجماعة في ثوبها المعاصر جاءت بسبب انحرافها عن منهج (الإمام المؤسس).

يقول (إمام الإخوان) : **«أيها الأخوان بل أيها الناس أجمعون لسنا حزبا سياسيا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا ولسنا جمعية خيرية إصلاحية ولسنا فرقة رياضية ولكننا أيها الناس فكرة وعقيدة . . نظام ومنهاج لا يحده موضع ولا يقيده جنس ولا يقف دونها حاجز جغرافي نحن أيها الناس ولا فخر أصحاب رسول الله وحملة رايته من بعده ورافعو لوائه كما رفعوه وناشرو لوائه كما نشروه وحافظو قرآنه كما حفظوه ورحمة الله للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين»**[1].

«أيها الأخوة إنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس وإنكم العقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل وإنكم دعاة الإسلام وحملة القرآن وصلة الأرض بالسماء

(١) مجموعة رسائل حسن البنا: ص ١٩٧-١٩٨.

وورثة محمد ﷺ وخلفاء صحابته من بعده وبهذا فضلت دعوتكم الدعوات وسمت غايتكم على كل الغايات»[(١)].

الله أكبر الله أكبر كل هذه الصفات في جماعة أنشأها حسن البنا عام ١٩٢٦ أي بعد عصر النبوة بثلاثة عشر قرن!!!.

الله أكبر ما كل هذه العظمة؟؟ وإذا كان الإمام المؤسس صاحب هذا الكلام الدعائي الفخم الضخم هو من علم أصحابه التواضع والإخبات لرب العالمين فمن ذا إذا علمهم الغرور الزائف والانتفاخ من دون معنى ولا مبنى؟؟!!.

إن هذا المنطق الذي ورثه الأخوان عن إمامهم هو المسئول الأول عن أغلب ما لحق بهم من كوارث ارتبطت بنهجه هو وسياساته مباشرة. لا بأخطاء ارتكبها من جاءوا بعهده وهو في نفس الوقت الذي أعماهم عن مراجعة ما وقعوا فيه من أخطاء دفعتهم لإلقاء كامل المسئولية دائما على خصومهم السياسيين مثل جمال عبد الناصر رغم أنه خرج من بين صفوفهم.

والأغرب من هذا أن هذه الخطب التي يصف فيها الإمام أتباعه ومن ثم نفسه بتلك الصفات تمثل نموذجا فاضحا من نماذج الغلو والتطرف الذهني ولو أننا وصفنا أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بشيء من هذه الصفات رغم اتصالهم المباشر والواضح بالدوحة المحمدية الباسقة لجرى وصفنا بالغلو والتطرف والكفر والإلحاد.

وإذا كانت هذه هي رؤية إمام الأخوان لأتباعه أو لصحابته فمن يكون خصومهم السياسيين سوى أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان (رضي الله عنه!!).

(١) مجموعة رسائل حسن البنا: ص٢١٠-٢٠٢.

وهل كان من الممكن أن يقبل الصحابة الأولون بالتنافس الديمقراطي مع مَن حاول أن يصدهم عن دين التوحيد أو مع أحفادهم العلمانيين؟؟!!.

وبالرغم من تلك الصبغة الأسطورية التي حاول إمام الجماعة أن يضفيها على تنظيمه وقد نجح بالفعل في بث هذه الخرافات في عقولهم فنراه عندما يتحدث في شئون السياسة ينحو منحى واقعيا وإن لم يكن عقلانيا محاولا إخلاء الساحة من منافسيه عبر إقناعهم بإخلاء الساحة من كل من عداه من الأحزاب والأفكار فهو وحده (حامل ميراث النبوة... اللواء والقرآن) فنراه يقول: «**ويعتقد الأخوان أن الحزبية قد أفسدت على الناس حياتهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم (؟؟!!) ومزقت روابطهم وكان لهم في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر ويعتقدون كذلك أن النظام البرلماني في غنى عن نظام الأحزاب بصورته الحاضرة في مصر وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك في الإمكان (...).**

«**كما يعتقد الأخوان أن هناك فارقا بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة وهو ما يوجبه الإسلام وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هذا الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه اشد التحريم**»[١].

(١) مجموعة رسائل حسن البنا: ص١٤٦-١٤٧.

أما أن إلغاء الحياة الحزبية واتباع سياسة الحزب الواحد القائد والرأي الواحد السائد، هو أمر في الإمكان فقد تبين صحة كلام غمام الأخوان بعد ذلك عندما نجح تلاميذ الإمام من ضباط الجيش في الانقلاب على النظام الدستوري القائم في مصر آنئذ وحل كل الأحزاب وحققوا أمنية (الإمام) ومن يومها إلى يومنا هذا فنحن ما زلنا نعيش (أزهى عصور الديمقراطية التي تمناها لنا ذلك الإمام!!).

أما عن رؤية (الإمام) السياسية للديمقراطية والشورى التي تكشفها تلك السطور المعبرة فلا تحتاج إلى شرح ولا تفسير إذ أنه يرى الشورى غير ملزمة كونها تزعزع سلطان أسيادنا من الحكام وهو (ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم).

ولكن عن أي إسلام يتحدث الإمام؟؟.

إنه يتحدث عن إسلام ابن حنبل وابن عبد السلام وغيرهم من وعاظ السلاطين الذين يرون وجوب السمع والطاعة للحاكم المتغلب برا كان أو فاجرا ما لم يأمر بمعصية أو يأت بكفر بواح، إلى آخر تلك الترهات التي جعل منها القوم دينا يدينون به.

أي أنه كان يسعى للإطاحة بديمقراطية ناشئة من أجل أن يأتي بديكتاتورية تحكم باسم الدين ولكن أي ديكتاتورية أرادها (الإمام)؟؟.

الجواب سنراه في أحداث ١٩٥٤.

لم يتوقف إمام الإخوان في سعيه الدؤوب للإطاحة بالتعددية السياسية عند حدود الأقوال. بل تخطاها إلى الأفعال التحريضية عندما تقدم وفدا من (المصلحين) السائرين على نهجه «فطلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج في هيئة شعبية

واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام» وهو يردد «أن الأخوان يعتقدون من قرارة أنفسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن)[١].

أي أن الإمام كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه ناسيا أن المناخ الذي سمح له بالتجرأ على المطالبة بحل الأحزاب وتشكيل هيئة من (المصلحين) تتوجه إلى (فاروق الأول ملك البلاد).

كان مناخ التعددية الذي سمح له ولأتباعه من بعده باستمراء ثقافة القتل والتحريض وأنه هو وجماعته هم خير من انطبق عليهم كلامه واتهامه **(التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هذا الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه اشد التحريم).**

فالمشكلة لم تكن يوما ما في التعددية الحزبية ولا تعددية الآراء التي يمكن من خلالها تبين وجوه الآراء ومعرفة وجه الخطأ من الصواب، بل في ثقافة التحريض على القتل التي أتقنها هذا الصنف من البشر والتي تسببت بعد ذلك في قتله (رأسا برأس) وانتهاء وجودهم كجماعة منظمة مسلحة تنظم المسيرات وتجيش الجيوش ولكنهم وللأسف الشديد لم يذهبوا إلى الحفرة بمفردهم بل أخذوا معهم كل الحريات التي كانت موجودة آنئذ ولا زلنا في انتظار الفرج الإلهي حتى نخرج من هذا النفق المظلم.

ذهب إمام الإخوان إلى ربه وترك لنا تركة مثقلة من هؤلاء

(١) مجموعة رسائل حسن البنا: ص١٤٦-١٤٧.

الأتباع الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والذين بقوا بعد رحيل إمامهم المؤسس يخططون في الظلام من أجل قلب نظام الحكم وتحقيق وهمهم في إقامة دولتهم.

ودونكم شهادة أخرى تكشف عن تعاسة هؤلاء القوم وتعاسة أمة ابتليت بهذا النمط الفكري إنه الأستاذ صلاح شادي في كتابه يروي لنا دورهم في الانقلاب على الديمقراطية فيقول: **(وتمضي بنا أحداث الكتاب لتقدم لنا جانبا آخر من عظمة تلك الجماعة عندما تصارعها مظالم عبد الناصر وهي مظالم لم تنل رجالها وحسب بالقهر والقتل والتعذيب وإنما تناولت بالتشويه مواقفها من الأحداث فقد تنكر عبد الناصر ومعه ثمانية من أعضاء مجلس قيادة الثورة لبيعتهم مع الإمام الشهيد والصاغ محمود لبيب وعبد الرحمن السندي بعد نجاح الحركة في الوقت الذي تأخر فيه موعد قيامها في يوليو ١٩٥٢ يوما في انتظار موافقة المرشد حسن الهضيبي الذي ذهب نفر من الأخوان إلى الإسكندرية للحصول على موافقته.. كل هذه الوقائع وغيرها أسدل عليها ستار من التعتيم حتى لا يظهر موقع الأخوان من هذه الحركة وحتى يتيسر لقادتها التحرر من كل قيد حتى ولو كان هذا القيد عهدا مع الله يقوم على حكم مصر حكما إسلاميا رشيدا بعيدا عن سلطان الغرب والشرق على حد سواء)**[1].

ولا أدري من هو المسئول عن إسدال الستار على هذا الارتباط بين الحركتين بدلا من إعلان الحقيقة ووضع المسئولية على عاتق الفاعلين الأصليين (أي الأخوان المسلمين) وهم من ارتكبوا في حقنا هذا الجرم البشع. ولا شك أن تبجحهم بدورهم يعني أنهم لا

(١) صفحات من التأريخ - حصاد العمر: ص١٣.

يميزون بين الخطأ والصواب ولا بين ما يضر الناس (وأولهم هؤلاء المتبجحين) وبين ما ينفعهم.

ولا شك أن هذا التعتيم قد أفاد الأخوان ظنا من جماهيرنا المغيبة عن الوعي أن المعركة بين الإخوان وشركاؤهم من العسكر كانت بسبب قرار مفاجئ بالانقضاض على الإسلام ورموزه في الأرض أي الإخوان وليس صراعا على السلطة بين الجماعة وشركاؤهم من العسكر.

ولذا تبدو الضرورة ملحة لكشف الجذور الفكرية لتلك الجماعات لنثبت أن كل ما بني على باطل فهو باطل وأن الزبد لا بد له أن يذهب جفاءا وأما ما ينفع الناس فلا بد له أن يمكث في الأرض.



الجماعات الإسلامية
محاولة استمساخ الأمة الإسلامية

نظرة عامة على واقع الأمة الإسلامية

تختلف النظرة التحليلية لواقع الأمة الإسلامية باختلاف طبيعة المحللين ومواقفهم الفكرية والأخلاقية فهناك من يبالغ في قبول الواقع الراهن كما هو لدرجة الانبطاح أمام كل منجزات السلطة أيا كانت هذه السلطة حتى ولو كانت تغير مواقفها مرتين في السنة الواحدة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين والعكس. وهناك أيضا من يبالغ في رفض هذا الواقع حتى ولو أدى به هذا إلى تكفير الناس واعتزالهم تمهيدا لسفك دمائهم.

إن هذا التفاوت الواضح والملموس في مواقف الناس ورؤاهم السياسية إنما هو فرع على تصورهم للواقع وكل هذا ينبني على قراءتهم لتاريخ الأمة الإسلامية الذي بدأ قبل أربعة عشر قرن من الزمان ويمكننا أن نلخص هذا الجدل الدائر في مدرستين:

المدرسة الأولى:

١ - روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآن قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ

قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاَتِ، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ! وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيق وَاحِد لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ؛ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لانَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَة، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ العُقُوبَةَ السَّيِّئَةَ. وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ

الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأجْرَبِ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ؛ فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ)(١).

٢ - كما روى الشريف الرضي في النهج عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن رجلا قام إليه فقال: (أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: إنه لما أنزل الله سبحانه قوله تعالى «آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها. فقال: يا علي إن أمتي سيفتنون بعدي فقلت: يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحُيِّزَت عني الشهادة فشق ذلك عليّ فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر. وقال يا علي إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت: يا رسول الله بأي المنازل أنزلهم عند ذلك أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟؟ قال بل بمنزلة فتنة»(٢).

(١ - ٢) نهج البلاغة/ خطبة ١٤٧.

٣ - وقد روى ابن أبي الحديد نفس الرواية باختلاف بسيط عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وانّي رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون ما أشهد. قال: على الإحداث في الدين وهم مخالفون للسنة. فقلت: يا رسول الله إنك كنت قد وعدتني الشهادة قال فيستتشهد وتضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذن؟؟ قلت يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال: أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت: يا رسول الله لو بينت لي قليلاً. فقال: إن أمتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال. فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ أنا على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: يا رسول الله بأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة. فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا قال: بل منا بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ألف بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله)(١).

(١) شرح النهج/ ج:٢ ص ٤٦١-٤٦٢.

٤ - كما روى الشريف الرضي في نهج البلاغة خطبة ١٥٠:
«حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأعقاب، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَة، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِب فِي غَمْرَة، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّة مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِع إِلَى الدُّنْيَا رَاكِن أَوْ مُفَارِق لِلدِّينِ مُبَايِن».

٥ - روى عليه السلام الشريف الرضي في نهج البلاغة خطبة ١٥١ عن الإمام علي بن أبي طالب قال: «أَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاعْتِصَام مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ لاَ يُوازَى فَضْلُهُ، وَلاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلاَدُ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرة وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ!

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بِوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّة، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَة جَلِيَّة، شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلاَمِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلاَمِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بالْعُهُودِ!

أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَد بأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ في دُنْيا دَنِيَّة، وَيَتَكَالَبُونَ عَلى جِيفَة مُرِيحَة، وَعَنْ قَلِيل يَتَبَرَّأُ التَّابعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبِغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَة، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَة، وَتَخْتَلِفُ الأهواء عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الآراء عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَة! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الأمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينَ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، يَهْرُبُ مِنهَا الأكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الأرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاق! تُقْطَعُ فِيهَا الأرحام، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإسلام! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!».

٦ - نهج البلاغة خطبة ١٥٢ : «فَقَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لاَمِعٌ، وَلاَحَ لاَئِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْم قَوْماً، وَبِيَوم يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَر انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ. وَإِنَّمَا الأئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ منْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ خَصَّكُمْ بالإسلام، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذلِكَ لأنَّهُ اسْمُ سَلاَمَة، وَجِمَاعُ كَرَامَة، اصْطَفَى

اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْم، وَبَاطِنِ حِكَم، لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لاَ تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِحِهِ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي».

٧ - نهج البلاغة خطبة ١٥٤: «قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.

نَحْنُ الشِّعَارُ والأصحاب، وَالْخَزَنَةُ والأبواب، [وَلاَ] تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً. فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخرة، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ.

وَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْم كَالسَّائِرِ عَلَى غيْرِ طَرِيق، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!».

٨ - نهج البلاغة خطبة ١٥٨: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَة مِنَ

الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَة مِنَ الأمَم، وَانْتِقَاض مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ. فَعِنْدَ ذلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّماءِ عَاذِرٌ، وَلاَ فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَل، وَمَشْرَباً بِمَشْرَب، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَم، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الآثام. فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنَخَّمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَلاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ!».

٩ - نهج البلاغة خطبة ٩٧: «وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاك يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاك يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَة فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ ﴿ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

١٠ - نهج البلاغة خطبة ١٠٧ : «مَا لي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاح، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاح، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَح، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاح، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عُمْيَاً، وسَامِعَةً صُمَّاً، وَنَاطِقَةً بُكْماً! رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَة كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الأدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتَخْلاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ. أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُون؟ فَلِكُلِّ أَجَل كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَة إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ. فَعِنْدَ ذلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُوم، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ ذلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاض الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ

بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإِسْلاَمُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً».

١١ - شرح نهج خطبة البلاغة ج٢ ١٧١ (ثم التفت عليه السلام يمينا وشمالا فقال ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الرقفة فصار عليهم عارا وشنارا إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول وصدق بملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا وثوابا وما عند الله خير للأبرار وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم) ثم نزل.

الإمام علي وقراءته لمسار الأمة الإسلامية:

إنه علي بن أبي طالب الذي لم تعرف له البشرية بعد رسول الله مثيلا وهيهات هيهات وأين الثرى من الثريا. إنه فارس الإسلام الأول الذي لم تأخذه في الله يوما لومةُ لائم ولا عذل عاذل، وارث

علم رسول الله وابن عمه الذي كان بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعد محمد وزوج سيدة نساء العالمين وخاتم الوصيين لخاتم المرسلين وباب مدينة علم رسول الله وحكمته.

القراءة العلوية لمسار التاريخ الإسلامي وحركة الأمة لم تكن يوما ما مجرد قراءة تنبؤية كما يتوهم القارئ السطحي بل كانت قراءة واقعية استشرافية. إذ أن القراءة الصحيحة والعميقة للواقع تعين على استقراء المستقبل بصورة دقيقة تكاد تصل إلى التنبؤ حتى ولو لم يكن الإنسان على اطلاع بما يحمله اللوح المحفوظ فما بالك إذا كان موصولا بعلم النبوة ويخطها الموصول مع العلم الإلهي.

القراءة السطحية الظاهرية كثيرا ما تأخذ الإنسان بعيدا عن الحقيقة جريا وراء ظواهر الأشياء ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1].

إنه أي المنهج العلوي وحده القادر على تتبع حركة التاريخ في الحاضر كما في المستقبل. وهي رؤية لا تغفل أي بعد من أبعاد التكوين الإنساني أو المجتمعي فلا تغفل الأبعاد المادية من طمع وحرص إنساني، فردي أو جماعي جرى (اكتشافه) بعد ذلك بقرون وتسميته بالصراع الطبقي ولا تعول عليه وحده في تفسير العديد من الظواهر التي برزت خلال حركة المسار الإنساني الإسلامي أو غير الإسلامي.

نرى تشخيصا دقيقاً وواضحاً لكل الأبعاد والدوافع التي حكمت السلوك البشري في التحليل (العلوي) لواقع الأمة ومسارها

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

السياسي والاجتماعي المستقبلي بما فيها البعد القبلي أو العصبي الذي جرى (اكتشافه) بعد ذلك على يد - عبد الرحمن بن خلدون - الذي انهالت عليه الأوسمة والنياشين من قبل أناس لم يتعمقوا يوما في الاطلاع على تراثهم الفكري لأنهم سقطوا في الفخ الأموي الإرهابي الذي مازال منصوبا حتى الآن في قلب الحلبة الثقافية والذي يرغم الكتاب والمفكرين على تجاهل كنزهم الأصيل والإعراض عنه خوفا من الاغتيال المعنوي الذي سيتعرضون له فور اتهامهم بالانحراف العقائدي والتشيع لأهل البيت عليهم السلام. وهو الداء الذي قل من سلم منه من مفكري هذه الأمة التعيسة البائسة الذين ينتظر منهم تغيير الواقع ومجابهة قوى الانحراف والفساد والتضليل، إلا أن أيا منهم ليس على استعداد لمواجهة الفاشية التكفيرية الملتحفة بالدين فترى البعض منهم لا يبالي بمواجهة تهمة اعتناق الأفكار المادية، بينما يبقى حريصا على وصف نفسه بأنه من (أهل السنة والجماعة).

وهكذا فقد رأينا كيف أن كاتبا أو مفكرا يؤمن بالتحليل الماركسي المادي لحركة التاريخ ولكنه يحرص دائما على نفي التهمة الأخطر وهي التشيع لأهل البيت عليهم السلام.

أولا: الخلل البنيوي:

تباينت آراء المسلمين حول مسار تاريخهم فهناك من يرى أن عملية البناء السياسي والمجتمعي قد اكتملت عشية رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا. ومن ثم فهم يعتقدون أن ما جرى يوم السقيفة مثل عملية انتقال طبيعي وهادئ للسلطة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى خليفته من بعده أبي بكر بن أبي قحافة (وهو ما

يعتبره القوم أروع مظاهر الديمقراطية التي لم يشترك فيها إلا ستة نفر من بين آلاف المسلمين. بينما هم يصرون الآن على مقاطعة انتخابات العراق واعتبارها كأن لم تكن بسبب غياب أهل السنة عنها مهما كان عدد المشاركين فيها من غير الفرقة الوحيدة الناجية من النار!!) وأن الخليفة أكمل المسيرة وواصل البناء مقتديا بالهدي النبوي الشريف أي السنّة والقصة مشهورة ولسنا بصدد الحديث عنها.

هذه هي رؤية المدرسة الإسلامية المتغلبة إلا أن هناك من يعتقد أنها رؤية لا تصمد طويلا أمام أي قراءة متفحصة للتاريخ وعلى عكس ما يعتقد هؤلاء فإننا نلاحظ أن هذه المرحلة قد أنتجت مجموعة من التشققات الكبرى في مسار الأمة وكيانها بعد ذلك.

خذ عندك الانشقاق العقائدي الأكبر الذي أحدثه جيش خالد ابن الوليد، الذي فتح باب فتنة لم توصد إلى يومنا هذا عندما قتل من أسماهم بمانعي الزكاة ثم جاء الإعلام الرسمي ليضفي على المتهمين بمنع الزكاة (وهم لم يكونوا حتى من مانعي الزكاة) صفة الردة وجواز قتال أهل القبلة من (مرتكبي الكبيرة) والتي أسس عليها بعد ذلك شيخ الفتنة ابن تيميه فتوى قتال الطائفة الممتنعة وإبادة المخالفين في الرأي والمذهب بعد تكفيرهم وتفسيقهم واغتيالهم معنويا.

والواقع أن (الكبيرة) التي ارتكبها هؤلاء والتي أوجبت سفك دمائهم، لم تزد على تريثهم في إعطاء البيعة للخليفة الأول أبي بكر، الذي كان حريصا على ما يبدو على الإسراع في توطيد أركان حكمه من دون أي تباطؤ حتى لا يتردد غيرهم في إعطاء بيعة الإذعان التي صارت بعد ذلك قانون الحياة السياسية وفقا (لأحكام الشريعة الإسلامية) التي يذرف الأتباع الآن عليها بدل الدمع دما.

فمن أين يأتي هؤلاء بقيم الحرية والكرامة واحترام حقوق الإنسان (فهذا هو ديننا الذي نريد تقديمه للعالم فضلا عن تحسين صورته التي أساء إليها المتطرفون!!).

وإذا كان هذا هو تصور (المعتدلين) ومفهومهم للدين والشريعة والحق والعدل... فما بالك بالمتطرفين؟؟.

خذ عندك الانشقاق الطبقي الذي أحدثه الخليفة الثاني عندما أنشأ طبقة مميزة من المهاجرين حيث نقل الشارح المعتزلي عن أبي الفرج بن الجوزي المحدث في أخبار عمر وسيرته عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: (استشار عمر الصحابة بمن يبدأ في القسم والفريضة فقالوا ابدأ بآل رسول الله ﷺ وذوي قرابته فبدأ بالعباس وفرض له اثني عشر ألفا ثم فرض لزوجات رسول الله ﷺ لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة عليهن بألفين فأبت. فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله ﷺ فإذا أخذت فشأنك واستثنى من الزوجات جويرية وصفية وميمونة ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف. فقالت: عائشة إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهن ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا لكل واحد خمسة آلاف ولمن شهدها من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف. وقد روى أنه فرض لكل واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو الأنصار أو من غيرهن من القبائل خمسة آلاف ثم فرض لمن شهد أحدا وما بعدها إلى الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد رسول الله ﷺ ألفين وخمسمائة وألفين وألفا واحدا إلى مائتين وهم أهل هجر)(١).

(١) شرح النهج/ ج٣ -: ص-١٥٤.

إنه انشقاق طبقي مصنوع. إذ لم يحدث أن أحدا من هؤلاء كان من كبار رجال الصناعة أو من كبار الملاك حتى يقال أن التطور الصناعي قد أوجد طبقة من كبار الرأسماليين يقابلها طبقة عريضة من العمال المطحونين (البروليتاريا)، وربما كان هذا النوع من التمايز الطبقي محسوبا لأصحابه فهم كانوا على كل حال رأسمالية منتجة حتى ولو كانوا في المحصلة النهائية من المستغلين بينما بقي المعيار الأساس للثراء المالي والارتقاء الطبقي في عالمنا الإسلامي هو مدى القرب من السلطة الحاكمة التي بقيت تمتلك أغلب مصادر الثروة وتحابي بها الطبقة الخادمة التي تشكل الدعامة الأولى لبقاء النظام في مقابل ما تحظى به من حق الإثراء غير المشروع وهو ثراء غير مشروع لأنه يعتمد قاعدة (المحاباة والتفضيل) على أساس القرب والتقاء الأهداف السياسية بغض النظر عما يبذله هؤلاء من جهد للصالح العام.

لقد أسس هؤلاء للرأسمالية العربية أي (رأسمالية الطبقة الخادمة للسلطة) التي لم تكن يوما ما رأسمالية منتجة بل رأسمالية طبقة خادمة طفيلية وهو الوضع الذي كنا وما زلنا نعيشه مرورا بالإقطاع المعاصر سواء كان إقطاع آلاف الأفدنة لهذه الطبقة أو إقطاع مارينا ومراقيا أو إقطاع المزايا والاحتكارات اعتمادا لنفس السياسة حيث يمنح من لا يملك من لا يستحق ويترك من يستحق يتضور جوعا ويموت كمدا.

إذن فقد تلقت البناء الإسلامي ضربة مؤلمة مع نهاية المرحلة الأولى التي انتهت بنهاية عصر النبوة والتي مثلت ما يمكن وصفه بمرحلة جمع عناصر ومخطط البناء الإلهي (التنزيل) حيث ترك

رسول الله ﷺ للأمة عناصر البناء الرئيسية المتمثلة في المنهج أو الكتاب والسنة النبوية العملية والرجال المؤمنين بالمنهج، فضلاً عن الأرض والدولة التي شهدت استقرار النموذج الأول للسيادة الإسلامية. ولكن البناء لا يكتمل ولا يتم على وفق المنهج الأصلي إلا إذا كانت القيادة المعينة لإتمام البناء تشكل امتدادا للعقل الذي جاء بالمخطط الأصلي الوارد في التنزيل.

ولكن شيئا من هذا لم يحدث إذ جرى (الانقلاب) على العقل القائد المسئول عن حفاظ البناء في صورته الأصلية التي أرادها صاحب البناء الحقيقي والمكلف بالمرحلة الثانية التي لا تقل أهمية ولا خطورة عن المرحلة الأولى وهو الإمام علي صاحب التأويل الحقيقي وجرى إسناد الأمر لهؤلاء المتخبطين الذين تفننوا في تخريب وتشويه البناء الإسلامي الذي وضع رسول الله ﷺ أسسه.

إنه البناء الذي أشار إليه مولى المتقين في دعائه للرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بَنَاءِ الْبَانِينَ بَنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلاَ نَادِمِينَ، وَلاَ نَاكِبِينَ، وَلاَ نَاكِثِينَ، وَلاَ ضَالِّينَ، وَلاَ مَفْتُونِينَ»[١].

وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام أيضا في الخطبة ١٥٠ التي أشرنا إليها سابقا بقوله: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأعقاب، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ

(١) نهج البلاغة/ خطبة ١٠٦.

الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، **وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ**» فهم قد نقلوا البناء عن رص أساسه وبنوه في غير موضعه.

وهكذا ولانعدام القدرة على التميز لدى (مسلمي صدفة السقيفة) الذّين لا يدركون قيمة التخطيط الواعي الدقيق والذين لا يقدرون عليه إلا الخبراء والعلماء ولا يقدّرون قيمة انتقال أمانة الرسالة من الرسول المصطفىٰ إلى الإمام المجتبى فالأول - جاء بمواد البناء الرئيسية ولبناتها من السماء إلى الأرض ووضع القواعد والأصول. والثاني - كان مكلفا بالإشراف على عملية البناء والإعلاء التي لا تتوقف ما أمَّ نجمٌ في السماء نجما وما طلعت شمس وظهر في الليل قمر، ولأن المراحل الأولى من البناء دائما هي الأخطر إذ أن خللا بمقدار زاوية واحدة أو أقل لدى البدء يمكن أن يحدث ميلا وانحرافا بالغ الخطورة كلما ازداد ارتفاع البناء ويؤدي إلى انهيار حتمي كلما تطاول الأمد كما هو حال بنائنا المفكك الآن والذي ينتظر الانهيار كل صباح ومساء.

نظرة واحدة على الطريقة التي يصف لنا بها هؤلاء تطور البناء المعرفي والاجتماعي والسياسي للأمة الإسلامية تظهر لنا بوضوح اعتقادهم أن كل شيء كان يسير بمحض الصدفة ومن خلال عموم الأمة (أي من دون وجود مخطط مركزي) وإذا أرادوا تجميل (صدفهم) قالوا لك أن الله قيض وأن الله سخر.

فمن يكون أئمة الفقه الأربعة؟؟.

إنهم أناس (قيضهم) الله لإيجاد هذه المذاهب الأربعة!!.

ما هو الدليل على مثل هذا الاصطفاء والتقييض المزعوم وما هو الدليل القاطع على صحة مذاهبهم؟؟!!!.

الدليل هو صحة الدليل!!!.

أنا أريد دليلا أعلى وأقوى من النظر في الدليل الجزئي فعندما يكون الدليل على صحة الرأي الفقهي هو إثبات صحة الدليل يصبح الأمر على طريقة عرف الماء بعد الجهد بالماء.

أنا أسأل عن دليل كلي لا عن دليل جزئي. إذ أن إثبات صحة المذهب الفقهي اعتمادا على صحة الدليل وحده يجعل من كل إنسان فقيها كالفقيه أو فقيها أعلى من الفقيه ولذا فنحن كنا وما زلنا نعيش في فوضى الفقه والأحكام وكل يغني على ليلاه!!.

خذ عندك ما يسمونه بعلم الحديث:

يقولون: أن الله قيض هؤلاء العلماء لحفظ الحديث النبوي!!.

ما هو الدليل؟؟

يقولون لك علم الرجال.

من الذي وضع علم الرجال؟؟.

يقولون لك: أن الله قيض علماء الرجال لوضع علم الرجال!!.

ما هو الدليل على صحة ما يقوله علماء الرجال؟؟.

الدليل هو الدليل وكما يقول علماء المنطق... إذا لزم الدور أي أننا ندور في دائرة مفرغة.

خذ عندك ما يزعمه هؤلاء القوم عن ابن خلدون (واضع علم الاجتماع ومؤسسه الفذ!!) وسترى أن الرجل قد اقتبس كلامه عن العمران من كلام الإمام اقتباسا رديئا ونسبه إلى نفسه بعد أكثر من

ثمانية قرون وهلل له القوم والمهم أن يبتعد سيف الاغتيال المعنوي المصلت على الرقاب والذي يتهدد كل من يرجع إلى باب مدينة علم رسول الله ﷺ.

يزعمون أن رسول الله ﷺ قال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)!!.

لماذا يا قوم؟؟.

لأنهم رأوا رسول الله وسمعوا منه. ورؤية رسول الله تحدث في النفس تحولات بالغة القيمة والأهمية!!.

المنافقون أيضا رأوا رسول الله وسمعوا منه ولم يحدث لهم مثل ذلك التحول!!!.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[1].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2].

وكيف يمكن أن نصدق نسبة كل تلك الكرامات بمجرد الرؤية والسماع ولا نصدق مثلها لأهل البيت وتحديدا للأئمة من آل محمد والدماء الطاهرة لرسول الله ﷺ تجري في عروقهم بل والروح واحدة.

إنه إذن خلل بنيوي عميق يطال العقل ومشتقاته ولا عجب أن يكون هذا هو حال المسلمين.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٦.

إنها أمة تمارس السباحة في البحار والمحيطات من دون خريطة ولا بوصلة ولا منارة هادية وبرغم كل هذا يزعم أولئك السادة المتأنقون أنهم أهدى سبيلا.

إنه خلل بالغ الخطورة كنا ولا زلنا ندفع ثمنا باهظا لارتكابه والإصرار عليه.

الخلل البنيوي الذي عانى منه المسلمون امتد إلى الطريقة التي شكلّوا بها مفاهيمهم الدينية حيث اعتمدوا معايير الورع الزائف والتدين الشكلي كمن سبقوهم من الأمم ممن قالوا: «لن تمسنا النار إلا أياما معدودة» حيث أصبح الولاء للسلطة الجائرة المتسلطة على رقاب المسلمين جزءا من مفاهيم الورع والإيمان. فالذين هدموا الكعبة فعلوا ذلك وهم مقتنعون بأنهم يقومون بعمل عبادي (تنازعت الطاعة للأمير مع حرمة المكان فقدمت الطاعة على الحرمة) والذين قتلوا الحسين بن علي عليه السلام فعلوا ذلك طاعة للأمير ظل الله في الأرض وقد بلغ حال المسلمين مع دينهم درجة من السوء أصبح معها سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شعيرة من شعائر صلاة الجمعة لا تتم الصلاة إلا بها (لا صلاة إلا بلعن أبي تراب) ثم جاء وُضّاع الأحاديث فزادوا طين هذه الأمة بلة بوضعهم الروايات على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحلون بها حرام الله ويحرمون بها حلال الله. حيث جرى تعديل وتغيير أحكام الدين بما فيها المواريث وقواعد الوضوء الواردة في كتاب الله، لا لشيء سوى إرضاء هؤلاء الجبابرة ووضع مكانة أئمة أهل البيت عليهم السلام في أعين الناس، ثم ازداد الأمر سوءا عندما قام وعاظ السلاطين بإصدار الفتاوى السياسية المكفرة لشيعة أهل البيت وتحويلهم إلى أعداء في نظر العوام والجهال من المسلمين!!.

الموقف كله يلخصه الإمام علي عليه السلام في تلك الكلمات التي ذكرناها سابقا «وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيق وَاحِد لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْو: فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لاِنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَة، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً»[1].

ونحن من يومها نعيش في هذا الزمان الذي يعد فيه ا لمحسن مسيئا ويتهم بالانحراف العقائدي ويجري التحريض المتواصل على تجويعه وقتله ويوصف فيه شيخ القتلة والإرهابيين بأنه (شيخ الإسلام) ناهيك عن أن الدين والقرآن قد أصبحا سلعة تباع وتشترى في مزادات السياسة والإعلام. حيث يستأجر الخطباء وتشترى الأقلام وقد أصبح (الكتاب وأهله) منفيان طريدان لا يؤويهما مؤو

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٤٧.

وهما بين الناس شكلا لا موضوعا. وقد جرى بالفعل انتزاع أهم القيم القرآنية من ساحة التطبيق مثل العدالة والكرامة ليحل محلها الظلم والتبعية والتسول وانعدام الكرامة الإنسانية وهذه هي بضاعتهم والويل كل الويل حتى لمن يفكر في الاعتراض.

وسنرى أيضا تشخيصا دقيقا من إمام الحق لتلك الظواهر والمسميات التي جرى إطلاقها وتعميمها بعد ذلك بواسطة إعلام الانقلاب الأموي المناوئ لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذي وصف أولئك الخارجين عن القانون من المنشقين عن قيادة الأمة الشرعية بأنهم أهل الجماعة وهم في الواقع أهل فرقة وانشقاق وتمرد وفساد في الأرض لم يجر حسمه منذ البدء ولم يكن لهم من عقاب (إلا أن يصلبوا أو يقتلوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) فاتسع الخرق وأعيا الراقع حيث (اجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ). إذ لا يمكن وصف أي فئة بصفة الجماعة لمجرد اجتماعهم على هدف ما حتى ولو كان هو السلب والنهب وترويع الآمنين. وسنرى بعد ذلك كيف أن هذه الجماعات المسماة بالإسلامية قد التقت على مجموعة من المفاهيم المتنقلة المتغيرة التي صاغها الأئمة المبتسرون لتلك التنظيمات التي تزعم امتلاكها للفهم الشامل الكامل للإسلام دون بقية العالمين من دون استناد إلى مرجعية هادية تفرق بين الحق والباطل والخطأ والصواب باستثناء تلك الأساليب الدعائية التي ذكرناها من أن (الله قيض وأن الله سخر وأن الله اختار) من دون أن ندري كيف وقع هذا الاختيار. بينما هم يقاتلون باستماتة من أجل نفي وقوع مثل هذا الاصطفاء والاختيار (لأهل البيت) وهم يمثلون الامتداد الطبيعي لشجرة النبوة والدوحة المحمدية الطاهرة. ولذا فالقوم كما قال إمام الحق أصبحوا و(كَأَنَّهُمْ

أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ)[1] أي أنهم ينتقون المفاهيم التي تلائم أهواءهم أولا ثم يقومون بطلائها وتسويقها وتبريرها من القرآن أو مما يقتطفونه من السنة النبوية سواء جاءت هذه المفاهيم من الواقع المنصاع للفئة الباغية المتسلطة أو من رغباتهم وأهواءهم النفسية التي تؤزّهم أزّا لمحاولة انتزاع السلطة ممن استولى عليها بأي طريقة وبأي ثمن.

ومن الطبيعي أن يستخدم هؤلاء كل ما هو متاح من أساليب الدعاية والتلفيق والتزييف للتغطية على تخبطهم وسعيهم الدؤوب المستميت من أجل إزاحة كل من يقف في طريقهم من الواعين سواء عبر الاغتيال المعنوي أو الاغتيال الجسدي (وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَة، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً).

إنه أيضا خلل بنيوي جسيم تعرَّض له المجتمع المسلم الذي أصبح أسيرا (للجماعة المتغلبة) التي جعلت من نفسها علما على الحقيقة والتي منحت نفسها وسام الفرقة الوحيدة الناجية بينما هي تصارع على جبهتين:

الجبهة الأولى: في مواجهة أئمة الحق وصراطهم المستقيم لتخلو لها الساحة، والجبهة الثانية: مع الجماعات المنحرفة المشابهة والمنافسة لها في محاولة امتلاك الساحة واستخدام سلاح القهر والتغلب وفرض المفاهيم، والكل يزعم أنه (أهل للسنة والجماعة) من دون أن يكون لهذه التسمية أي دلالة عدا انحرافها عن موالاة من أمروا بموالاته من أهل بيت العصمة والنبوة. وهكذا فقد

---

(١) كما في نصه عليه السلام في الخطبة السابقة.

تصارعت الجماعات الأموية فيما بينها من أجل الاستيلاء على السلطة والثروة ثم تصارعت بعد ذلك مع الجماعات العباسية ثم تصارع العباسيون فيما بينهم ومع غيرهم. واليوم نرى تكرارا لنفس المشهد وإن بصورة مختلفة حيث نرى تلك الجماعات وكل منهم يدعي امتلاك الحقيقة دون غيره إلا أنهم يلتقون عند نقطة واحدة هي رفضهم الانحياز لأئمة أهل البيت باعتبار ذلك يمثل انحرافا عقائديا.

أي أن أولئك المعتلين المشوّهين يحاكمون الأصحاء ويشُخصّون لهم الدواء ويحكمون على من يشاؤون منهم بالإعدام. (كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية».

مثل ما ادعى قوم لوط أنهم الأسوياء وأن من عداهم هم غير ذلك بل ويتعين عليهم إخراجه ونفيه.

الخلل الثاني الذي وقع لهذه الأمة: الاستبداد السياسي والقمع.

لم يكن أمام هؤلاء المنحرفين من سبيل لإدامة سلطانهم على رقاب الناس إلا عبر الزيف وظهيره الأول الظلم والاستبداد وهكذا أصبح سلاح القمع هو الأسلوب السياسي الأمثل لكل تلك النظم التي حكمت المسلمين باسم الإسلام والإسلام منهم براء. وهكذا أصبح تاريخنا نموذجا للحكم التسلطي ثم دخل فقهاء السلاطين على الخط ليحولوا هذا الواقع الفاسد الذي يقتل فيه الخيار والصالحين إلى دين. واسمع معي ما قاله الإمام:

(وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ

عَقْداً إلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاك يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاك يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ)[1].

أما عن مسار الأمة السياسي الاستبدادي فيتلخص فيما يلي (يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَد بِأَوَّلِهِمْ).

إنها استبدادية وراثية لم تكن تخطر ببال أحد ممن سمع كلام الإمام عليه السلام يومها كما أن أحدا ممن يشيدون بالمشهد الديمقراطي الذي حدث يوم السقيفة ليس بإمكانه أن يفسر لنا كيف حدث مثل هذا الانقلاب والتحول.

لقد كذب القوم على أنفسهم عندما تعاموا عن رؤية هذا الظلم والاستبداد والقهر من اللحظة الأولى لوقوعه ولا زالوا يكذبون ويغطون على جرائم المجرمين من الأولين والأقدمين ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

وكذبوا على الله عز وجل عندما زعموا أن طاعة هؤلاء الجبابرة هي امتثال لأمر الله ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3] ولم يحاول أي من هؤلاء

(١) نهج البلاغة: خطبة ٩٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

الدجالين مصارحة النفس ولا مصارحة الأمة بالحقيقة الواضحة قبل فوات الأوان وقبل حلول الكارثة التي نراها الآن قد نزلت بساحتهم وساء صباح المنذرين. وتعال معي لنكمل مع الإمام وصف المأساة التي لحقت بالمسلمين عندما استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وأَصْفَوا بِالأمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ (فَعِنْدَ ذلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّماءِ عَاذِرٌ، وَلاَ فِي الأرْضِ نَاصِرٌ)(١).

ولسنا في حاجة إلى سرد المزيد فهناك الكثير والكثير في كتب التاريخ.

الخلل الثالث: الانحراف الأخلاقي.

إنه من وجهة نظرنا خلل مركب قائم على ذكرناه سابقا من أخطاء ضربت البنية الأساسية للأمة الإسلامية في مقتل. ومن ثم فلا عجب أن يستشري الانحراف الخلقي فترى المنتسبين إلى الإسلام وهم (يستحلون الحرام بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع) وذلا فلا عجب أن يكون النموذج الأخلاقي السائد هو الآتي (وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ) وعندها تختل الموازين الاجتماعية ويفسد النشأ (فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً) يتميز السفلة من الناس بالثراء الفاحش (وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً) وتصبح الذئبية

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٥٨.

والتوحش هي قانون الحياة والعرف السائد، (وَكَانَ أَهْلُ ذلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً) ويصبح الفقر موتا إذ لا ناصر ولا معين ويصبح الغش والتدليس هو القانون (وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاض الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَبا) ولذا فإن محاولة الإصلاح الأخلاقي بمعزل عما سبقه من أخطاء وجرائم لا يمكن أن تحقق أي إصلاح مجتمعي وكل ما يمكن لها أن تنجح فيه هو إصلاح مجموعات أو أفراد من المجتمع ويبقى الانحراف هو القانون الأصلي السائد في المجتمعات الإسلامية.

الخلل الرابع: خلل المسار.

ولأن الأئمة من آل محمد هم (قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوه) وهم (الشِّعَارُ والأصحاب وَالْخَزَنَةُ والأبواب، وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا)(١) ولأن الأمة أعرضت عن قيادتهم الراشدة واختارت اتباع الأذناب فلا عجب أن يكون الفشل الأخلاقي والسياسي هو القاعدة والأساس لأن السائر على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعة لم تزده شدة السير إلا بعدا (وَالنَّاظِرُ

(١) نهج البلاغة.

بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غيْرِ طَرِيق، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ)[1].

ردّة أم فتنة؟؟

سنرى بعد قليل أن مدرسة السائرين على غير علم ولا بصيرة وأنى لهم العلم والبصيرة ستشخص كل هذه الظواهر أو بعضها «فهي جزء من منظومة الانحراف والتردي» باعتبارها كفرا وردة ولا مخرج منه إلا من خلال ما يسمونه (بالعودة إلى الإسلام) وفي رواية ثانية (إعادة اعتناق الإسلام) من جديد بينما يؤكد لنا الإمام علي بن أبي طالب واستنادا إلى رسول الله ﷺ أنها فتنة وليست ردة شاملة عن الإسلام كما يزعم الخوارج المعاصرون.

الأمر الثاني: هو أن هذا الانحراف جاء بسبب إعراض الأمة عن اتباع منهج أئمة الحق من آل محمد وخاصة بعد أن جعل القوم من انحرافهم المنهجي والأخلاقي أصلا يجري تطويع النصوص المحكمة للتواءم معه حيث أصبحت سياسة قلب الحقائق وتسمية الأشياء بغير اسمها منهجا ثابتا لهؤلاء القوم.

فالعام الذي تمكن فيه ابن آكلة الأكباد من قهر إرادة الخير الجمعي في نفوس أمة لا إله إلا الله سمي بعام الجماعة. كما جرى إطلاق اسم أهل الجماعة على تلك القطعان المهزومة والمأسورة إلى

(١) نهج البلاغة.

يومنا هذا من المسلمين. في حين حظي الثابتون على منهجية الرفض لهذا الغش والخداع بلقب أهل الفرقة المفارقون للجماعة، ناهيك عن الدور القذر الذي قامت به أجهزة الدعاية الأموية من خلال وضّاعّ الأحاديث المأجورين الذين افتروا على الله ورسوله كذبا ووضعوا الروايات لخدمة أسطورة الفرقة الوحيدة الناجية من النار.

إنه مصير لا يختلف كثيرا عن مصير بني إسرائيل عندما دخلوا في التيه.

هذه هي قراءة سريعة لأهم ملامح أزمة الأمة الإسلامية كما شخصّها واستشرفها الإمام علي بن أبي طالب رباني هذه الأمة وباب مدينة علم رسول الله. والهدف منها هو التأصيل لأزمة الأمة الإسلامية المعاصرة التي يزعم هؤلاء المبتسرون أنها بدأت عشية سقوط الخلافة العثمانية وتارة أخرى عشية إنهاء الاحتلال الإنجليزي للعمل بأحكام الشريعة الإسلامي إلى آخر تلك الترهات التي ملئوا بها أذهان الأتباع باعتبارها مُسلّمات ومنطلقات بديهية لتحركهم الثوري من أجل استعادة فردوس الإسلام المفقود. والكارثة الكبرى أن كل ما بني على الوهم لا يمكن له أن يفضي إلا إلى الفراغ والوهم الكبير.

إن التشخيص الصحيح لأسباب أزمة المسلمين هو المقدمة الضرورية للعلاج الصحيح لأمراضها أما التشبث بالأوهام ومحاولة البناء عليها فلا يعدو أن يكون محاولة لبناء قصور من رمال ما تلبث أن تتطاير أمام أول عاصفة تهب عليها.

وهذا هو واقع هذه الجماعات وتجربتها المُرّة التي تأبى أن تتعلم منها.

الرؤية المقابلة

تميز القرن العشرين بظهور عدد من الحركات الإسلامية التي تطرح فكرة التغيير والإصلاح وتداور وتناور حول ثلاثة محاور فكرية رئيسية.

١ - أن العالم الإسلامي يعيش في حالة ردة وانحراف عن (صحيح الدين) منذ (فترة من الزمن!!) اختلفت حولها التقديرات. ما بين قائل (منذ سقوط الخلافة العثمانية) وقائل منذ (انتهاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية). أي أن الأمة الإسلامية لم تعد موجودة بسبب انتهاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية فلا بد من العودة إلى الشريعة كي تعود الأمة من جديد.

٢ - ضرورة إعادة إنشاء الأمة الإسلامية التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية من جديد من خلال تأسيس (الجماعة التنظيم) التي سينضوي تحت لوائها المؤمنون الجدد والتي ستصبح بعد فترة من الوقت هي الأمة الإسلامية الحقيقية أو ما نسميه نحن (استنساخ الأمة الإسلامية) وإن شئت الدقة قلت استمساخ الأمة لأن الجنين الجديد أو الأمة الجديدة نشأت مسخاً مشوهّاً وعاشت قدر ما عاشت مسخاً وما تبقى منها الآن لا يعدو كونه انشطارات مسوخية هي أبشع وأسوأ من كل ما تخيله أشد المتفائلين تفاؤلا بإنجازات القوم.

٣ - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولما كانت المهمتان

السابقتان (الشريعة والأمة) لا تتحققان إلا بوجود قيادة جديدة أو إمامة بديلة كان لا بد من إيجاد تلك الإمامة التي هي قيادة التنظيم التي ستتحول لاحقا لتصبح إمامة عموم المسلمين، رضي من رضي وسخط من سخط وليست هناك مشكلة. إذ أن مياه البحار والمحيطات تشكل أربعة أخماس المعمورة وهي قادرة على تلبية احتياجات كل من لم يرض بهذه القسمة الضيزى.

المحور الأول: العالم الإسلامي يعيش في حالة ردة عن الإسلام.

يؤرخ مؤسس الإخوان الأستاذ حسن البنا لكارثة العالم الإسلامي باعتبار أن سقوط الخلافة العثمانية مثلت الواقعة التي حسمت مصير العالم الإسلامي وساقته إلى الضياع فيقول: (وبهذا الوضع انتصرت أوربا في هذا الصراع السياسي وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام وحذفها سياسيا من قائمة الدول الحية العظيمة)[١].

ويحدد الإمام المؤسس رؤيته التاريخية لمسار الكارثة بدءا من الدولة الإسلامية الأولى فيقول: (على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانا عميقا وتطبقه تطبيقا دقيقا وتنشره في العالمين فالوحدة الاجتماعية كانت شاملة بتعميم القرآن ولغة القرآن والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين تحت لواء الخلافة العامة ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها

(١) رسائل الأخوان المسلمين بين الأمس واليوم ص٥٠.

وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطاق ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاء تاما وصارعت المسيحية حتى انحسر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا)[١].

ثم يعدد (الإمام المؤسّس) العوامل التي أدت إلى التفكك الذي اعترى الدولة الإسلامية والشعب الإسلامي ثم انهيار هذه الدولة بعد ذلك مرتين مرة في القرن السادس الهجري بأيدي التتار ثم كانت الضربة القاصمة في القرن الرابع عشر الهجري وهي:

١ - الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه.

٢ - الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها.

٣ - الانغماس في ألوان الملذات والترف والنعيم والإقبال على المتع والشهوات.

٤ - انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة والأتراك تارة ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه.

٥ - إهمالهم العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية وعلوم خيالية.

٦ - الغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم.

٧ - الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم[٢].

---

(١) رسائل الأخوان المسلمين بين الأمس واليوم.

(٢) المصدر السابق: ص٤٠-٤٤.

إنه كلام إنشائي بليغ سبق به الإمام المؤسّس قناة اقرأ ودروس الشاب عمرو خالد. ولكنه لا يرقى أبدا ليكون تحليلاً عملياً لتاريخ الأمة ومسارها السياسي وأنّى لفاقد الشيء أن يعطيه، ناهيك عن بعض التناقضات التي قررنا أن لا نتجاوز عنها فهو يرى على سبيل المثال أن انتقال السلطة إلى غير العرب كانت من عوامل ضعف الدولة الإسلامية ومن بين هؤلاء غير العرب كان الأتراك ولا ندري عن أي أتراك يتحدث الإمام المؤسس؟؟ هل يقصد الأتراك الذين استعان بهم سلاطين بني العباس ليبطشوا بغير الأتراك من رعايا دولتهم الجائرة فأصبحوا مع مرور الوقت هم الحكام الأصليون ومارسوا ابشع أنواع الشذوذ والانحراف أم الأتراك العثمانيون الذين حكموا العالم الإسلامي قرابة خمسة قرون قادوه من سيئ إلى أسوء ومع ذلك يبكي عليهم الإمام المؤسس وعلى ذهاب دولتهم ويعد ذلك كارثة عظمى لحقت بالإسلام والمسلمين.

وعلى كل حال فلا بأس أن نوجز رؤية (الإمام) التي ترى أنّ تفسخ الأمة الإسلامية قد حدث بسبب عوامل أغلبها داخلي حتى انتهى الأمر بانتصار أوربا على الدولة العثمانية وسقوط الخلافة العثمانية أو الإمبراطورية الإسلامية على حد وصفه. وأيا كانت طبيعة الانحدار تدريجية أو بصورة مفاجئة فقد كان عليه أن يحدد المراحل الزمنية ومن ثم المسئولية عمّا وقع حتى ولو كان ذلك بصورة تقريبية. ولكننا إذا رجعنا إلى حديثه عن الدولة الإسلامية (الأولى) التي كانت تطبق النظام الاجتماعي تطبيقا دقيقا أي بلا انحرافات ولا اعوجاجات فنراه يمد ذلك الأجل إلى فتح القسطنطينية وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوربا[1].

---

(١) رسائل الأخوان المسلمين بين الأمس واليوم ص ٤١.

إنها رؤية لا تختلف عن تلك الرؤية السائدة في عالمنا الإسلامي والتي ترى في الدولة الإسلامية مجرد رقعة جغرافية يحكمها خليفة مسلم ويبسط عليها سلطته القمعية أو الشكلية لا يهم فالمهم هو الشكل وليس المضمون. ولو كان هؤلاء يكترثون بالمضامين لقاموا بتشخيص أزمة الأمة تشخيصا دقيقا ومنذ اللحظة الأولى لانحرافها عن نهج الأئمة من آل محمد.

إنها نفس الرؤية الشكلية التي جعلت رأينا العام الإسلامي يرتاع لسقوط (الخلافة الصدامية) على يد الغزو الأمريكي وقبلها الخلافة العثمانية على يد الغازي أتاتورك في حين كان أغلب هؤلاء ينامون ملء أجفانهم بينما يقوم طاغية بذبح الملايين من الشعب العراقي.

وعلى كل حال فإن مما يُحسب للإمام المؤسس أنه لم يستخدم قاموس المصطلحات التكفيري الذي استخدمه تلاميذه من بعده. مثل: الردة والجاهلية المعاصرة، ولكنه كان واضحا في توقيته لبدء الأزمة أي سقوط الخلافة العثمانية.

سعيد حوى.

إنه منظِّر آخر من منظرِّي الإخوان المسلمين البارزين قبل أن يجري فصله من الجماعة وهو صاحب كتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا) الذي تربى عليه كثير من كوادر الجماعة فماذا قال؟؟.

افتتح الرجل كتابه بطرح سؤال: هل العالم الإسلامي في حالة ردة؟؟ ثم أجاب بقوله (يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾[(١)]. إن هذه الآية نص صريح في الحكم بالردة على كل من أطاع الكافرين ولو في بعض أمره. فالآية اعتبرت مرتداً من أعطى لمن كره ما أنزل الله الطاعة في بعض الأمر. والواقع الذي نرى عليه كثير من ذراري المسلمين أنهم أعطوا الطاعة الكاملة في كل شيء لطبقات من الكفار، مستحلين ذلك غير شاعرين بالكفر أو شاعرين ومنهم من أعطى الطاعة لكافر صريح ومنهم من أعطاها لمنافق والأمثلة أكثر من أن تحصى).

ونمضي مع الأستاذ (سعيد حوى) في محاولاته لتشخيص أزمة العالم الإسلامي وأسبابها المختلفة: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ﴾[(٢)] فهذه الآية صريحة **في تكفير من لم يحكم بما أنزل الله**.. وبعض العلماء يجعلها فيمن يفضلون على حكم الله حكما آخر أو يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله وعلى أي وجه حملنا الآية فإن تطبيقاتها في العالم الإسلامي كثيرة حتى اصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصيلة في كل نظم الحكم الموجودة في العالم الإسلامي تقريبا.

«إنه لا السلطة التنفيذية ولا التشريعات ولا القضاء ولا القوانين ولا اللوائح إسلامية فبماذا نحكم على أصحاب هذا كله؟؟».

«على ضوء ما مر نستطيع أن نقول أن في العالم الإسلامي اليوم ردة أو ترك قليل أو كثير لهذا الدين إلا قليلا ومع وجود مسلمين تركوا ولم يرتدوا فإن طابع الردة هو الذي صبغ حياة العالم الإسلامي على

---

(١) سورة محمّد، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

اعتبار أن أجهزة الحكم كلها تقريبا آلت إلى يد مرتدين أو منافقين أو كافرين أصليين».

«ونتيجة لذلك فقد تم انحسار الإسلام عن الحياة انحسارا **تاما تقريبا»**.

لاحظ العبقرية اللغوية العقلية في الجمع بين «تاما وتقريبا!!!».

ومع كل ما مر فإننا لا نحكم على أغلب المجتمعات التي تشكل أقطار العالم الإسلامي بأنها مجتمعات كافرة لأننا إذا حكمنا بذلك نكون قد اعتبرناها دار حرب ونحن نؤثر أن نتريث في هذا الحكم مع كثرة المرتدين ومع غلبتهم على الأمور لما يترتب على ذلك من أحكام وإنما نستطيع أن نحكم على المجتمعات في أقطار العالم الإسلامي على أنها مجتمعات فاسقة محكومة في الغالب بمرتدين أو منافقين أو كافرين وما نظن أن إنسانا يفهم الإسلام يهوله ذلك الحكم»[١].

أما نحن فنقول ياللهول «وما نظن أن إنسانا يفهم الإسلام كان بإمكانه أن يصدر مثل هذا الحكم باستثناء الخوارج المعاصرين من تلاميذ أمير المؤمنين حسن البنا.

فالرجل لم يكف عن إطلاق مدافعه الثقيلة على الأمة العليلة لأسباب ذكرناها في بداية البحث إلا أنه ولأسباب بعضها إنسانية والبعض الآخر أسباب واقعية نظرا (لكثرة المرتدين وغلبتهم على الأمور!!) فقد تريث في الحكم على أمة لا إله إلا الله بأنها أمة كافرة وليس فيها من يستحق لقب مسلم إلا هو وعصابة الإخوان

---

(١) سعيد حوى/ جند الله ثقافة وأخلاقاً: ص١-١٠.

المسلمين. وهو حتى لم يسمها بالمجتمعات المسلمة بل وصفها بالمجتمعات التي تشكل أقطار العالم الإسلامي.

حنانيك سيدي ورفقا بهذه الأمة المنكوبة بك وبحكامها وشعوبها!.

سيّد قطب:

ثم ننتقل إلى سيد قطب المفكر الأخواني الأبرز بعد مؤسّس الجماعة وهي شهرة ترجع من وجهة نظرنا للخطأ الفاحش الذي ارتكبه الديكتاتور عبد الناصر بإعدامه عام ١٩٦٦م وفي ذروة صراعه مع الإخوان المسلمين بالرغم مما هو ثابت لدينا من أن إعدامه لم يكن بسبب كتاب المعالم فقط وإنما بسبب مشروع للانقلاب العسكري أشرف عليه (المفكر الكبير) وتضمن بعض العمليات التخريبية. مثل تفجير القناطر الخيرية وإغراق منطقة دلتا النيل وتدمير حياة ساكنيها من (الكفار الجاهليين) من غير جماعة الإخوان القطبيين ومن لا يصدقنا فليقرأ مذكرات الرجل التي نشرت أكثر من مرة تحت عنوان (لماذا أعدموني؟؟).

والشاهد أن إعدام سيد قطب عقابا له على كتابه أو على خطته لإغراق الدلتا وأهلها بمياه النيل قد أدى إلى إغراق العالم الإسلامي بفيضان الجهل والتكفير بعد أن تحول الرجل إلى رمز شهيد في مجتمع كان ولا زال يعاني من الأمية الفكرية ولا يحفل إلا بالثقافة السطحية التي أبدع هؤلاء القوم في إنتاجها.

يقول سيّد قطب: (إن وجود الأمة الإسلامية يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة فالأمة المسلمة ليست أرضا كان يعيش فيها الإسلام وليست قوما كان أجدادهم في عصر من العصور يعيشون بالنظام

الإسلامي إنما الأمة المسلمة جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي وهذه الأمة بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعا ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى)(١)

(إن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا أنه كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشرائع القانونية وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا)(٢).

(وأخيرا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها فهي وغن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله تعطي أخض خصائص الألوهية لغير الله فتدين بحاكمية غير الله فتتلقى من هذه الحاكمية نظمها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريبا والله سبحانه يقول عن الحاكمين بغير ما أنزل الله «ومن لم يحكم بغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»)(٣).

---

(١) معالم في الطريق: ص٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠١.

ونمضي مع سيد قطب وهو يواصل إطلاق قذائف الأحكام على الظالم والمظلوم من أمة لا إله إلا الله وصولا إلى الثقافة الإسلامية المتداولة وهو موقف يتسم بالرفض الصبياني النزق حيث يقول (نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم كل ما حولنا جاهلية تصورات الناس وعقائدهم عاداتهم وتقاليدهم موارد ثقافتهم فنونهم آدابهم شرائعهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكير إسلامي هو كذلك من صنع الجاهلية)[١].

إذن فالرجل لم يبق ولم يذر حتى ما يظنه (المخدوعون) من غير تلاميذ الحبر الأعظم ثقافة إسلامية وفكرا إسلاميا تبين في النهاية أن كل هذا كان جاهلية لن يخرجنا منها إلا نبي الإسلام الجديد سيد قطب الذي دعا في نهاية خطابِهِ الجميع من المخدوعين ومن غير المخدوعين للدخول في دين التوحيد من جديد.

إنها العشوائية والتخبط ثم جاء الإعدام وتلاه الافتتان وفيضان فكر التكفير الذي تحول إلى فريضة إسلامية بدلا من التفكير فتحول طين الأمة إلى مستنقع كبير لا يمكنها الخروج منه.

متى انقطع الحكم بما أنزل الله وعلى يد من؟ ذلك السؤال المهم الذي سيحدد لنا متى عادت الأمة إلى جاهليتها الأولى أو أظلم كما يقول.

لم يجبنا سيد قطب على هذا السؤال ولكننا سنحاول انتزاع هذه الإجابة من واحد من ورثة علمه الفياض.

السؤال الآخر: كيف يمكن للمسلمين البسطاء من غير تلامذة

(١) معالم في الطريق: ص٢١.

سيد قطب وممّن لم ينالوا شرف الانتماء إلى جماعة الإخوان أن يميزوا بين الثقافة الإسلامية (الإسلامية) والثقافة الإسلامية الجاهلية؟؟ وما الذي يمنع أن لا تكون ثقافة الإخوان أيضاً من ذلك النوع المضروب الموجود في السوق والتي رفضها سيد قطب حفظه الله؟؟.

نوجز مرة أخرى لائحة الاتهامات الموجهة ضد الأمة الإسلامية والتي يوجهها أولئك المصلحون:

- الأمة المسلمة لم تعد موجودة.
- الأمة تعيش جاهلية أشد وأقسى من الجاهلية الأولى وكل شيء حولنا هو محض جاهلية بما فيها أغلب الثقافات التي تتسمى باسم الإسلام.
- الأمة مرتدة والإمساك عن إصدار حكم الكفر عليها يرجع لأسباب أخرى.

يبقى السؤال: هل كان سيد قطب تكفيريا؟؟.

الإجابة واضحة وضوح الشمس فيما نقلناه سابقا...

نعم كان تكفيريا بل كان أبو التكفير المعاصر..

إنها إجابة لم ولن تعجب أيا من التلفيقيين الذين حاولوا إيجاد المعاذير لتلك الحالة التكفيرية والزعم بأن التيار التكفيري نشأ إما بسبب سوء فهم مقولات الرجل أو التحامل عليه وعدم إدراك الظروف النفسية التي عاشها وهو كلام واعتذار هزيل ومفكك. إذ أن الكاتب أو المفكر عليه أن يزن كلامه بمعيار العلم لا بمعيار الانفعال وقد قال الرجل كلامه ثم مضى ولم تعد هناك فرصة لإعادته إلى الحياة لنسأله عما كان يقصده وما لا يقصده.

مأمون الهضيبي يدلي بدلوه.

استعرضنا سابقا الآراء المختلفة حول حالة الأمة الإسلامية ومتى ألمَّ بها ذلك الداء العضال. ولمزيد من التأكيد فنحن نرى أيضا أن الأمةَ مريضةٌ ولكننا نختلف معهم حول تشخيص المرض فنحن نقول أنها حالة فتنة وانحراف وهم يقولون ردة وكفر . . . نحن نرجع إلى ما صح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نقلا عن رسول الله ﷺ وهم يرجعون إلى آرائهم وأهوائهم.

إنهم نموذج للعامل على غير بصيرة لم تزده شدة السير إلا بعدا عن الطريق الواضح.

ولما كان تشخيص أي مرض يعتمد على تحديد تاريخ ظهوره كان من اللازم لنا أن نعرف متى (ارتدت الأمة) و(عادت إلى الجاهلية) حسب زعمهم. وسنرى أن التناقض في تحديد الميعاد يكشف عن وجود خلل عقلي وفكري خطير في رؤية هؤلاء (المصلحين) لما ينبغي عمله وأنهم يعتمدون رؤية سطحية وساذجة لا تنفذ إلى حقائق الأشياء مهما زعموا غير ذلك.

فماذا قال المستشار مأمون الهضيبي المرشد السابق وابن المرشد الأسبق؟

سُئل الرجل عن طبيعة الشعار الانتخابي المرفوع من قبل الجماعة (الإسلام هو الحل) فقال:

أولاً: لا بد أن نفهم بماذا ينادي الأخوان؟؟

قبل أن يأتي الاحتلال إلى بلادنا لم تكن مصر تعرف لها دستورا سوى القرآن (!!) وليس لديها قانون سوى الشريعة الإسلامية وليس لديها محاكم سوى المحاكم الشرعية المأخوذة من القرآن

والسنة والإسلام هو مرجعية الدولة (!!) وليس معنى ذلك عدم وجود قوانين تنظم بعض التفاصيل ولكن لا تمس أو تغير من ثوابت الشريعة وهي تدخل في إطار المصالح المرسلة.

عندما جاء المحتل الإنجليزي كان يدرك أن مرجعيتنا هي الإسلام فما أن احتلنا في سبتمبر ١٨٨٢ حتى جاء في يوليو ١٨٨٣. وقد ترجم القانون الفرنسي وطبقه في مصر وأنشأ المحاكم الأهلية ثم انشأ البنوك الربوية وأسس النظام الاقتصادي على أسس ربوية وألغى الشريعة دستورا وقانونا وبالإضافة إلى ذلك بدأ في تأسيس المدارس الابتدائية على نظامه حتى تخرج موظفين لا يعرفون شيئا عن الإسلام)[١].

قل لي بربك من أين تشرق الشمس؟؟.

فبينما يقول لنا مؤسس الجماعة: أن الكارثة كانت في سقوط الخلافة العثمانية أي في أوائل القرن العشرين يقول لنا مأمون الهضيبي، لا فالكارثة حدثت قبل ذلك وفي نهاية القرن التاسع عشر.

وبينما يرجع سعيد حوى المأساة إلى حالة تَلّبس عام بالمعصية وردّة وترك لا تصل إلى حد إطلاق أحكام الكفر أو أننا نعيش في دار حرب يقول لنا سيد قطب أننا نعيش في جاهلية معاصرة كالجاهلية الأولى أو اشد هولا والسبب هو ترك العمل بأحكام الشريعة الإسلامية منذ قرون وليس منذ قرن واحد كما يزعم الأستاذ مأمون الهضيبي.

مؤسس الجماعة يُرجع أزمة الأمة إلى استيلاء غير العرب على

(١) الإخوان المسلمون ٦٠ قضية ساخنة.

السلطة والخلافة بينما هو يبكي على سقوط الخلافة العثمانية التركية.

أما الأهم من هذا كله: هل نحن نعيش في مجتمعات كافرة تم استخدام الرأفة معها لتوصف بأنها مرتدة وفاسقة؟ أم أنها مجتمعات جاهلية وإن صَلّت وإن صامت أو تسمَّت بأسماء إسلامية بما فيها ثقافتنا التي كنا نظنها إسلامية ثم تبين له أنها ثقافة جاهلية كما يقرر سيدنا قطب الذي فاته وفات أتباعه أن يسألوا من أين جاء هو بثقافته التي يظنها هو أيضا ثقافة إسلامية. بينما يشهد له الواقع والتاريخ أنها ثقافة تكفيرية خوارجية بامتياز.

هل هبط عليه وحي الثقافة الإسلامية الصحيحة، أم جاءه مبعوث العناية الإلهية واجتاز أعناق كل البشر بمن فيهم أبيه وأمه ليفسر له كل ما غاب عن هؤلاء الجاهلين الجاهليين؟

ثم يقولون لنا أن الرجل لم يكفِّر أحدا وأن كلامه فُهِمَ على غير مرادَه الأصلي وكأنه كان لديه علم الباطن ويتحدث بلسان الباطن وإذا ضاقت بهم سبل وأساليب الدفاع قالوا لك أن الرجل لم يكن يمثل مدرسة الإخوان. فأين هي هذه المدرسة وما هي أهم معالمها الفكرية؟ لنحكم على مدى انطباق ما قاله على المعايير الإخوانية المتعارف عليها دوليا.

إننا لا نحاكم هؤلاء محاكمة أمنية فليس هذا من شأننا، كما أننا على قناعة أن السياسات الأمنية الفاشلة التي اتبعتها النظم العربية الحاكمة قد أسهمت بقسط وافر في تمدد هذه الظاهرة وما نعتقده أن الواجب يحتمّ علينا أن نناقش المسألة من بُعدها الفكري كونها قضية الحاضر والمستقبل التي لا يمكن تركها بأيد المهيجين أو الجهلة المنتفعين ممّن يُسمونّهم بخبراء الجماعات الإسلامية.

الدكتور صلاح الصاوي له رأي مختلف.

الدكتور صلاح الصاوي هو أحد الشخصيات الدينية التي كلّفت نفسها أو كُلفت بالتنظير لهذه الجماعات وما يعنينا هو مناقشة أفكاره التي لا تختلف كثيرا عن أفكار من سبقوه من ناحية المضمون أما من ناحية الشكل فالرجل يستخدم مصطلحات تبدو وكأنها مصطلحات فقهية ولذا فهو يتحدث عما أسماه (خلو الزمان من السلطان الشرعي) بسبب إعراض حكام آخر الزمان عن الحكم بما أنزل الله واتباعهم المناهج الوضعية والعلمانية.

يقول صلاح الصاوي في كتابه[١].

«كيف يكون الحال إذا خلا الزمن من الأئمة الشرعيين وخلا عن سلطان يستمد شرعيته من إقامة الدين واجتمع الولاة على العلمانية والمناهج الوضعية وأصبحوا يوالون ويعادون على ذلك وأصبحوا دعاة على باب جهنم من أجابهم قذفوه فيها؟؟ ونقصد بشغور الزمان عن الإمام انعدام الحكومة الشرعية التي تحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في عصر من العصور أو في جزء من أرض الإسلام لا يمتد إليه سلطان الإمام ويتخذ في الواقع العملي إحدى صورتين:

الأولى: انعدامها حِسّاً كما لو مات الإمام أو عزل لسبب يقتضيه ولم يعقد أخل الاختيار البيعة لغيره.

الثانية: انعدامها شرعا كما لو ارتد الإمام عن الإسلام (؟؟!!) أو بدل شرائع الله فسقطت بذلك بيعته وانحلت عقدة إمامته وإن بقي في موضعه قابضا على أزمة الأمور وذلك لأن الحاكم يستمد شرعيته

(١) جماعة المسلمين: مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر.

من أمرين من بيعة الأمة له ومن تحكيمه لشريعة الله وإقامته في الأمة كتاب الله وإذا كان أهل السنة قد تجاوزوا أمر البيعة في حالات الضرورة وأقروا بولاية المتغلب (!!) جمعاً للكلمة وحقنا للدماء فقد انعقد إجماعهم على أن من لم يقم في الأمة كتاب الله فلا شرعية لحكمه ولا انعقاد لبيعته ولا نفوذ لولايته لأن تفرق الأمة على الحق أولى من اجتماعها على الباطل)[١].

ثم يقول تحت عنوان (بطلان الولايات المنعقدة على العلمانية) «إن الذي يتأمل واقع هذه الولايات في المجتمعات التي استبدلت فيه المناهج الوضعية بالشريعة الإسلامية وفصلت فيه الدولة عن الدين وتحاكمت في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله ليدرك بالبداهة بطلان هذه الولايات وانعدام شرعيتها من الأساس»[٢].

ثم يخرج الشيخ الدكتور من قراءته لواقع الأمة باستنتاج مفاده «ضرورة التزام المسلم بالبيعة لإحدى الجماعات الموجودة على الساحة من أجل إعادة الدولة الإسلامية إلى الوجود» هذا الوجود الذي زال بزوال (الأئمة) الذين يحكمون بما أنزل الله والذين كانوا من وجهة نظره شرعيين بالرغم من وصولهم إلى السلطة عبر غصب إرادة الأمة حيث تجاوز أهل السنة والجماعة (حفظهم الله) عن هذه «السقطة الصغيرة» من أجل تحقيق الهدف الأعلى والأسمى وهو (تطبيق الشريعة الإسلامية).

فهؤلاء الحكام (اللصوص الكبار) الذين سرقوا إرادة الأمة و(القتلة) الذين لم يبالوا بسفك دماء آلاف البشر حتى يتمكنوا من

---

(١) جماعة المسلمين: مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر: ص ٤١-٤٣.
(٢) المصدر السابق: ص٤٥.

الاستيلاء على السلطة و(الفراعنة) لأنه لا وسيلة لإدامة هذا النوع من الحكم إلا عبر القهر والقتل وسفك الدماء وفتح السجون لأحرار الأمة.. كل هؤلاء كانوا في عرف الدكتور الصاوي ومن يطلق عليهم أئمة أهل السنة والجماعة (كانوا يطبقون الشريعة الإسلامية). ياللهول.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رؤية تنظيم الجهاد لقضية التغيير.

ننتقل إلى فيلسوف تنظيم الجهاد (محمد عبد السلام فرج) وكتابه الفريضة الغائبة وهو يتناول عين القضية (الدار التي نعيش فيها - هل نعيش في دولة إسلامية؟؟) فيقول (من شروط الدولة الإسلامية أن تعلوها أحكام الإسلام وقد أفتى الإمام أبو حنيفة أن دار الإسلام تتحول إلى دار كفر إذا توفرت فيها ثلاثة شروط مجتمعة:

١ - أن تعلوها أحكام الكفر.

٢ - ذهاب الأمان للمسلمين.

٣ - المتاخمة والمجاورة وذلك بأن تكون تلك الدار متاخمة لدار الكفر بحيث تكون مصدر خطر على المسلمين وسببا في ذهاب الأمن.

وأفتى شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه الفتاوى الجزء الرابع عندما سئل عن بلد تسمى ماردين كانت تحكم بحكم الإسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر هل هي دار حرب أم دار سلم؟ فأجاب: إن هذه مركب فيها المعنيان فهي ليست بمنزلة دار السلم التي يجري عليها أحكام الإسلام ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار. بل هي قسم يعامل المسلم فيها بما يستحق ويعامل الخارج على شريعة الإسلام بما يستحقه.

وما زال الكلام لفيلسوف الجهاد (والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام الكفر بل هي قوانين وضعها كفار، وسيّروا عليها المسلمين حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١) فبعد ذهاب الخلافة النهائية عام ١٩٢٤ واقتلاع أحكام الإسلام كلها واستبدالها بأحكام وضعها الكفار أصبحت حالتهم هي نفس حالة التتار كما ثبت في تفسير ابن كثير لقوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢) (٣).

والواقع أننا لا نرى فارقا كبيرا بين رؤية تلك التنظيمات لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية وكل ما هنالك هو اختلاف المزاج النفسي بين الجماعتين واستعجال الجهاديين لإثبات القدرة على منافسة التنظيم الأقدم والذي لم يكن له من عيب من وجهة نظرهم إلا أنه اهترأ وفقد الشجاعة والقدرة على القتال وشغلته (الدنيا) كما دأب هؤلاء على وصفه.

والواقع أن التنظيم الأقدم لم يقصر في استخدام العنف والقتل لتحقيق تلك الأهداف التي أجمع هؤلاء على ضرورة تحقيقها وهي «تطبيق الشريعة الإسلامية» و«محاربة أعداء الإسلام أو أعداء الجماعة» رغم أنه تمهل أكثر من عشرين عاما قبل افتتاح سلخانته البشرية في قلب مصر عندما قتل القاضي - الخازندار والنقراشي

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠

(٣) نعمى الله جنينة الفريضة الغائبه - تنظيم الجهاد هل هو البديل الإسلامي.

باشا - رئيس الوزراء بتهمة (محاربة الإسلام والمسلمين المتمثل في جماعة الإخوان المسلمين) وكل هذا ثابت ومدون في اعترافات قادة الجماعة التي أصدروها كتبا ومذكرات عندما أحسوا بالأمان والاسترخاء[١].

فعندما يتحول الصراع السياسي بين الإخوان المسلمين والنقراشي باشا رئيس وزراء مصر إلى صراع بين الإسلام والكفر فإن هذا يعد تكريسا لمبدأ تكفير الآخر. واعتبار الجماعة التنظيم هي الممثل الشرعي والوحيد لأمة لا إله إلا الله باعتبارها الوريث الوحيد للخلافة العثمانية الراحلة والتي يراها منظرو أهل السنة والجماعة خلافة شرعية ينبغي السمع والطاعة لها وفقا لرؤية هؤلاء التي توجب السمع والطاعة لأئمة الجور (ما أقاموا كتاب الله وفي رواية إلا أن تروا كفرا بواحا ليس لكم من الله فيه سلطان). فإن هذا يكشف عن حالة من التخبط والخلل العقلي فضلا عن الديني من قبل أناس يرون أنفسهم رسلُ الهداية من السماء إلى الأرض والمحصلة النهائية التي رأيناها بأم أعيننا. أن الإسلام الذي يزعم هؤلاء أنهم هبوا للدفاع عنه هو أول من تضرر من تصرفاتهم الخرقاء وآخر من استفاد من تصوراتهم الأكثر حمقا عن حقيقة الدين وما يجب وما لا يجب.

الوهابية:

يزعم مروجو الوهابية أنها حركة إسلامية إصلاحية وهو زعم لاقى رواجا تطبيقا للحكمة العلوية القائلة (إذا أقبلت الدنيا على قوم

(١) راجع (النقاط فوق الحروف: أحمد عادل كمال/حقيقة النظام الخاص - محمود الصباغ/حصاد العمر - صلاح شادي).

أعارتهم محاسن غيرهم)[١]... هذا إن لم يكن لهم مساوئ أما عندما يتعلق الأمر بالوهابية المجرمة التي عاثت في الأرض فسادا وإجراما وسفكا للدماء وتكفيرا للمسلمين تصبح محاولة إلصاق المحاسن والإصلاح ضربا من الفجور أو الجهل المطبق وانقلاب الموازين.

أما لماذا العودة للوهابية فالسبب يرجع لأن كل من ذكرناهم من أدعياء الإصلاح يؤرخون إصلاحهم من لحظة سقوط الخلافة العثمانية ويتغافلون عن أن هذه الخلافة قد انهارت لأسباب عدة:

من بينها الطريق الداخلي المتواصل الذي قامت به نفس تلك الحركات والتي تواصل الطريق التخريبي داخل المجتمعات المسلمة التي تزعم أنها تريد لها الخير والصلاح بينما هي تمهد لسقوطها في يد العدو الأجنبي كأوراق الخريف الذابلة.

ألا إنهم يطلبون دما هم سفكوه!! أو كما قال المثل الشعبي (يقتل القتيل ويمشي في جنازته).

ولنرجع إلى أوراق الوهابية والدور الذي لعبته في إسقاط الخلافة العثمانية.

يقول واحد من أتباع تلك المدرسة وهو الدكتور (عبد الله بن محمد العجلان):

«إن الفترة الواقعة من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري كانت من الفترات الحالكة في تاريخ الأمة الإسلامية

(١) من كلام للإمام علي عليه السلام.

عامة وفي منطقة نجد وقلب جزيرة العرب خاصة وذلك لعدة أسباب منها:

١ - التمزق السياسي الذي حاق بالأمة الإسلامية.

٢ - الركود الفكري والثقافي إذ توقف مد الثقافة الإسلامية وأقفرت مرابعها.

٣ - جمود الفقه الإسلامي وعدم قدرة علمائه على مواجهة المشكلات بحلول إسلامية.

٤ - ضعف الصلات السياسية والعلمية والثقافية بين حواضر العالم الإسلامي.

٥ - ضياع الأهداف العليا للأمة الإسلامية.

٦ - كثرة الخلافات السياسية والفكرية والمذهبية.

٧ - تركيز الخلافة العثمانية في عهدها الأخير على جمع الجبايات وتجميع المغانم.

٨ - قلة العلم وانتشار الجهل.

٩ - ظهور الابتداع في الدين والانحراف في العقيدة.

والمتتبع لتاريخ نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجد أن الحياة كانت غير إسلامية وأن الناس كانوا على جهل تام وضلال كامل وانحراف واضح في أصل العقيدة وقواعد الإيمان في العبادات والأخلاق والسلوك والعادات وأن الشرك قد طبق البلاد طولا وعرضا وأن الحياة عادت جاهلية صرفة (تأمل وقارن بما يقوله حسن البنا وسيد قطب وغيرهم) يقول ابن بشر رحمه الله وكان الشرك إذ ذاك عند بدء الدعوة الإصلاحية قد نشأ في نجد وكثر الاعتقاد في الأحجار والأشجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها

والاستعانة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم في زاويا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

ويرى منظرو الوهابية أن تلك الحالة الكفرية لم تكن قاصرة على مصر دون مصر بل تكاد تكون شاملة في كثير من بلاد المسلمين بما فيها مصر والعراق»[١].

إذن فالوهابيون قد سبقوا كل هؤلاء في وصف كل من عداهم من المسلمين بالكفر والجاهلية. وخصوا بالذكر مصر والعراق لأسباب لا تخفى على اللبيب ونحن كنا نتمنى على منظري الأخوان المسلمين أن يقرءوا هذا الكلام قبل أن يلقوا الاتهامات جزافا على الاحتلال الإنجليزي ويتهموه بأنه هو من أبطل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية أو أن يلقوا بالعبء على أتاتورك وإسقاطه لخلافتهم العثمانية الذابلة.

والواقع انهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفهمون وما لا يعرفون فضلا عما لا يفعلون ثم يتبعهم الغاوون والمغفلون.

المهم: لقد قرن محمد بن عبد الوهاب القول بالفعل وتحالفت (العقيدة) مع السياسة متمثلة في شخص ابن سعود وبدءوا في شن الغارات على (المسلمين الكفار) وانتهكت حرمتهم وسفكت دماؤهم في كل مكان طالته أيديهم المجرمة.

ثم يزعمون أن الوهابية حركة إصلاحية!!!.

(حيث قامت جحافل الوهابية بغزو مدينة كربلاء فذبحوا قسما

---

(١) الدكتور عبد الله بن محمد العجلان (حركة التجديد والإصلاح في نجد - في العصر الحديث) ص٣٣.

من أهلها ونهبوا المشهد الحسيني وحازوا كل ما فيه من تحف ونفائس تأتي إليه من زوار العجم ولم يثقل ذلك على ضمائرهم لأنهم ينظرون إلى كل من يعظم القبور نظرهم إلى الكافر)[١].

ومتى كان لدى هؤلاء ضمير؟؟ وهم يكررون الآن تلك الجرائم في النجف وكربلاء بنفس الضمير المستريح؟؟!!.

(وحدثت فتنة بين الشريف غالب وأخيه عبد المعين بسبب النزاع على إمارة مكة فتغلب غالب على أخيه واستعان عبد المعين بابن سعود فزحف إلى الحجاز وهزم الشريف غالب واجتاح الطائف وتقدم إلى مكة فدخلها وهدم أضرحة الأولياء ورفع التحف والنفائس التي كانت مودعة في الحرم الشريف ثم أعادوا الكرة مرة أخرى فعادوا إلى الحجاز عام ١٨٠٥م ودخلوا الحرمين وهدموا قبور الأولياء ونهبوا ما في الحرم الشريف من الجواهر والتحف وباعوها بالمزاد العلني وأذابوا قناديل الفضة والشمعدانات والآنية الفضية كلها ووزعوا أثمانها على حامية المدينة ثم توجهوا صوب مشهد الإمام علي عليه السلام في العراق وكبسوه بياتا فأحس بهم الخفراء فأيقظوا أهل البلد فثاروا بهم ودفعوهم عنهم وامتد الصريخ إلى الأعراب الذين حول النجف فجدوا في أثر الوهابيين فكسروهم وانقلبوا صوب السماوة وكان الأمير سعود بن عبد العزيز رجلا ماهرا في السياسة فرأى أنه ما دام مقاوما للسلطة العثمانية فلا بد أن يصافي أعداءها فتودد إلى شركة الهند الإنجليزية وإلى العجم وأمر جماعته بالحفاظ على قافلة الحج الفارسي).

(١) نقلاً عن «حاضر العالم الإسلامي»: الأمير شكيب أرسلان ولوثردوب استودارت.

(ثم كان ما كان من دخول الجيش المصري الحرب تأديبا للوهابيين بناء على طلب الدولة العثمانية) وهي الواقعة التي لم ينسها هؤلاء إلى يومنا هذا[١].

مجرمون وقطاع طرق ومتحالفون مع الكفار الإنجليز!! إلا أنهم على أي حال مدافعون عن عقيدة التوحيد مما يغفر لهم ويمحو آثامهم ومما يؤكد على حتمية أن نغفر لهم ونسكت عنهم ونغض الطرف عن جرائمهم بفضل (ريالاتهم) التي لم تكن يوما ما ملكا لهم ولكنهم يغدقونها على أصحاب اللحى والعمائم والياقات البيضاء ليشتروا بها ضمائرهم وليعلنوا للدنيا أن الوهابية كانت حركة إصلاحية!! يا أخي!!!!.

وهنا تبرز معضلتان ليست فيهما واحدة تفضل الأخرى.

أول هذه المعضلات هي: المعضلة الأخلاقية، التي سمحت لهؤلاء أن يعيثوا في الأرض فسادا وأن يصبح هذا هو قانونهم الأخلاقي الأساسي بدءاً من سعود الأول وحليفه بن عبد الوهاب وصولا إلى أسامة بن لادن وتابعه الزرقاوي والمتمثل في استباحة دماء المسلمين وأعراضهم وثرواتهم وهدم بنيتهم الأساسية السياسية والتحالف مع ألد أعدائهم من الإنجليز كل هذا بذريعة الدفاع عن العقيدة وعن التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وفقا لفهمهم الأزعر. ثم هم لا يكفون على الندب على الخيانة المزعومة لابن العلقمي الشيعي الذي كان وزيرا للعباسيين إبان الغزو التتري وهي أكذوبة وفرية لا أساس لها جرى استخراجها من بطون الكتب بينما

---

(١) نقلاً عن «حاضر العالم الإسلامي»: الأمير شكيب أرسلان ولوثردوب استودارت: ص١٦١ - ١٧٠.

يشهد لهم تاريخهم المعاصر الذي لا يزال الكثير من شهوده على قيد الحياة أنهم لم يبالوا بعرف ولا قيمة عندما كان الأمر يتعلق باستيلائهم هم على السلطة كما نقلنا عن صاحب (حاضر العالم الإسلامي) الذي لا يتهم بالانحياز ضدهم كما أن هذا التحالف ما زال قائما حتى الآن.

أما المعضلة الثانية: فتتمثل في ذلك التناقض الجوهري الذي يضرب نظرية (أهل السنة والجماعة) عن السمع والطاعة وعدم جواز الخروج على الحكام الظلمة أو التسبب في فتنة أخطر من تلك التي نهض هؤلاء المصلحون لإصلاحها وتحديدا في بكائهم المر على الدولة العثمانية التي تآمر عليها الغرب الصليبي ويتناسون الشريك الداخلي الأهم للغرب الصليبي في الخيانة والتآمر وهم الوهابيون ومن لف لفهم ودار دورهم.

الذين يزعمون أن الوهابية كانت حركة إصلاحية هم أنفسهم الذين يقولون أن مأساة العالم الإسلامي بدأت مع سقوط هذه الخلافة فكيف يمكنهم تبرير هذا التناقض؟؟.

المثقفون المصريون الذين لا يعنيهم إلا الإعارة والبترو دولار لم يتعرضوا يوما ما لهذا السؤال وقاتل الله الحرص فقد أذل أعناق الرجال والطمع رقّ مؤبد.

الذي حاول الإجابة على هذا السؤال هو ذلك العجلان الوهابي الذي نقلنا عنه سابقا عندما قال في كتابه ص ١٢٨ (ولما بدأت حركة الإصلاح والتجديد في نجد لم تعرها الخلافة العثمانية أي اهتمام بل تركتها تتصارع مع قوى المعارضة الداخلية دون تدخل يذكر حتى وصل مد الدعوة إلى الحرمين الشريفين وسواحل البحر

الأحمر وأطراف الشام والعراق وأعلنت مبادئ الدعوة في مواسم الحج بدأت الدولة العثمانية تنظر إليها بخطورة للدوافع الآتية:

١ - اعتبار حركة الإصلاح والتجديد في نجد حركة سياسية غير مشروعة في ظل خلافة إسلامية قائمة ونذير خطر بتصدع الخلافة وتقطيع أوصالها.

٢ - إن واجب الخلافة العثمانية نصرة أتباعها في المنطقة الذين ظلوا فيها على السمع والطاعة وتعرضوا للأذى في سبيل دينهم والسمع والطاعة لدولة الخلافة.

٣ - أن الدين يقتضي القضاء على تلك الفئات الخارجة عن الطاعة المفرقة لجماعة المسلمين وإمامهم والمنكرة لما هم عليه من عقائد.

ثم يقول ما نصه حرفيا (ومع أنني تتبعت رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفاته لرغبتي الشديدة في معرفة منهجه السياسي في الحكم ورده على ما أثارته المعارضة الخارجية (أي الدولة العثمانية) ضد دعوته من أنها حركة انفصالية غير مشروعة عن خلافة إسلامية قائمة مع ما أعرفه من عقيدة أهل السنة والجماعة من وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين برهم وفاجرهم ووجوب طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية وتحريم الخروج عليهم . . . ومع كل ذلك لم أعثر على أي كلام للشيخ في هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد يرد فيه على هذه المقولة أو يشرح وجهة نظره في هذا الأمر)[١].

لماذا لم يجد الرجل جوابا؟؟ ولماذا يبحث من الأساس عن

---

(١) (حركة التجديد والاصلاح في نجد - في العصر الحديث: ١٢٨-١٣٠).

مثل هذا الجواب وهو واضح وضوح الشمس وهو: أن النظرية المزعومة والمنسوبة زورا وبهتانا للإسلام تتلخص في كلمتين - أن الملك لمن غلب - وأن اللعب على خروج المغلوب أو بمعنى أدق على قتل المغلوب ولا دية له سواءاً كان هذا المغلوب هو من حاول الوصول إلى السلطة ولم يصل أو ذلك الذي كان في السلطة ولم يتمكن من الحفاظ عليها!!!.

ثم يزعمون أن هذا هو الدين!!.

إنها نظرية ينقض أولها آخرها إذ كيف يمكننا أن نصدق أن الإسلام يأمر بوجوب السمع والطاعة لهؤلاء الظلمة تحت كل الظروف والأحوال ما لم (؟؟!!) يأمروا بمعصية والصبر على مظالمهم وكأنك تقول (وجوب الصبر على ظلم الظالم ما لم يأمر بالظلم ووجوب الصبر على قتل القاتل ما لم يأمر بالقتل).

إنها مزحة سخيفة لا تنتمي لله حينما يحرم هؤلاء الشيوخ الخروج على هؤلاء الظلمة ويبيحون لهم في نفس الوقت الاستيلاء على السلطة عن طريق الغلبة ويعترفون بشرعية الحاكم الانقلابي المتغلب ولو كانوا حقا يريدون إغلاق الطريق في وجه المغامرين وطلاب السلطة لأفتوا ببطلان سلطان الانقلابي ولأفتوا بحرية الناس في اختيار من يحكمهم ولأفتوا ببطلان كل تلك النظم الجائرة التي تعاقبت على حكم وظلم المسلمين بدءا من بني أمية وصولا إلى ملوك آخر الزمان مرورا بالعثمانيين.

أما أن يُنسّب كل هذا إلى الدين والعقيدة ويجري الاستشهاد بالروايات المزورة من أجل الضحك على ذقون البسطاء وإدامة استغفالهم، فهذا ما لا بد أن ينتبه له المسلمون إن كانوا يريدون حقا أن يعيشوا حياة كريمة كبقية الشعوب.

لماذا نخوض هذا الجدل؟؟.

الآن يقف البعض موقفاً سلبيا من هذه الجماعات لأسباب متنوعة منها ما هو واقعي تماماً، مثل الدور الذي قامت به جماعة الإخوان المسلمين في إجهاض التجربة الديمقراطية القائمة في مصر بدلا من السعي لإصلاحها وتطويرها واستبدالها بالعسكريتاريا التي أعادتنا إلى ما قبل نقطة الصفر دستوريا وقانونيا وصادرت حق تكوين الأحزاب وأغلب الحريات الأساسية التي تنعّم بها الشعب المصري قبل حلول تلك الكارثة وكان من أوائل من تنعّم بها تلك الجماعة التي بقيت تحرّض على الحريات القائمة ولم يهدأ لها بال حتى تخلصت منها بالتعاون مع هؤلاء العسكر من المنضوين تحت لواء الجماعة أو المتحالفين معها.

الشعارات التي رفعتها ثورة يوليو الأخوانية تحولت إلى كوارث ونكبات لم نتخلص منها حتى الآن فشعارات التحرر الوطني آلت إلى احتلال سيناء من قبل الصهاينة وكان ما كان من دفع ثمن سياسي باهظ من أجل استعادة ما ضيعته (ثورة يوليو الإخوانية المباركة).

الإخوان الذين ما زالوا يصرون على أن اغتيال القاضي الخازندار كان عملا فرديا هم أنفسهم الذين يئنون الآن بسبب المحاكمات العسكرية التي طالتهم وطالت غيرهم من الجماعات المشابهة.

جرى تعميم ثقافة العنف في كافة أرجاء العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وصولا إلى الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية. وأيا كان ما يزعمه هؤلاء من عدم وجود علاقة مباشرة بينهم وبين بن لادن وتنظيماته إلا أننا لا نرى أثرا لثقافة تغييرية لا

عنفية، أسهمت هذه الجماعة أو غيرها في بلورتها وحتى لحظة كتابة هذه السطور لا زال الصوت الزاعق لتلك الجماعة وثقافتها العدوانية أخواتها هو العنصر السائد في الثقافة الإسلامية المبتسرة.

الأخوان المسلمون الذين يدينون العنف في مصر (مكرها أخاك لا بطل) لا يدينون العنف الأعمى في العراق الذي يحصد أرواح العشرات من الأبرياء كل صباح ومساء بل يتسترون على ما يرتكبه أبناء تلك الجماعات الإرهابية في العراق من مجازر بحق المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ تمشيا مع حالة العنف الداخلي الكامنة في نفوسهم وكأن البحث عن عدو داخلي أو خارجي يقتتلون معه بحق أو من دون حق هو مبرر وجودهم الذي يخشون عليه الضياع فهم حماة الأمة الإسلامية والمدافعون عنها في وجه الأعداء الحقيقيين أو الوهميين الذين تصطنعهم الثقافة الضحلة لهؤلاء المبتسرين.

الإخوان المسلمون في العراق مذبذبون بين العنف الأعمى المتسربل بالدين وبين الخيار السياسي الديمقراطي. ولكن البعد الأخطر في تشكيل سياساتهم هو الولاء الطائفي الموروث فهم يرون أنفسهم جزءا من طائفة استأثرت بالحكم طيلة قرون التاريخ الإسلامي وتريد أن يدوم لها هذا الاستئثار مع أنه كان من المفترض وفقا لأدبيات هذه الجماعة الأصلية أنهم طلاب حقيقة وليسوا أتباع مرحلة ولت إلى غير رجعة من التلفيق باسم الدين ذلك التلفيق الذي فضحنا بعضا منه في السطور السابقة ولذا فنحن لا نرى بأسا أن نكمل فضح الحقيقة ليهلك من هلك عن بينة وليعلم كل أبناء هذه الأمة ألا خلاص إلا بالتجرد والقيام لله رب العالمين.

الخوارج الأوائل

أحد المسلمات التي يتداولها المسلمون من دون تدقيق ولا تمحيص ما يسمونه بالفرقة الوحيدة الناجية من النار معتمدين على رواية تقول (افترقت اليهود على سبعين فرقة وافترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة وافترقت أمتي على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) رواه أبو داود.

وهناك عدة تساؤلات في غاية الأهمية حول مفهوم (الفرقة الناجية وبقية المسلمين في النار) بينما هم يروون عن رسول الله ﷺ أن كل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فكيف يمكننا الجمع بين النقيضين.

لقد أدى التسليم بنسبة هذه الرواية إلى رسول الله ﷺ إلى محاولة تقسيم الأمة إلى ٧٣ فرقة أو بمعنى أدق أصبحت هناك حاجة للقيام بهذه المهمة التمزيقية وهي كارثة وربما مؤامرة لتكريس التمزق والانقسام باعتبار أن هذا يمثل الإرادة الإلهية.

وقديما اغتر اليهود والنصارى بمثل هذه الوعود التي منحوها لأنفسهم وصاغها العلماء المنحرفون فكان أن صفعهم رب العزة بقوله ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ

فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١]

ومن هنا تم تصنيف الخوارج باعتبارهم فرقة وهم ليسوا كذلك إنهم يمثلون حالة ولا يمثلون فِرقة حالة داعية للتشرذم والفُرقة وهي أيضا قابلة للتكرار والتجلي على ألسنة وأفئدة البعض كلما تلاقت ظروف الجهل السائد مع أبطال المرحلة الأكثر جهلا وصلفا ولو أنك سألت أيا من هؤلاء الخوارج هل أنت من الخوارج لغضب أشد الغضب لأنه يفخر بذاته ويرى نفسه المسلم الأوحد من بين بقية البشر.

أضف إلى ذلك أن كلمة الخوارج ليست وصفا عقائديا بل كانت مجرد علامة على الظروف التي يظهرون فيها واردة على رسول الله ﷺ كما كان وصفهم بالأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق والنجدات نسبة إلى نجدة.

الأمر الثاني المتعلق بظاهرة الخوارج: هو أنهم شياطين يرتدون ثياب الآدميين ويزعمون أنهم مصلحون يرفعون شعار «إن الحكم إلا لله» يعملون في الدين بأهوائهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[٢].

إنهم مفسدون يستعملون سلاح الدين في إفسادهم لا يقتدون بعمل نبي ولا يقتصون أثر وصي. المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا والغريب أنه لا أحد من جهابذة آخر الزمان حاول أن يقتفي أثرهم أو يعرف أين يوجد محط رحالهم بعد أن هزموا شر هزيمة في أول معركة خاضوها من أجل فسادهم في مواجهة إمام

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨٠-٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١١، ١٢.

الحق علي بن أبي طالب عليه السلام وقد تمنى يومها بعض من كانوا في جيش الإمام علي أن ينقطع أثرهم من الوجود فقالوا (هلكوا بأجمعهم يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام والله ما هلكوا ولكنهم نطف في أرحام النساء وأصلاب الرجال كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين).

وإذا كانوا قد هلكوا يومها ولم يعد لهم أثر فلماذا أوصى الإمام علي «لا تقاتلوهم من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه).

الخوارج: البدايات الأولى.

روى ابن حجر في الإصابة عن أنس قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده فبينا نحن نذكره إذ طلع علينا فقلنا هو ذا فقال رسول الله ﷺ إنكم لتخبرون عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحدا أفضل مني أو خيرا مني قال اللهم نعم.

كما أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما قسما إذ أتاه ذو الخويصرة التميمي قال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله ويلك ومن يعدل إن لم أكن أعدل فقال عمر ائذن لي فلأضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاته وصيامه إلى صيامه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث

والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة **يخرجون على خير فرقة من الناس** قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت الحديث من رسول الله وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي الذي نعته.

وفي رواية أخرى لأحمد بن حنبل (لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال).

وقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة قال لما قتل الخوارج قيل للإمام علي عليه السلام هلك القوم بأجمعهم فقال عليه السلام كلا والله إنهم لنطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين)[1].

وقد روى النسائي في خصائص الإمام علي بن أبي طالب عن أبي سعيد الخدري نفس الأحاديث وإن بصيغ مختلفة (تمرق مارقة من الناس يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق) وقوله صلى الله عليه وآله (تفترق أمتي فرقتين تمرق مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق).

روى النسائي في الخصائص عن زيد بن وهب عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما كان يوم النهروان لقي الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) فقال علي رضي الله عنه اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فلم يجدوه فقال علي رضي الله عنه ما كذبت ولا كذبت اطلبوه فطلبوه فوجدوه في وخدة من الأرض عليه ناف من القتلى فذا رجل على يده مثل سبلات السنور فكبر علي رضي الله عنه والناس وأعجبهم ذلك»[2].

وروى النسائي خبر المخدج أو ذو الثدية أيضا عن علي بن أبي

---

(١) شرح النهج/ ج١: ص٤٢٧.

(٢) النسائي في الخصائص: رواية ١٧٦.

طالب عليه السلام وعن غير طريق أبي سعيد الخدري (زيد بن وهب وعبيدة اليماني).

روى النسائي عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة لولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل ولولا أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا بالهدى الذي نحن عليه.

ملاحظات هامة:

١ - التحريف والتزوير الذي مارسه بعض المحدثين حينما غيروا عبارة (خير فِرقة) لتصبح (حين فُرقة) والعبارة الأولى تلتقي مع بقية المرويات لأن خير فِرقة هي أولى الطائفتين بالحق وهي حزب الله الفائزون الذين والوا ولي الله وعادوا عدو الله (من كنت مولاه فعلي مولاه والى الله من والاه وعادى الله من عاداه) وهكذا فتهمة التحريف والتزوير ينبغي أن توجه للمجرمين الحقيقيين.

٢ - أثناء بحثي عما كتب عن قضية الخوارج وجدت باحثا ينفي واقعة ذو الثدية لأن شاهدها الأوحد بزعمه هو أبي سعيد الخدري والواقعة تحتاج إلى شاهد آخر وفاته أن قاعدة قبول الأحاديث والمرويات كلها تقوم على شاهد أوحد فضلا عن أن هذه الواقعة لم ينقلها أبو سعيد الخدري وحده بل نقلها غيره كما أسلفنا.

ملامح الشخصية الخوارجية:

كنا ولا زلنا نعتقد أن الخوارج (حالة) وليست فريقا مذهبيا.

حالة نفسية وأسلوب فكري وسلوكي في التعامل مع الآخر المسلم وانتزاع الأدلة من مواضعها لتخدم غرضا في نفوسهم المريضة.

أما المذهب: فهو كيان فكري وفقهي له حدود وأبعاد يمكن تمييزه والتعرف إليه من خلال قراءته والاطلاع عليه. كما أن صاحب المذهب لن يخجل من الاعتراف بمذهبه وموقفه على عكس الخوارجي الذي سينكر تماماً أي رابط بينه وبين ذلك الفكر أو تلك الحالة التي أوسعها المسلمون قديما وحديثا انتقادا وهجوما بل وأن عتاة الخوارج المعاصرين يصفون المتمردين عليهم بأنهم من الخوارج.

فما هي أهم صفات الخوارج؟؟.

- التزام ديني شكلي صارم فهم لا يملّون ولا يكلون من الصيام والقيام وقراءة القرآن ولكن شيئا من هذا لا يمتد بأثره إلى القلب الصخري القاسي.
- صلف وغرور وتطاول لا يحدّه حدّاً أو يقيّده قيداً وإذا كان هؤلاء الأجلاف قد تطاولوا على مقام النبوة ثم على مقام الإمامة المتمثل في علي بن أبي طالب عليه السلام فما بالك بمن هو دونهم وما بالك بعصاة المسلمين.
- إنهم ليسوا أصحاب ديانة ولا أصحاب ورع حقيقي بل أصحاب شكل ديني. جاءت به الأخبار والروايات و(نزعة عدوانية) (وادعاء وقح) بأنهم خير البشر وخير من في المسجد وأهل الهداية والرشاد والفهم الكامل الشامل للإسلام إلى آخر تلك المنظومة

من المدائح الزائفة. ولكن شيئا من ذلك لا يغير من حقيقة أنهم شر الخلق والخليقة بعدوانهم على مقام النبوة والإمامة ثم عدوانهم على عباد الله وحق الأمة ومحاولاتهم الابتزازية الدائبة للفساد تحت عناوين الإصلاح.

كان ما سبق حديثا عن المضمون الفكري الخوارجي وطريقتهم في التعامل مع غيرهم. أما عن أشكال تحركهم فكانت كما يلي:

- برفعهم شعار (إن الحكم إلا لله) في مواجهة إمام الحق علي بن أبي طالب. ومن أين لهؤلاء الجهلة الأجلاف العلم والدراية بحكم الله حيث تبلغ الوقاحة ذروتها برفع الشعار في مواجهة إمام الحق؟ ولكن يبقى أن حال الخوارج هو هُو أينما وحيثما رفعوا هذا الشعار من دون أن يكونوا مؤهلين لهذا التحكيم لا علما ولا خلقا بالترفع عن الأهواء والأغراض وهو ما يفتقدونه منذ البداية وحتى الآن.
- بتكفيرهم لأمة لا إله إلا الله وإطلاقهم قذائف الأحكام عليها سواءاً كان التكفير واضحا جليا أم مبطنا تحت عناوين مختلفة مثل الردة والجاهلية.
- باستباحتهم دماء المسلمين بناء على تكفيرهم.

من أين جاءت تسمية الخوارج؟؟.

الغالب على الذهنية الإسلامية العامة أن كلمة الخوارج هو وصف التصق بهؤلاء بسبب خروجهم على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (أي أنهم خوارج لأنهم خرجوا ولو لم يخرجوا لما سموا بالخوارج ولو خرجوا على غير الإمام علي فهم ليسوا

بخوارج!!) وهو كلام يفتقر إلى الدقة والموضوعية فهم أيضا المارقون (تمرق مارقة من الناس) وهم أحيانا (أهل النهروان) وهم تارة أخرى (الأزارقة) وأحيانا (المحكمة) وكل هذه أسماء تصف قوما من المسلمين تحلوا بهذه الصفات وبالتالي فهم خوارج (خرجوا عسكريا أو لم يخرجوا) كونهم خارجون على قواعد الشرع ومتمردون على الدين باسم الدين وأصحاب رغبة عارمة في التسلط على رقاب العباد بموجب إتقانهم للطقوس الدينية الشكلية ورفعهم للشعارات الإسلامية الخاوية من أي مضمون حقيقي وصولا إلى رافعي شعار (الإسلام هو الحل)!!.

ولنكمل الرواية حتى يعقل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فلنبدأ من موقعة صفين تلك الحرب الأهلية التي اشتعلت داخل المجتمع المسلم.

لم تكن هذه الحرب هي الأولى من نوعها فقد سبقتها حرب الجمل بين الإمام علي عليه السلام ومناوئيه بقيادة عائشة وطلحة والزبير.

لم يكن الإمام يقاتلهم على الكفر وإنما قاتلهم بسبب بغيهم وتمردهم على القيادة الشرعية وإفسادهم في الأرض وسفكهم لدماء المسلمين الأبرياء ومن ثم فالضرورات الشرعية والأخلاقية الواقعية كانت تملي أسلوبا حازما في التعامل معهم فالشر لا يدفعه إلا الشر والقوة لا يجدي معها إلا القوة.

الخوارج كانوا في جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما كانت الغالبية العظمى من المسلمين فيه باستثناء تلك الفئات الباغية المتمردة التي حاربته يوم الجمل أو تلك التي وقفت منه موقف

المتربص من أتباع ابن آكلة الأكباد والملتفين حوله من أهل الشام.

وبالتالي فالمغالطة التي يدعيها البعض من أن الخوارج كانوا من الشيعة هي مغالطة ساذجة إذ أن التشيع بهذا المعنى العام أي الانضواء تحت راية الخلافة الشرعية كان دين الغالبية الساحقة من أبناء الأمة والمروق عن هذه الراية كان هو الاستثناء.

أما عن التشيع بمعناه العقائدي أي الولاء لأئمة الحق من آل محمد فهو مفهوم كان يومها قاصرا على خواص أصحاب الإمام من أمثال ابن عباس وعمار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد ابن أبي بكر والهيثم بن التيهان وميثم التمار وكميل بن زياد فضلا عن أبناء الإمام.

الأزمة التي واجهت الأمة الإسلامية.

لم يكن الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في تلك الأيام الأولى من عمرها بالأمر الذي يسهل فهمه أو تفسيره وربما ما زال الأمر هكذا حتى الآن.

إذ كيف يمكن لنا أن نتقبل بسهولة ذلك القتال الذي حدث بين الرعيل الأول من أهل الإسلام وكلهم كان حديث عهد بالنبوة، وكيف يمكن أن يتحول الإنسان من مقاتل مضح من أجل الدين والمبادئ إلى مقاتل شرس من أجل السلطة والدنيا؟

إنها الطبيعة البشرية التي يمكن أن تفسر لنا مثل هذا التحول وبقي السؤال الذي حيّر الخوارج الأولين (إذا كان هؤلاء مسلمين فلماذا قاتلهم وإذا كانوا كفارا فلماذا لم يسبي النساء ويأخذ ما في معسكرهم من أموال كغنائم؟؟).

ولأنهم كانوا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فقد فاتهم قول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾(١).

أي قاتلوها على البغي لا على الكفر وهي نفس المشكلة التي وقع فيها الخوارج المعاصرون فالمجتمعات التي نعيش فيها ظاهرها الإسلام وإن ابتعدت عن جادة الصواب، إلا أن الحكم الغالب على كل هؤلاء هو الإسلام والواجب على المؤمنين الخلص البحث عن الأسباب التي قادت الأمة إلى التخلف والانحراف. ومن بينها من دون أدنى شك ذلك الاستبداد والتسلط الذي جرى التأسيس له باسم الدين والذي أصبح جزءا أصيلا من منهج الإصلاح أيضا باسم الدين على طريقة داوني بالتي كانت هي الداء.

كان من الواجب على هؤلاء السعي لإيجاد بديل عن تلك الديكتاتوريات المتلبسة بالدين بدلا من المجيء بواحدة منهن وبدلا من مطالبة الناس بإعادة اعتناق عقيدة التوحيد من جديد أي تلك السخافات التي جعلت من سيد قطب مفكرا عظيما في أعين شعوب جاهلة ومتخلفة وهاهي تجني مر الثمار بسبب سيئ الأعمال التي لا يقدر هؤلاء الجهال على غيرها.

إذن فقد قاتل الإمام علي عليه السلام هؤلاء الباغية بسبب بغيهم لا بسبب كفرهم وقى عجز هؤلاء عن استيعاب حقيقة الموقف وازداد عجزهم وارتباكهم عندما فعل داهية العرب فعلته ورفع المصاحف على الرماح مطالبا بتحكيم القراء شكلا بينما هو يقصد الخداع والاستهزاء بالقرآن وبكل من يصدقه من السذج وقد سارع هؤلاء

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

لقبول ما أسماه ابن العاص بتحكيم القرآن سعيا للخروج من مأزقهم النفسي ورفضوا نصيحة الإمام علي وعندما انتهى التحكيم إلى لا شيء ازدادت حيرتهم وتخبطهم فأعلنوا أنهم كفروا عندما قبلوا التحكيم وطالبوا الإمام أن يحذو حذوهم في إعلان الكفر ثم إعلان التوبة ثم انطلقت رياح التكفير السامة تعصف بكيان الأمة الإسلامية في خط مواز مع رياح الفسق والتحلل والطغيان والإذلال للكرام والتحلل من طاعة الله والرسول والأئمة من آل محمد فما يفسده اليمين يجهز عليه اليسار والعكس صحيح وكأنما كتب علينا أن نبقى بين شقي الرحى:

- الإفساد الخوارجي وابتزازه لأمة لا إله إلا الله.
- فساد المعاندين والفاسقين الذين يحادوّن الله ورسوله ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.

ولا يوجد حتى الآن ذلك الفريق الثالث الذي يسلك بالناس طريقا وسطا دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.

كيف أعلن الخوارج عن وجودهم؟؟.

الظهور الخوارجي الأول.

يروي ابن جرير الطبري في تاريخه أن عليا عليه السلام لما عاد إلى الكوفة دخلها ومعه كثير من الخوارج وتخلف منهم بالنخيلة خلق كثير لم يدخلوها.

فدخل حرقوص بن زهير السعدي وزرعة بن البرج الطائي وهما من رؤوس الخوارج على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له حرقوص تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده فقال له علي عليه السلام

إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما أنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه فقال زرعة أما والله لئن لم تتب من تحكيمك لأقتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه فقال له علي عليه السلام بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح قال زرعة وددت أنه كان ذلك قال وخرج علي يخطب في الناس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلا لله وصاح به رجل (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فقال له الإمام (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

وما زالت الرواية لابن جرير الطبري (أن عليا عليه السلام خرج ذات يوم يخطب وإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد أي قالوا إن الحكم إلا لله - فقال علي عليه السلام الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل إن سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا قاتلناهم) فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل وذل راجع بأهله إلى سخط الله يا علي أبالقتل تخوفنا أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلمن أينا أولى بها صليا ثم خرج بهم هو وأخوة ثلاثة معه هو رابعهم فأصيبوا مع الخوارج يوم النهر وأصيب رابعهم بالنخيلة.

ثم قام الإمام خطيبا مرة أخرى فقال رجل من جانب المسجد لا حكم إلا لله فقام آخر فقال مثل ذلك ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال علي الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم

الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدءونا ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته.

المزايدون الحمقى.

إنه الوصف الوحيد اللائق بهم من يومها إلى يومنا هذا.

إنه الغرور الذي يدفع صاحبه لكراهية أهل الفضل ومحاولة التطاول عليهم والتحقير من شأنهم.

إنه غرور يستمد مادته من إعجاب بعبادة جسدية لا روح فيها. قوة في الأقدام تحفز صاحبها على إطالة الوقوف في الصلاة وحنجرة ذهبية تعين صاحبها على الترنم بآيات الله ولكنها وحسب الوصف النبوي لا ترقى ولا تصعد إلى السماء إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ولأنها لا هي كلم طيب ولا عمل صالح يراد به وجه الله فإنها تحبس داخل هذه الذات المتضخمة لتزيدها تضخما وانتفاخا وصولا إلى الانفجار المحتوم الذي يدمر هذه الذات لتطلق أوساخها التي يظنها صاحبها من افضل من عمل الإنسان.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

كان الإمام علي عليه السلام كالطبيب الذي يريد أن يداوي مريضا تحول جسده إلى مزرعة اجتمعت فيها كل الأمراض وفجرت فيه الثغرات من كل ناحية واتجاه بينما هو يحاول إيقاف عملية التدمير الذاتي وإنقاذ هذا الجسد.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

ما زالت الرواية لابن جرير الطبري قال (بعث علي عليه السلام عبد الله بن عباس إلى الخوارج فرجع ولم يصنع شيئا فخرج إليهم فكلمهم حتى وقع الرضا بينهم فدخلوا الكوفة فأتاه رجل فقال له إن الناس تحدثوا أنك رجعت عن كفرك (!!!) فخطب الإمام عليه السلام الناس في صلاة الظهر فذكر أمرهم فعابه فوثبوا عليه من نواحي المسجد يقولون إن الحكم إلا لله فجعل علي عليه السلام يقلب يديه هكذا وهو على المنبر فقال حكم الله ينتظر فيكم).

محاورة ابن عباس مع الخوارج:

لم يسارع الإمام علي لقتال الخوارج كما انه عليه السلام لم يقاتلهم لأنهم خوارج بل لأنهم سفكوا دماء المسلمين ثم بدءوه بعد ذلك بالقتال بل تحاور معهم لمحاولة إثنائهم عن هذه المواقف العدمية الطائشة سواء كان هذا الحوار بنفسه أو خلال كبار معاونيه مثل عبد الله بن عباس والرواية للنسائي في خصائص الإمام علي بن أبي طالب.

قال ابن عباس قلت لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم قال إني أخاف عليك قلت كلا قال فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس فما جاء بك قلت لهم أتيتكم من عند أصحاب النبي وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون ما يقولون . . . قلت اخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه قالوا ثلاث:

قلت ما هن؟؟.

قالوا أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم فإن كانوا كفارا سلبهم وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم؟؟.

قلت هذه اثنان فما الثالثة؟؟.

قالوا إنه محا نفسه عن غمرة المؤمنين فهو أمير الكافرين؟!!.

قلت هل عندكم شيء غير هذا؟؟.

قالوا حسبنا هذا.

قال أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ما يرد قولكم أترضون؟؟.

قالوا نعم.

قلت أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم من كتاب الله أن الله قد صير حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم فأمر الرجال أن يحكموا فيه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[1] فأنشدكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا بل هذا أفضل.

قلت وفي المرأة وزوجها قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾(١) فنشدتكم الله حكم الله في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة ؟؟ أخرجت من هذه؟؟.

قالوا نعم.

قلت أما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾(٢) فأنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج... قلت أخرجت من هذه؟؟ قالوا نعم.

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون واراكم سمعتم أن النبي صالح المشركين يوم الحديبية فقال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال المشركون لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فاكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله لعلي امح يا علي رسول الله اللهم إنك تعلم أني رسولك امح واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة خرجت من هذه قالوا نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصار(٣).

كما روى ابن أبي الحديد في شرح النهج أيضا أن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول خروج القوم دعا صعصعة بن صوحان العبدي فقال له بأي

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.
(٣) خصائص الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ/ النسائي رواية ١٨٢.

القوم رأيتهم اشد إطاقة (الأمير) قال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب عليه السلام إلى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس الأرحبي فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس فقال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ثم كلمهم وناشدهم فقالوا إنا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعد إليك فقال علي عليه السلام أنا أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا عليه السلام قد رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع وتجيء الأموال ثم ينهض بنا إلى الشام فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفرا فقام علي عليه السلام يخطب فقال من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فقد ضل فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت مرة أخرى)[1].

الخوارج حالة قابلة للتكرار وليست موقفا سياسيا عابرا:

تلخصت أطروحة الخوارج في تلك الكلمات السطحية الساذجة والتي تمثل عقلية الخوارج القدامى والمعاصرين:

- أن تحكيم الرجال في أمور الدين هو ذنب عظيم في مقابل الحاكمية الإلهية المتمثلة النص الإلهي والتي يمكن لأي مسلم نصب نفسه للحكم على رقاب العباد أن يمارسها وخاصة إذا كانت لديه أهلية الزعامة والجرأة على الفتوى بعلم أو من دون

(١) شرح النهج/ ج١: ص ٢٠٦.

علم في الحلال والحرام وهذا هو عين الفكر الذي تقدمه تلك الجماعات والمتمثل في قادة تلك الجماعات الجهلة والقادرين على التبجح والادعاء.

- كل ذنب عظيم هو كفر بالله أو (التكفير بالمعصية) مع الفارق بين رؤية الجماعات المعتدلة والمتشددة (المعتدلة تكفر الحكام والمتشددة تكفر كل من ليس عضوا فيها أو يخالف تعليماتها).
- هذا الذنب العظيم قد وقعت فيه عموم أمة لا إله إلا الله التي أصدر السفهاء الأولون قراراتهم بتكفيرها بسبب وقوعها في (خطيئة التحكيم) ويصفها سيد قطب وأبو الأعلى المودوي وسعيد حوى بالجاهلية المعاصرة.

ولذا وجب العودة إلى السؤال الذي أجاب عليه رسولُ الله ﷺ عليا عليه السلام عندما سأله بأي المنازل أنزلهم بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة فقال ﷺ: بل بمنزلة فتنة.

كيف واجه الإمام علي بن أبي طالب هذه الأفكار المنحرفة؟؟.

بالنسبة للفكرة الأولى (لا يجوز تحكيم الرجال في دين الله) وهو ما عبروا عنه بقولهم (إن الحكم إلا لله) كان الرد من خلال الإمام أو من خلال ابن عباس: (أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل حكم حاكما) واستدل على ذلك بآيتين من كتاب الله:

- الآية الأولى نزلت في حكم الصيد في المسجد الحرام حال الإحرام حيث أوجب سبحانه تنصيب حكمين يتصفان بالعدالة لتقدير الكفارة الواجبة على من ارتكب هذا الخطأ.
- والآية الثانية تناولت مسألة الشقاق بين الزوجين حيث أوجب

سبحانه تعيين حكمين يمتلكان نفس المواصفات المذكورة آنفا أي العدالة.

- إذن فهناك قضية وهناك حاكم أو حكام يمتلكان تفويضا إلهيا لإصدار حكم يحقق العدل بين الزوجين المتخاصمين أو يقدر العقوبة الملائمة لانتهاك قواعد الإحرام (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) والأهم من هذا أن الحكم ليس محددا بصورة مسبقة لأن الأمر لا يتعلق بنص بل بتدبير أو بتقدير ينبغي أن يقوم به العدول بناء على تفويض إلهي (وجوب إقامة العدل) وهو الذي وضع مبدأ تعيين الحكام ولكنه لم يعين أشخاصهم ولا حدد أحكامهم وليس كل ما يتخذه الحاكم أو الحكام يدخل في إطار الحلال والحرام بصورة مباشرة حيث تصبح في مراعاة المصالح العليا. ولذا فعندما جاء هؤلاء الجهال إلى الإمام يقولون (تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده فقال لهم: إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما أنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه).

- أما السمة اللازمة لتحقيق العدالة الإلهية فهي توفر العدالة في القائمين على إنفاذ هذه الأحكام (لأن فاقد الشيء لا يعطيه) سواء كان هؤلاء الحكام هم من شارك في التحكيم بين الجيشين المتحاربين أو القائمين على ولاية أمر الأمة التي لم تستطع يومها أن تميز بين من يجب تعيينه في منصب الإمامة العظمى فوجد ابن آكلة الأكباد من يسانده في مواجهة إمام الحق من آل محمد فكان أن وجد عمرو بن العاص من يشتريه بمصر طعمة ووجد أبا موسى من يفرضه ممثلا لجيش الإمام والشريعة الإسلامية لم تكن أبدا

نصوصا سابقة التجهيز كالطعام سابق التجهيز ولا يُتخيل أن الفساق والمجاهرين بمعاصيهم من أمثال عمرو بن العاص وابن آكلة الأكباد يمكن لهم أن ينفذوا حكم الله في جناح بعوضة.

● وأخيرا نأتي لكارثة الخوارج المعاصرين الذين امتزجت أفكارهم بأفكار القاسطين الفاسقين الظالمين فتخيلوا إمكانية إقامة حكم الله من الإنقلابيين وغاصبي السلطة بل وحتى من العبيد المماليك ومنحوهم صك الشرعية مثلما ذكر صلاح الصاوي (وذلك لأن الحاكم يستمد شرعيته من أمرين من بيعة الأمة له ومن تحكيمه لشريعة الله وإقامته في الأمة كتاب الله وإذا كان أهل السنة قد تجاوزوا أمر البيعة في حالات الضرورة وأقروا بولاية المتغلب (!!) جمعا للكلمة وحقنا للدماء فقد انعقد إجماعهم على أن من لم يقم في الأمة كتاب الله فلا شرعية لحكمه ولا انعقاد لبيعته ولا نفوذ لولايته لأن تفرق الأمة على الحق أولى من اجتماعها على الباطل). وقوله (ومن هنا نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة بتحريهم الحق واتباعهم له وأهل الجماعة للزومهم طاعة الأئمة وإن تلبسوا بشيء من الجور ما أقاموا في الأمة كتاب الله وعدم الخروج عليهم إلا إذا أتوا كفرا بواحا)[١]

● ونبقىٰ في إطار النقطة الأولى وهي (حاكمية النص) حيث رد الإمام عليهم بقوله (إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن والقرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم إلى أن نحكم

---

(١) صلاح الصاوي/ ص٣٩.

بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى وقد قال تعالى سبحانه (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله ورده إلى الله أن نحكم بكتابه ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس وأولاهم بها)[١].

وقبل أن نغادر تلك المنطقة يجدر بنا أن ننبه هؤلاء السادة الذين يرفضون سيادة الأمة باعتبارها انتهاكا للشريعة الإسلامية أن الكلام على سيادة الأمة دون ذكر للشريعة الإسلامية يعني ذلك بالفعل أما إذا كان الكلام على مبدأ سيادة الأمة الملتزمة بهذه الشريعة الإسلامية فذلك هو الحق بعينه.

ثم نسمع كلام الإمام علي عليه السلام وهو يرد على من يكفرون الأمة قديما وحديثا وهي قضية ما تزال قائمة مع أحفاد الخوارج المعاصرين والذين تفاوتت رؤاهم ما بين قائل بتكفير كل من ليس في جماعته والحكم بردة مفارق الجماعة ووجوب قتله. وبين قائل بضرورة إبلاغه بصحيح الدين الذي لا يعرفه إلا هؤلاء الغلمان السفهاء وإقامة الحجة عليه قبل قتاله وقتله أو مكفر للنظام ورموزه وأعوانه وأجهزته الأمنية والسياسية دون غيرها. ومن هنا تعددت أسماء الجماعات والتنظيمات ما بين مقتبس من فكر الخوارج الأولين بصورة حرفية مثل جماعة التكفير التي منحت نفسها اسم جماعة المسلمين أو تكفير معدل ومحسن (تكفير بالمضمون) مثل جماعة الإخوان المسلمين الذين يصنفون المسلمين صنفين (الإخوة) وهم الإخوان من أعضاء الجماعة وغير الإخوة من غير أعضاء

---

(١) شرح النهج/ ج٢: ص ٣٠٣.

الجماعة ولنستمع إلى كلمات الإمام الذي حاول فيها أن يصلح من شأن الأخوة الأوائل:

(فإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلونُ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البَراءةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجَمَ الزَّانِيَ [الْمُحْصَنَ] ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإسلام، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ

الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً الَنمَطُ الأوسط فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأعظم فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّةَ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. **أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذِهِ**، فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِماعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتَرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُم، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا.

فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا)[1].

الضرر الذي أحدثه هؤلاء بأمة الإسلام:

لقد كان لكاتب هذه السطور فرصة الانضواء تحت لواء جماعة الأخوان والتحاور معهم وداخل خارج الجماعة وكانت السمة البارزة لدى هؤلاء هو الانتفاخ والظن الذي لا يقوم على بينة ولا دليل بأن هذه الجماعة هي وحدها التي تحمل الإسلام الصحيح بين جنباتها وأنهم في انتظار اليوم الذي تدخل فيه الدنيا في دين الله أفواجا بانضمامها إلى الجماعة التي يطلقون عليها الجماعة الأم أو كبرى الجماعات الإسلامية وفات هؤلاء أن ليس في هذه الأمور حلول وسط غذ ليس هناك جماعة سوى جماعة المسلمين ولا يمكن أن يكون هناك جماعة أم ولا جماعة أب ولا جماعات أشقاء صغرى وكبرى إذ أن الأمة أمة واحدة غير قابلة للقسمة على اثنين ومن شذَ شذ في النار.

والذي تشرحه كلمات الإمام عليه السلام أيضا هو بطلان ما ذهب إليه الخوارج الأقدمون والمعاصرون (المودودي وسيد قطب وابن تيميه) من الاستدلال على كفر النظم أو الجماعات أو الأفراد من خلال الاستدلال بآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) نهج البلاغة/ خطبة ١٢٧.

ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[١] إذ أن الإيمان أو الكفر هو حالة مرتبطة بشخص المؤمن أو الكافر وليس في الإسلام تكفير بالجملة كما أنه ليس هناك إسلام بالجملة ولا زواج بالجملة أو طلاق بالجملة إذ أن من يريد الدخول في الإسلام عليه أن يشهد هو بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول والتكفير بالجملة الذي اخترعه هؤلاء الجهلة يعني شيئا واحدا هو ما أشار إليه الإمام حينما خاطب الأجداد الجهلة (فإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلونُ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟؟!!!) هذا فيما يتعلق بالتصور والاعتقاد أما على المستوى السلوكي وهو الأهم والأخطر فقد حذرهم عليه السلام من تصرفاتهم الجاهلة وحماقاتهم الهوجاء بقوله: (سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البَرَاءةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجَمَ الزَّانِيَ [الْمُحْصَنَ] ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإسلام، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ)[٢].

ويبقى أن هذا النهج الخوارجي التكفيري هو نهج معاد للأمة واستقرارها بل وقد أسهم في تفاقم مشاكلها وإضاعة كل الفرص من

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٢) نهج البلاغة.

أجل إيجاد حلول عاقلة ومتدرجة لأزمات الأمة ومشاكلها التي حاصرتها وما زالت تحاصرها ثقوب في الثوب المرقوع.

المدخل الثاني للتكفير المعاصر:

هو قتال ما سمي بالطائفة الممتنعة أو مانعي الزكاة فقد أعلن الخليفة الأول الحرب على من أسماهم بمانعي الزكاة أو المرتدين فهل كان كل هؤلاء حقا من مانعي الزكاة ومن ثم أصبحوا من المرتدين؟؟

الثابت أن هؤلاء الناس لم يكونوا من المرتدين بل كانوا متريثين في إخراج زكاة أموالهم إلى الخليفة الجديد وهذا ما أثبتته البحوث التاريخية حيث يقول الدكتور (إحسان صدقي العمد): (وربما كان الشيخ علي عبد الرازق من أوائل الباحثين الذي حاولوا التفريق بين من رفض بيعة أبي بكر ودفع الزكاة إلى عماله وبين من ارتد عن الإسلام وبين من ادعى النبوة منهم ويدخل مسيلمة الحنفي في الفئة الأخيرة من هؤلاء إذ يقول (الشيخ علي عبد الرازق) وقد نرى في مشاهداتنا أن دعوى النبوة ليست بعيدة من المضلل الغوي إذا هو لقي انجذابا من العامة وأغوى منهم صحابا وأحبابا ولا شيء أسهل عند العامة من الإيمان بنبوة هذا الغوي إذا عرف كيف يغويهم بالضلال ويمدهم في الغي) وقد عرف مسيلمة بالفعل كيف يغوي بني حنيفة ويضلهم أما آجواد عليخ والكلام ما زال لأحسان صدقي العمدخ فيرى أن جملة الأخبار المتعلقة بمسيلمة لا تفيد أنه اعتنق الإسلام أصلا وبالتالي لا يصح وصفه بالمرتد)[1].

---

(١) حركة مسيلمة الكذاب - الحولية الثانية، الرسالة ٥٨ كلية الآداب، جامعة الكويت ١٩٨٩.

إذن فوصف الردة ينطبق على الأسود العنسي وعلى مسيلمة الكذاب وعلى سجاح هذا إذا سلمنا بفرضية إسلامهم منذ البدء والدليل على ذلك هو قصة عيينة بن حصن الفزاري الذي أتي به أسيرا مجموعة يداه بحبل ينخسه غلمان المدينة بجريدة يقولون أي عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت بالله قط فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه[١].

فما هي قصة مانعي الزكاة؟؟ ننقل عن ابن جرير الطبري حكايتهم قال: وكان مما أوصى به أبو بكر قائد جيشه (خالد بن الوليد) إذا نزلتم منزلا فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه!! (التعجب من عندنا) وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة فجاءته الخيل بمالك بن نويرة وآخرين فاختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا ثم أمر بهم فقتلوا فغضب لذلك أبو قتادة غضبا شديدا وعاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا ثم **(تزوج؟!)** امرأة مالك بن نويرة أم تميم ابنة المنهال **(في نفس الليلة)** ثم قطعت رأس مالك وأثفوا برأسه القدر مع رؤوس الآخرين (أي وضعت بدلا من الأحجار التي توضع تحت قدر الطعام أثناء الطبخ) فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة الشعر!! والعلامة من عندنا ويبدو أن

(١) يراجع تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٦٠.

عمر بن الخطاب رأى في هذه الجريمة (نوعا من التجاوز) فلما دخل خالد إلى المسجد في حالة من الخيلاء وقد غرز في عمامته أسهما وثب إليه ثائرا فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك ثم دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره وأمر بدفع الدية إلى أهل مالك ورد سبيهم ولما ألح عليه عمر أن يعزله قائلا إن في سيفه رهقا فقال لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفا سله الله على الكافرين)[1] [ويبدو أن هذا هو سر تسميته بسيف الله المسلول].

نحن أمام واقعة بالغة البشاعة أُسّست لفقه التكفير والاستحلال والقتل وإحراق المعارضين بالنار لأن القوم يعتبرون الخليفة الأول مصدرا مستقلا من مصادر التشريع مثل الكتاب والسنة. تلك الواقعة التي أسست بعد ذلك لقتال ما سمي بالطائفة الممتنعة فمالك بن نويرة قتل وانتهكت حرمته ومثلت بجثته لأنه من وجهة نظر هؤلاء كان ممتنعا عن أداء الزكاة أي كافرا ومن هنا جاء اللاحقون وساروا على نفس الدرب فأفتى لهم شيخ الإسلام ابن تيميه (أي إسلام هذا) بأن **[كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة والمتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين فإذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن إقامة الصلاة أو الزكاة أو عن صيام رمضان أو حج البيت أو أو وأخذ يعدد الذنوب التي تبيح القتل والسحل فلم يبق شيئا حتى قال أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن في السابقين الأولين**

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٣: ص ٢٧٦-٢٨٠.

من المهاجرين والأنصار] وهذا الكلام معناه أن من تسول له نفسه الاعتراض على الجريمة سالفة الذكر عد من الطائفة الممتنعة وجاز قتله وانتهاك حرمته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن تلك الحادثة ثم لائحة الفتاوى الدموية التي صدرت بسببها تكشف عن واحدة من أخطر الثغرات في الفكر الإسلامي القديم والمعاصر وعن نفسية ما سمى بشيخ الإسلام ابن تيميه تلك الشخصية المريضة التي تعشق سفك دماء المسلمين واستعذاب قتلهم بسبب اتهامات واهية لا تقوم على أساس قطعي لا يحتمل الشك أو التأويل.

فتوى الطائفة الممتنعة وتكفير الشيعة:

مثل تكفير الشيعة والسعي لإبادتهم أحد الثوابت الفكرية لدى بعض التيارات المسماة بالإسلامية وقد كانت ما يسمى بفتوى الطائفة الممتنعة (لشيخ الإسلام ابن تيميه) واحدة من تلك الفتاوى التكفيرية لشيعة أهل البيت وقد أوردناها بنصها في كتابنا (المصريون والتشيع الممنوع) والآن تتواتر الفتاوى المشابهة من قبل أولئك الأشباه مثل الزرقاوي وبن لا دين والتي تعبر من وجهة نظري عن حالة من السعار المعادي لأهل البيت وشيعتهم.

والسؤال هو من يحاكم من ومن يحكم على من؟؟!!.

فقد رأينا في السطور السابقة كيف أن هؤلاء الأشباه (حاكموا) رسول الله ﷺ بتهمة الظلم عندما قال قائلهم (اعدل يا محمد) ثم تمادوا في بذاءتهم عندما طالبوا إمام الحق أن يشهد على نفسه بالكفر ثم يعلن توبته أمامهم رغم أنه أول من أسلم. ولولا سيفه لم تقم

للإسلام قائمة وكأنهم بوقاحتهم هذه أرادوا أن يقولوا لصاحب الشريعة (محمد) ﷺ ثم لحامي حامى الشريعة علي بن أبي طالب عليه السلام لقد انتهى دوركم وآن الأوان أن نتولى نحن مسئولية الحفاظ على الرسالة السماوية ولكن أي حفاظ وأي رسالة تبقى إذا كان هؤلاء هم المسئولون عن حفظ الرسالة؟؟!!.

وهل يكفي أن يمتلك مخلوق ما الجرأة والقدرة على التطاول على غيره ليصبح من حقه محاكمة غيره من المسلمين وإصدار الفتاوى التكفيرية بقتله؟؟.

لماذا اشتعلت فتنة التكفير أول ما اشتعلت في وجه الإمام علي؟

ولماذا يصر الذيول والأذناب على تكفير شيعة علي؟ وما هو المبرر الذي يسوقه هؤلاء لهذا التكفير؟؟.

التكفير بالحب!!.

إنه التكفير بالحب!! فكيف يكون حب أهل البيت عليهم السلام مبررا لتكفير من يحبهم؟؟ سيقولون لك إنه (الغلو)، و(نحن) لا نقوم بتكفير من يحب أهل البيت ولكننا نكفر من يتجاوز في حبهم معايير الاعتدال!!.

من أنتم ومن الذي منحكم الحق في وضع المعايير وكيف يكون حب أهل البيت؟ عفوا (الغلو) في حب أهل البيت كما تزعمون أيها الأذناب رأس كل خطيئة، بينما لا يكون كذلك بالنسبة للصحابة الذين تزعمون أن الواجب على كل مسلم أن يحبهم أجمعين في حين أن الحب واجب عليهم وعليكم لآل البيت وليس العكس!!.

والشاهد هو تلك النكتة اللفظية العقلية التي وجه إليها الإمام نظر المسلمين عندما سأل عما جرى في السقيفة وقال (بم احتجّت الأنصار؟؟) فقالوا له (قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير) فقال لو أراد الرسول أن يوصي إليهم لما أوصى بهم عندما قال (استوصوا بالأنصار خيراً). وقياسا على ما سبق فقد جمع رسول الله ﷺ كل المسلمين في غدير خم وقال لهم (من كنت مولاه فعلي مولاه والى الله من والاه وعادى الله من عاداه) وأياً كان الخلاف والمكابرة التي يمارسها هؤلاء عندما يقولون أن الولاية هنا لا تعني الإمرة ولكنها تعني النصرة فإن الثابت أن رسول الله ﷺ أوصى المسلمين وتحديداً الصحابة الذين حضروا هذا الاجتماع التاريخي بحب أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم ولم يفعل العكس أي أنه لم يوصي أهل البيت بحب الصحابة فكيف يصبح هذا الحب وهذه الوصية رأس كل كفر وخطيئة ويصبح تكفير الشيعة والافتراء عليهم أسهل من جرعة ماء بارد يتناولها الظمآن في يوم شديد الحرارة ويصبح مبرر هذا التكفير هو أن الشيعة يسبون الصحابة أو بمعنى أدق يذكرون تاريخهم كما هو من دون تزوير ولا تزييف ولا محاولة للتجميل؟؟!!.

إنه أي التكفير بالحب يأتي امتدادا للتكفير بالذنب فيوم التحكيم لم يكن هناك ذنب ارتكبه إمام الحق ولكنه الحقد الذي امتلأت به قلوب الخوارج القدامى وأذنابهم المعاصرين الذي يدفعهم ويحدوهم لممارسة هذا النوع من الوقاحة والعدوان.

لا فارق كبير بين القاسطين الأمويين الذين يبغضون أهل البيت ويقتلون شيعتهم وبين هؤلاء الخوارج سوى أن الأولين ونظرا لامتلاء بطونهم من السحت ومن لعق الحرام ومن مال المسلمين المنهوب لا

يمكنهم تمثيل دور العابد الزاهد الناسك. أما الآخرين من الخوارج الأقدمين أو المعاصرين فأعجبهم دور العابد الزاهد ولكن يبقى التحالف والترابط وثيقا بين الفريقين.

فالذين قاموا بإحياء هذا الفكر الخوارجي وتصديره للعالم أجمع وأنفقوا عليه مليارات المسلمين المنهوبة لم يعرف عنهم شيء من النسك ولا العبادة أو الزهد بل كانوا ملوكا وشر ملوك.

إلا أن اللعب مع الخوارج واللعب بهم هو لعب مع الأفاعي والحيات السامة التي سرعان ما تنقض على مروضها ومطعمها وهاهم بعد أن فرغوا من تفجير العالم من حولهم وأزهقوا دماء مئات الآلاف من المسلمين (الكفار) في شتى بقاع العالم ينقضون على من حاول زرعهم في أحشاء غيرهم وهاهم يفجرون في قلب جدة والرياض وهاهو قانون الكون الإلهي يسري عليهم لأن من سل سيف البغي قتل به ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

الخوارج الأوائل والصدام:

لم تنجح محاولات الإمام علي عليه السلام في إعادة هؤلاء إلى حظيرة (الأمة الجماعة) التي هي السواد الأعظم بينما ما زال أحفادهم يحاولون مصادرة (الأمة الجماعة) لصالح (الجماعة التنظيم) التي هي مجرد جزء من الكل مهما كبرت وتضخمت كما هي الآن لاستحالة هذا التحول من الناحية العقلية والشرعية ومهما وجد هؤلاء من يجاملهم أو ترتعد فرائصه خوفا من مناقشتهم وإثارة غضبهم وما أدراك ما غضبهم! والأولى والأحق بأن يتوارى أصحاب النزعة العدوانية عن أعين الناس الذين ينفون وجود الأمة وينكرون وجودها ويصفونها بالكفر والردة ثم يحصرون وجود الدين والإسلام

الحقيقي في إطار وجودهم الوهمي التنظيمي متوهمين أن الكل عليه أن يخضع للجزء وأن على أمة لا إله إلا الله أن تبوء على نفسها بالكفر والضلال وأن تعيد اعتناق الدين من جديد في محاضن تلك الجماعات التي أصبحت محاضن تفريخ القتلة والإرهابيين وتصديره للعالمين.

تحولت حالة الشطط الفكري التكفيري التي اعترت هؤلاء إلى حالة عدوان مادي تمثلت في قتلهم (لعبد الله بن خباب بن الأرت) (ره) حيث لقوه يحمل في عنقه مصحف يركب حمارا ويردف امرأته وهي حبلى فقالوا له إن هذا الذي في عنقك ليأمر بقتلك فقال لهم ما أحياه القرآن فأحيوه ما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير ثم قالوا لابن خباب حدثنا عن أبيك فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا ثم سألوه ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة فقال إن عليا أعلم بالله وأشد توقيا على دينه ونفذ بصيرة فقالوا إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائهم ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت إنما أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية)[١].

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٥: ص٨١-٨٢.

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه ما يصنعه الخوارج المعاصرون الزرقاويون في العراق من (إحيائهم لسنة الذبح) هذه المرة عبر وسائل الإعلام المتواطئة معهم، مع أجدادهم من الأزارقة.

لم يكن هناك بد من تحرك الإمام لوأد هذه الفتنة ومحاصرة الكارثة فتوجه إليهم بجيشه وأرسل إليهم سعد بن مسعود الثقفي ويعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم فقالوا كلنا قتلتهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم.

حاورهم الإمام مرارا وتكرارا قبل أن تنشب الحرب ولم يكن جوابهم إلا أن قالوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الحرب الرواح الرواح إلى الجنة ثم دارت رحى المعركة التي وصفها أحد المشاركين فيها بقوله ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة أي الخوارج فما لبثناهم فكأنما قال الله لهم موتوا فماتوا قبل أن تشتد شوكتهم.

ثم خرج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ليطلب ذلك الرجل الموصوف في نبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد في حفرة على شاطئ النهر فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذي طول يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه فلما استخرج قال عليه السلام الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا بالحق الذي نحن عليه ثم مر بهم وهم صرعى فقال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقالوا من غرهم يا أمير المؤمنين قال

الشيطان المضل والنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون[١].

وقبل أن يغادر الإمام ساحة المعركة المفروضة كانت له كلمتان:

وصية ونبوءة

أما **النبوءة** فقد ذكرناها سابقا بتكرار ظهورهم (نطف في أرحام النساء وأصلاب الرجال كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين)[٢].

وأما **الوصية** (لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه).

حيث يختلف الموقف من الخوارج باختلاف طبيعة النظام الذي يواجهونه فإذا كان الحكم بيد أئمة الحق والعدل وجب الوقوف في وجههم بالكلمة والبيان وحدّ السنان، أما إذا كان الصراع بينهم وبين أئمة الجور كما هو الشأن مع أغلب النظم منذ انتهاء الحكومة العلوية لم يجز قتلهم دفاعا عن نظم أكثر جورا طلبت الباطل فأدركته.

الظهور الخوارجي الثاني.

قلنا من قبل أن ظاهرة الخوارج هي ظاهرة متكررة بدأت في مواجهة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم استمرت بعد هذا ولبست أثوابا مختلفة حيث لا مرجعية فكرية ثابتة لهذا النهج. بل

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٥: ص ٨٨.

(٢) شرح النهج/ ج١: ص٤٢٧.

حالة نفسية قابلة للتكرار كلما تكرر اللقاء بين الظروف والأشخاص الذين يجدون مادتهم الفكرية في تلك القراءة المزاجية لكتاب الله، تلك القراءة التي جعلت من القرآن حمال أوجه. ومن هنا تكرر الظهور الخوارجي من نجدة ونافع بن الأزرق وصولا إلى إمارة الطالبان في أفغانستان وأفراخها اللئام من أمثال أسامة بن لادن والزرقاوي وسنعرض لبعض النماذج وليس لكل النماذج إذ تبدو عملية حصرها ضربا من المستحيل ويرى القارئ ومن له أدنى معرفة بهذه الجماعات مدى التقارب والتطابق المذهل بين الأولين والآخرين من دون أن يكون هناك تواصل عبر أي نص مكتوب والنقل هنا عن ابن أبي الحديد وابن جرير الطبري في تاريخه.

- نجدة بن عويمر الحنفي: كان من رؤسائهم وله مقالة مفردة من مقالات الخوارج وكان نجدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير واستولى على اليمامة وعظم أمره حتى ملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ثم إن أصحابه نقموا عليه أحكاما أحدثها في مذهبهم منها قوله أن المخطئ بعد الاجتهاد معذور وأن الدين أمران معرفة الله ومعرفة رسوله وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهلهم إلى أن تقوم عليهم الحجة فمن استحل حراما من طريق الاجتهاد فهو معذور حتى أن من تزوج أخته أو أمه مستحلا ذلك بجهالة فهو معذور ومؤمن فانقلبوا عليه وخلعوه.

- نافع بن الأزرق الحنفي: وإليه تنسب الأزارقة وكان يفتي بأن الدار دار كفر وأنهم جميعا في النار وكل من فيها كافر إلا من أظهر إيمانه ولا يحل للمؤمنين أن يجيبوا داعيا منهم إلى الصلاة ولا يأكلوا من ذبائحهم ولا أن يناكحوهم ولا يتوارث الخارجي

وغيره وهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان والتقية لا تحل لأن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾(١) وقال فيمن كان على خلاف هؤلاء: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٢) فتفرق عنه جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الذي احتج عليه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾(٣) وأضاف نافع إلى مقالاته استحلال الغدر بأمانته لمن خالفه فاحتج عليه نجدة قائلا أو لا تتذكر قولك لولا أني اعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك في طاعة الله ابتغاء مرضاته وأصبت من الحق فصه وصبرت على مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك وأغواك فغويت وكفّرت الذين عذرهم الله تعالى في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٤) ثم إنك لا تؤدي الأمانات إلى من خالفك والله تعالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها فاتق الله في نفسك واتق يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً فإن الله بالمرصاد والسلام. فرد عليه نافع قائلاً: فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتنصح لي وتزجرني وتصف

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

لي ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله أن يجعلني من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت علي ما دنت به من إكفار القعدة وقتل الأطفال واستحلال الأمانات من المخالفين وسأفسر لك إن شاء الله تعالى. أما هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد تفقهوا في الدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم إذ قالوا كنا مستضعفين في الأرض فقال ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال سبحانه: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] وقال: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[2] ثم قال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] فانظر إلى أسمائهم وسماتهم وأما الأطفال فإن نوحا نبي الله كان أعلم مني ومنك وقد قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) فسماهم بالكفر وهم في بطون أمهاتهم قبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نقوله نحن في قومنا والله تعالى يقول: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[4] وهؤلاء كمشركي العرب لا يقبل منهم جزية

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٠.
(٤) سورة القمر، الآية: ٤٣.

وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله تعالى أحل لنا أموالهم كما أحل دماءهم لنا دماؤهم حلال طلق وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا أو القعود عنا وترك ما نهجناه لك من مقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به».

هذا نموذج من الفكر الخوارجي الفاجر إنه الفُجر وليس الفكر بحال من الأحوال.

إنها حالة من التوثب والعدوان التي تنتقل عبر الجينات من رحم إلى رحم ومن نطفة إلى نطفة ثم تتلمس مادتها الفكرية من اجتزاء النصوص عن مواضعها فضلا عن آلة الرأي والتبرير الذي يتميز به هذا الصنف من البشر المجادلين بالباطل فكان هذا التطابق المذهل بين الأجيال من دون سند ولا اتصال وهو ما يعرفه كل ما أتيحت له فرصة معرفة هذا الجماعات عن قرب.

وخذ عندك بعضا من تلك العناوين التي اقتبسها الخوارج المعاصرون من أجدادهم وأسلافهم عبر لاسلكي الجينات الوراثية الذي أفلح في إيجاد هذا التواصل والتطابق المذهل بين الأولين والآخرين:

١ - قضية العذر بالجهل تلك القضية التي كانت الشغل الشاغل ومحور الجدل الدائر بين هؤلاء التكفيريين فمنهم من يكفر (العصاة) إبتداءاً من دون عذر ولا إنذار ومنهم من يتريث لبعض الوقت قبل أن يطلق أحكام التكفير العشوائي على من يخالف ما يظنه هؤلاء الجهال صحيح الدين . . إنه خلاف بين

نوعين من التكفير: التكفير العاجل والتكفير على مراحل أي التكفير خطوة خُطوة.

٢ - استباحة دماء وأموال المخالفين ولمن لا يصدقنا نروي تلك الرواية الموثقة التي وردت في اعترافات أحد أشهر قادة تنظيم الجهاد المصري أمام نيابة أمن الدولة المصرية (كان التنظيم يعتمد أساسا على التبرعات وإنني تبرعت بمبلغ أربعة آلاف جنيه مصري لصالح التنظيم ثم عرض علي (. . . .) فكرة نهب محتويات محل يبيع مشغولات ذهبية تملكه مسيحية فوافقته وتوجهت مع (ن-ا) لمعاينة المحل ووضع خطة لمداهمته وكلف (ن - ا) بتنفيذ الخطة والذي استعان بمجموعة من أعضاء التنظيم وفي الموعد المحدد وقت آذان المغرب في رمضان انتقل (ن - ا) والمجموعة التي اختارها لارتكاب الحادث بينما توجهت أنا بسيارتي خلفهم وعقب التنفيذ عادوا بالمسروقات التي احتفظت بها لفترة ثم سلمتها ل (م - ع - ف)).

٣ - ثم ننتقل إلى أحد المناطق المنكوبة في عالمنا المعاصر بأحفاد نجدة ونافع وذو الخويصرة التميمي (لعنة الله على الأولين والآخرين) وهي أفغانستان التي كانت دولة قبل أن يدمرها هؤلاء الأشباه من الأزارقة والحرورية ثم أطلقوا عليها لقب إمارة أفغانستان الإسلامية التي حكمها الطالبان الذين مشت بفظائعهم الركبان ونختار نموذجا واحدا من تلك الفظائع على طريقة خير الكلام ما قلّ ودل:

سألهم الصحفي هل تعتبرون قتيلكم شهيدا؟؟.

الإجابة نعم.

وقتيل الطرف الآخر هل هو مسلم تغسلونه وتصلون عليه وتدفنونه؟؟.

الإجابة: ليس كذلك كما أفتى العلماء الكبار ونحن لا نغسله ولا نصلي عليه ولكن نحفر له حفرة. وأريد أن أذكر لك أن قتيلنا يظل فترة طويلة دون تعفن إذا لم يدفن أما قتيل الطرف الآخر فيتعفن من أول يوم(١).

ولك أن تلاحظ تلك الكرامات والمنامات التي يجري دائما رشها كالبهارات ليسهل ابتلاع تلك التكفيريات عن الجثث التي لا تتعفن وعن حوريات الجنة التي يقفن كالوصيفات في انتظار إنسان فجر لتوه تلك المفخخات وأزهق عشرات الأرواح من أبناء البشرية المنكوبة بهؤلاء الأجلاف وعلمائهم الكبار ضاربا عرض الحائط بعديد الوصايا القرآنية التي تحرم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢) ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(٣) ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا

(١) مجلة العالم يناير ١٩٩٦ - ٥٨٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(١).

ولنطلع على نموذج من الفكر البدوي التكفيري لأحد هؤلاء الكبار تلك الفتوى التكفيرية النموذجية التي توزع جهاراً نهاراً في أرجاء مصر المعمورة على نفقة فاعل خير مقدمة بعنوان **توزع مجانا ولا تباع**.

حكم تارك الصلاة

لفضيلة الشيخ/ محمد صالح العثيمين

اطلع عليها وأطلع عليها غيرك وشارك في طباعتها

نشرا للفائدة وبراءة للذمة ومشاركة في الأجر.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . . أما بعد: فإليك يا أخي المسلم هذه الورقة وبها سؤال ألقي على فضيلة الشيخ/ محمد بن عثيمين أثابه الله فإليك السؤال والجواب.

السؤال: ماذا يفعل الرجل إذا أمر أهله بالصلاة ولكنهم لم يستمعوا إليه هل يسكن معهم ويخالطهم أم يخرج من البيت؟؟

الجواب: إذا كان هؤلاء الأهل لا يصلون أبدا فإنهم كفار مرتدون خارجون عن الإسلام ولا يجوز أن يسكن معهم ولكن يجب عليه أن يدعوهم ويلح ويكرر لعل الله أن يهديهم لأن تارك الصلاة كافر والعياذ بالله بدليل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح أما من القرآن فقوله عن المشركين ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾(١) ومفهوم الآية أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا أخوانا لنا ولا تنتفي الأخوة الدينية بالمعاصي وإن عظمت ولكن تنتفي عند الخروج عن الإسلام.

وإذا تبين أن تارك الصلاة كافر فإنه يترتب عليه أحكام المرتدين وليس في النصوص أن تارك الصلاة مؤمن أو أنه يدخل الجنة أو ينجو من النار ونحو ذلك مما يحوجنا إلى تأويل الكفر الذي حكم به على تارك الصلاة بأنه كفر نعمة أو كفر دون كفر ومنها **(أي من أحكام المرتدين)**:

أولا: أنه لا يصح أن يُزوَّج فإن عُقد له وهو لا يصلي فالنكاح باطل ولا تُحل له الزوجة.

ثانيا: أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عُقد له العقد فإن نكاحه ينفسخ ولا تُحل له الزوجة.

ثالثا: أن هذا الرجل الذي لا يصلي إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لأنها حرام ولو ذبح يهودي أو نصراني فذبيحته يحل لنا أكلها فيكون ذبحه أخبث من ذبح اليهودي والنصراني.

رابعا: أنه لا يحل له أن يدخل مكة وحرمها لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ﴾(٢).

خامسا: أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حقَّ له في الميراث لحديث أسامة (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

سادساً: أنه إذا مات لا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُصلى عليه ولا يُدفن مع المسلمين، إذن ماذا نصنع به؟ نخرج إلى الصحراء ونحفر له وندفنه بثيابه لأنه لا حرمة له وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميتاً وهو يعلم أنه لا يصلي أن يقدمه للمسلمين ليصلوا عليه.

فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله تعالى.

ملاحظة: صدر الإذن بطباعة هذه الرسالة من رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء برقم ٥/٢١٤١ بتاريخ ٣/ ١١/ ١٤٠٧ هجرية.

متى وكيف ومن هو المسئول عن توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية؟؟.

ذلك السؤال الجوهري الذي سمعنا له مجموعة من الإجابات المتناقضة التي يكذب بعضها بعضا ما بين قائل منذ توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية على العموم وترك المسألة من دون تعيين أو تحديد وقائل منذ سقوط الدولة العثمانية أوائل هذا القرن أو كما قال المستشار الهضيبي منذ مجيء الاستعمار الانجليزي قبل سقوط الخلافة العثمانية بخمسين عاما أو كسيد قطب الذي قال منذ قرون ولم يقل كم من القرون.. ثم اطلعنا على الفكر السياسي للحركة الوهابية في الجزيرة العربية التي هي في رأينا أم الحركات التكفيرية المعاصرة والتي حاربت الخلافة العثمانية وأسهمت في إضعافها وإسقاطها من خلال نفس الشعارات التي يجري استعارتها كلما تاقت أنفس البعض لاعتلاء سدة الرئاسة والاستيلاء على الملك مع إجراء بعض التعديلات الشكلية اللازمة بما يتوافق مع توقيت بدء الحركة فإذا كانت الدولة العثمانية ما زالت على قيد الحياة قالوا أنها دولة لا تحكم بما أنزل الله ويجوز الخروج عليها لأنها أصبحت دولة

كافرة تدين بالأفكار القبورية الوثنية وإذا كان بدء التحرك بعد تعاونهم مع الإنجليز أو الأمريكان من أجل إسقاط هذه الخلافة قالوا نحن نبكي على الدولة العثمانية والتي ساهمت قبل سقوطها في الدفاع عن فلسطين والتي والتي الخ إلخ.

والشاهد أن ما تطرحه هذه الحركات هو أبعد ما يكون عن الصدق والأمانة في تحليل الواقع وتوصيف أزمة العالم الإسلامي وسبل الخروج منها بل ويمكننا أن نقول بضمير واثق ومستريح أن هذه الحركات قد أصبحت جزءا من أزمة العالم الإسلامي المستحكمة، ويمكننا أن نذهب أبعد من هذا لنقول أن هؤلاء السادة قد أسهموا في تعقيد خيوط هذه الأزمة وصناعة أزمات جديدة لا تقل استعصاء على المشاكل الأصلية التي زعمت هذه الحركات أنها نهضت لحلها.

ولنمسك أولا بالأزمة المصرية التي لعبت جماعة الأخوان دورا رئيسا في تعقيدها وتحويلها إلى كارثة.

كلنا يعلم أن بدايات القرن العشرين جاءت ومعها حركة التحرر المصري من الاحتلال الإنجليزي وهي حركة لم تبدأ من الصفر فقد كان لمصر برلمان قبل قدوم هذا الاحتلال والمهم أنه كان في مصر ملك يملك ولا يحكم وديمقراطية ناشئة وبرلمان وانتخابات أياً كانت عيوبها أو أخطاؤها. ولا شك أنه كانت هناك فرصة للتغيير وتراكم البناء على يد الطبقة المصرية المثقفة ولكن جماعة الإخوان وإمامها (الملهم) آلت على نفسها إلا أن تعمل على هدم كل هذا والمساهمة الفاعلة في الإتيان بالنظام (الثوري) الذي هدم كل شيء ولم يفلح في بناء أي شيء وأصبح لدينا ملك يملك ويحكم حكما مطلقا برتبة

رئيس جمهورية عن طريق التوارث داخل المؤسسة العسكرية وقانون طوارئ مستمر منذ أكثر من خمسين عاما ويبدو ألا أمل في إلغائه وانتخابات مزورة وبرلمان شكلي وفقر يتزايد يوما بعد يوم ومؤسسات تعليمية تسير من سيئ إلى أسوأ وبطالة متفاقمة.

أمّا عن القضية الأم التي زعمت تلك الجماعة أنها نذرت نفسها من أجلها وهي القضية الفلسطينية فقد جاء زعيم الثورة زاعما انه سيحرر كامل التراب الفلسطيني ورحل.. وقد احتلت إسرائيل كامل تراب فلسطين وأخذت بفضله ما لم تكن أخذته عام ١٩٤٨ ويكفيه فخرا انه قام بتسليم الصهاينة ميناء أم الرشراش المصري (إيلات) الآن وأعطاها منفذا على البحر الأحمر في مقابل تلك السيادة الوهمية التي حصل عليها من خلال تأميم قناة السويس وهي أي السيادة كانت ستؤول إلى مصر حتما بموجب اتفاقية القناة التي كانت ستنتهي قانوناً آخر الستينات من القرن الماضي من دون حاجة لكل تلك الخسائر والهزائم. وهو مكسب كان على الصهيونية أن تكتفي به خاصة وقد جاءها على طبق من فضة بسبب حكمة وعبقرية القائد الإخواني الملهم (ناصر كلنا بنحبك) الذي استحق أن يحكم البلاد لأنه أقسم على المصحف أمام إمام الإخوان أن يحكم بالقرآن ثم عاد وتنصل من قَسَمِهِ ومن علاقته مع أولئك المتخلفين عقليا الذين لم يعترفوا يوما بأخطائهم ولا ينوون ذلك في المدى المنظور.

فشكرا للزعيم الملهم وشكرا للإمام الملهم وسحقا لمن يصدق أن هؤلاء الأشباه يمكن لهم أن يقودوا الأمة إلى خير.

أوّلاً: متى توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية؟؟.

لماذا لا يطرح السؤال بشكل مختلف؟؟.

ما هي عدد السنوات التي حُكم فيها العالم الإسلامي بالشريعة الإسلامية؟؟.

هل كان هذا العالم يحكم بالشريعة يوم أن حكمه المماليك لفترة تزيد على خمس قرون؟؟.

وهل كان هؤلاء العبيد يملكون أهلية التصرف في أنفسهم وأموالهم ناهيك عن التصرف في مصير الأمة؟؟.

السؤال الآخر هل كانت الدولة الأموية التي أذلّت رقاب المؤمنين وقتلت خيار أصحاب رسول الله ﷺ من أمثال حجر بن عدي الكندي ورفاقه وعمرو بن الحمق الخزاعي تحكم هي الأخرى بالشريعة الإسلامية أم أن السادة لا يقرؤون التاريخ ولا يرون ذلك لزاما عليهم ولا أدري كيف يمكن لعاقل أن يتصدى لقيادة الأمة وإشعال الحروب بناء على معلومات مزيفة؟؟!!.

هل كانت الشريعة الإسلامية مطبقة يوم أمعن ابن آكلة الأكباد وزبانيته ومنهم سمرة بن جندب في قتل المسلمين حيث يروي ابن جرير الطبري عن محمد بن سليم: (قال سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحدا قال وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له هل تخاف أن تكون قتلت أحدا بريئا قال لو قتلت مثلهم ما خشيت وروى أيضا قال قتل سمرة بن جندب في غداة سبعة وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن)[1].

(١) تاريخ الطبري/ج٥: ص٢٣٧.

وهل سمع هؤلاء السادة عن محاولة ابن آكلة الأكباد نقل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى الشام فلما أصدر أوامره وحرك المنبر كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية يومئذ فأعظم الناس ذلك فقال لم أرد حمله وإنما خفت أن يكون أرِضَ (أي أكلته الأرضة والسوس) فنظرت إليه ثم كساه يومئذ وقال إني رأيت أن منبر رسول الله ﷺ وعصاه لا يتركان في المدينة وهم قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأعداؤه فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله فكلماه فعدل (عن نواياه الإجرامية)[١].

أما عن يزيد بن معاوية وجرائمه فحدث ولا حرج فهو قاتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام وهو صاحب القرار التاريخي الشهير باستباحة مدينة رسول الله ﷺ في (واقعة الحرة) حيث قتل يومها آلاف من الصحابة والتابعين وهتكت أعراض آلاف المسلمات ثم يأتي من يقول لنا أن هؤلاء كانوا يطبقون الشريعة الإسلامية التي بقيت مطبقة حتى ألغاها الاحتلال الإنجليزي أو أضاعها أعداء الخلافة العثمانية إلى آخر هذه الخرافات التي انطلت وللأسف الشديد على رأينا العام الجاهل والمغُيّب والذي يصغي باهتمام شديد لهؤلاء الجهال وما زال يؤمل أن تتحول تلك الصحراء القاحلة التي قادوا إليها جموع المسلمين إلى واحة غناء بالرغم من أن الفشل الذريع هو المحصلة الأهم لكل هذه التجارب التي استهلكت رصيد الأمة من (اللحم الحي)!.

أما الأدهى من هذا فهو تلك الأكاذيب التي حولها وعاظ

---

(١) تاريخ الطبري/ ج٥: ص٢٣٨-٢٣٩.

السلاطين إلى واجب شرعي ومصلحة للأمة تتمثل في السمع والطاعة والانقياد والإذعان لهذا الصنف من الجبابرة وعدم الخروج عليهم. لأن من مات وليس في عنقه بيعة لمعاوية أو يزيد أو هارون غير الرشيد فقد مات ميتة جاهلية ولا أدري لماذا لم يف الوهابيون الذين يتمسحون بهذه (النصوص) الآن ويحرمون الخروج عليهم ببيعتهم للدولة العثمانية ولماذا لم يف الإخوان المسلمون في مصر ببيعتهم لفاروق الأول ملك البلاد ولماذا لم يف الأخوان ببيعتهم لقائد الثورة المباركة البكباشي عبد الناصر وفي رواية أخرى لماذا لم يف البكباشي ببيعة السمع والطاعة التي لزمته لإمام الأمة المبجل حسن البنا؟؟؟!!!.

إن الوقوف على تلك اللحظة التاريخية التي انفصلت فيها المسيرة السياسية والتشريعية للأمة الإسلامية عن الشرعية الإلهية هو أمر بالغ الأهمية والخطورة لأنه سيحدد لنا طبيعة المرض وكيفية علاجه وشتان ما بين التعامل مع حالة مرضية قديمة ومتجذرة وحالة أخرى طارئة جاءت نتيجة تآمر خارجي مثل سقوط الخلافة أو مجيء الاحتلال الإنجليزي.

في الحالة الأولى: فالمرض عندنا والعلاج بأيدينا لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وفي الحالة الثانية: فهناك جزء من المسئولية يقع على الغير ولكن هذا لا ينفي بحال أننا نتحمل كل أو معظم المسئولية عن حالة التدهور الفاجع التي وصلنا إليها والتي لا يمكن اختصارها بأي صورة من الصور في تلك الوصفة السحرية: غابت الشريعة الإسلامية وعلينا العودة إليها!!.

حالة الخلط والتخبط الذي يعيشه الفكر السياسي للجماعات الدينية.

يجمع كل المنظرين للفكر السياسي للجماعات الدينية على انطلاقهم من حتمية أو بدهية هي تمثيلهم لما يسمى (بأهل السنة والجماعة الفرقة الوحيدة الناجية من النار) حيث يقول سعيد حوى - إن رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله) ففي كل عصر من عصور الأمة الإسلامية هناك حملة لهذا الدين موكلون بحفظه وحمله ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[1].

والكلام ما زال لمنظر جماعة الإخوان قبل فصله منها (هذه الطائفة الموجودة خلال العصور هي التي حفظت الدين عقيدة وشريعة وفقها وسلوكا وتطبيقا وهي بلا شك أهل السنة والجماعة ولأهل السنة والجماعة عقيدة ومذاهب فقهية والجماعة الإسلامية الحقة هي التي تتبنى هذا الإرث الحق ولا تعارضه ولا تحاربه وجماعة الإخوان المسلمين كذلك ولذا أوجب الأستاذ البنا على الأخ المسلم أن يدرس عقيدة أهل السنة والجماعة ومذهبا من مذاهبهم)[2].

وقبل أن نستجلي معالم العقيدة السياسية لأهل السنة والجماعة فلا شك أن بعض ما قاله هذا المنظر يحتاج إلى أكثر من وقفة:

١ - فاستشهاده المبتور بآية سورة الأنعام على أن الحافظين

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

(٢) كتاب المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين: ص٢٤.

لدين الله هم أهل السنة والجماعة هو تزوير فاضح والآيات تحدثت عن إبراهيم عليه السلام وحواره مع قومه ثم تحدثت عن الأنبياء الذين خرجوا من مشكاة واحدة ثم تحدثت عن الذرية والآل وان هؤلاء هم من آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة والذرية والآل في الرسالة الإسلامية هم آل محمد صلى الله عليه وآله وهم من أذهب الله عنهم الرجس كما أن الآيات حددت معنى الكفر هنا بعدم الانصياع للذرية والآل الذين أشار إليهم ربنا عز وجل بأولئك. بينما أشار للأتباع المعرضين المهددين بالاستبدال بهؤلاء، وقد تحقق منهم بالفعل الصد والإعراض وقد استحقوا الاستبدال وهم الذين جعلوا الدين قراطيس يبدون منها ما لا يتعارض مع أهوائهم ورغباتهم المريضة ويخفون منها كثيرا ويزعمون انهم أهدى سبيلا وأنهم هم من قيضهم الله ومن سخرهم الله لحفظ الدين وإذا كان هؤلاء هم من حفظ الدين فمن أضاعه إذن؟؟!! واقرأ معي كلام الله ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾(١).

٢ - يقول المنظر الكبير أن هذه الطائفة (بلا شك) هي (أهل السنة والجماعة) فمن أين جاء صاحبنا بهذا اليقين؟؟ ومن هم أهل

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٧ - ٩١.

السنة والجماعة؟؟ هل هم الخوارج؟ أم بنو أمية أم العباسيون أم فقهاء السلاطين وما هي مواقفهم في مواجهة الظلمة والفاسدين من حكام المسلمين؟؟.

ولمن لا يعرف الحقيقة نقول أن الحديث عن أهل للسنة والجماعة هو حديث عن شتات عقائدي لا يجمعه جامع ولا يربطه رابط سوى (اجتماعهم على الفرقة وافتراقهم عن الجماعة) وعنوانها الأول أي (الجماعة الأمة) هو إمام الحق من آل محمد وكل ما عدا ذلك مما يسميه المنظر الإخواني من عقائد ومذاهب فقهية لا تعدو كونها إضافات جرى دمجها إلى العنوان الأبرز الذي ذكرناه سابقا أي الاجتماع على الفرقة وخلف أئمة الضلال من طواغيت هذه الأمة. وسنرى أن كل تلك الجماعات لم تجد بدا من الائتلاف حول إمام مزعوم هو واسطة العقد المنفرط من الأساس والعجب العجاب أنهم أدركوا بحسهم العقلي وجوب نصب إمام تجب له الطاعة بينما هم يزعمون أن المشرع الأعظم الذين يدعون أنهم يريدون إعادة شريعته المعطلة والذي دعاهم إلى الوحدة والتماسك قد أغفل هذا الأمر وفوّضه للأمة وتركهم في ظلمات لا يبصرون!!.

فأين هم أهل السنة والجماعة في التاريخ؟؟.

إنهم تلك الجماعات المنتفعة بالنظم المتسلطة التي حكمت العالم الإسلامي وأبادت منه الملايين!!!.

إنهم وعاظ السلاطين الذين قبلوا القيام بمهمة تزييف الوعي وتزييف الشرعية ومحاولة إسباغها على هؤلاء المجرمين.

أو هم تلك الجماهير المغلوبة على أمرها من المستضعفين في الأرض الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والذين رأوا بأم

أعينهم ما حل بكل من حاول التمرد على أولئك الطواغيت فاختاروا طريق سلامتهم الدنيوية وفوضوا بقية الأمور الدنيوية وأمورهم الأخروية لله رب العالمين وهذه هي الحقيقة.

متى كان أهل السنة والجماعة يشكلون المعارضة السياسية لتلك النظم الجبرية؟؟.

الجواب معلوم ومن لا يصدقنا فليطالع معنا ما قاله أحد هؤلاء الأحبار المدعو صلاح الصاوي.

يقول صلاح الصاوي (سبق القول أن للجماعة إطارين أحدهما علمي ويتمثل في الاجتماع على ما كان عليه السلف الصالح «ومتى اجتمع السلف الصالح على شيء؟؟» والقواعد الكلية في الاعتقاد والتحليل والتحريم ونحوه... والآخر سياسي ويتمثل في الاجتماع على الأئمة الشرعيين وعدم الخروج عليهم إلا بالكفر البواح ومن هنا نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة.. أهل السنة بتحريهم للحق واتباعهم له ودعوتهم إليه وأهل الجماعة للزومهم الطاعة للأئمة وإن تلبسوا بشيء من الجور ما أقاموا في الأمة كتاب الله وعدم الخروج عليهم إلا إذا أتوا كفرا بواحا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: (ولذا استقر رأي أهل السنة والجماعة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم).

وذكر الإمام أحمد بن حنبل في اعتقاده (السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أميرا للمؤمنين

والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر منهم والفاجر وقال أيضا ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج على هؤلاء الأئمة مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل هذا فهو مبتدع على غير السنة والطريق)[١].

أمّا أنا فأقول خارج على سنّة صلاح الصاوي لا على سنّة رسول الله ﷺ.

ويزيد الدكتور المذكور طينه بلة فينقل عن العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام (إذا تفاوتت رتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسقا مثل إن كان فسق أحد الأئمة «تخيل إمام بينما هو فاسق!!» بقتل النفوس وفسق الآخر بانتهاك الأبضاع وفسق الآخر بالتضرع بالأموال قدمنا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على من يتضرع للدماء وكذلك بترتيب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والصغير منها على اختلاف رتبها فإن قيل أيجوز القتال مع أحدهم لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته قلنا نعم دفعا لما بين مفسدتي الفسوقين من التفاوت ودرءا للأفسد وفي هذا وقفة وإشكال من جهة أنا نعين الظالم على فساد الأموال دفعا لمفسدة الأبضاع وهي معصية وكذلك نعين الآخر على فساد الأبضاع!! «إي

(١) صلاح الصاوي/الطريق إلى جماعة المسلمين: ص ٤٠.

والله هكذا يرى هؤلاء التعساء الأمور» دفعا لمفسدة الدماء وهي معصية ولكن يجوز الإعانة على المعصية «!!» لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة «وأي مصلحة أرجح من إسعاد هؤلاء الطواغيت وإعانتهم على هتك الأعراض وقضاء الوطر؟؟!!» وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربو على مصلحة تفويت المفسدة كما تبذل الأموال في فداء الأسرى المسلمين من أيدي الكفرة الفجرة)[١]

هل عرفتم لماذا تخلف المسلمون وانحدروا إلى ذيل الأمم من الناحية الأخلاقية؟؟.

وهل عرفتم لماذا لم يكن من العسير على الشرق والغرب أن يحتلوا بلاد المسلمين من دون مقاومة تذكر؟؟.

وهل رأيتم هذه الدرجة من الخلل العقلي والأخلاقي الذي أصيب به هؤلاء وكيف لم يجد الشيخ القديم الذي يسميه البعض سلطان العلماء حرجا في أن يفتي بالإعانة على هتك أعراض المسلمات تحقيقا لمصلحة أعلى وأهم وهل هناك مصلحة أعلى واهم من الحيلولة دون انتهاك الأعراض والحفاظ على الحرمات ثم يجلس القوم في منادبهم عفوا مساجدهم التي اقتصر دورها على عقد جلسات الندب على كرامة المسلمين الضائعة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية ثم يذكرون المعتصم العباسي الذي غزا بلاد الروم دفاعا عن كرامة امرأة مسلمة ثم يبررون هذا الغثاء بأنه من أجل مصلحة أهم هي إقامة الشريعة الإسلامية والدليل على ذلك أن القتل الجماعي والفردي وهتك الأعراض هو أمر جائز ومباح إلا أن تروا

---

(١) صلاح الصاوي/ الطريق إلى جماعة المسلمين: ص ٦٨.

كفرا مباحا ليس لكم من الله فيه سلطان وفي رواية ما أقاموا الصلاة!!!!!.

فماذا بقي من الإسلام والدين؟؟!!.

نعود إلى صلاح الصاوي وهو يواصل عرض فقهه التعيس البائس إنه فقه (قضاء الوطر السلطاني). ذلك الفقه الذي يتلقفه المخدوعون ويقتدون به أملا في إعادة مجد الأمة الضائع ولو كان هذا على يد المماليك الذين كان يفتي لهم (سلطان العلماء) إنه الفقه الذي جرى استخراجه من ثنايا كتب الفقه الصفراء ليقود حركة التغيير ويصبح منطلقا للاهوت تحرير الأمة من الظالمين والمستبدين. وأنى لفاقد الشيء أن يعطيه والمسألة كلها من ألفها إلى يائها لا تعدو أن تكون تمسحا بالدين ومحاولة مستميتة من البعض للجلوس موضع هؤلاء السلاطين والاستفادة من الامتيازات الضخمة الممنوحة لهم من خلال فقه الاستعباد والملذات والشهوات.. والخلاصة أن كل هذا الغثاء ليس من الله في شيء.

فماذا يقول ذلك المنظر البائس؟؟.

(يرجع معنى الجماعة إلى الاجتماع على الإمام وطاعة السلطان. والجماعة بهذا المعنى تقع في مقابلة الغي والتفرق في الراية ويسمى المفارق لها باغيا وناكثا وإن كان من أهل السنة والجماعة ومن هذه النصوص):

١ - عن عرفجة الأشجعي: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه.

٢ - البخاري عن أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد

حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله.

٣ - الشيخان عن أبي هريرة (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)[١].

وكأن الرسول الأكرمﷺ أوصى بطاعة بني أمية وعدم إغضابهم والسير على نهجهم!!.

ولماذا هذا الانتقاء وهل كانت هذه الروايات هي كل ما صح عن رسول الله في الفقه السياسي؟؟.

ألم تكن هناك وصايا أخرى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتوصي بحسن اختيار الحكام حتى لا يجد المسلمون أنفسهم في نهاية المطاف وليس أمامهم إلا الاختيار بين السيئ والأسوأ والمجرم والأشد إجراما أو بين المتعرض للأبضاع والمتعرض للدماء؟؟.

وأين أنتم أيها الفقهاء من مدرسة أهل البيت ومن سيرة الإمام علي والحسن والحسين الرافضة للظلم ومن كلماتهم النورانية التي تحض على الإباء والتي دعت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير نحو الأمام لا إلى الخلف كما يصر هؤلاء المتنطعون الجهلة.

وأين أنتم من كتاب الله الذي امتلأ بالدعوة إلى إقامة العدل والنهي عن الظلم والركون إلى الظالمين ومن بينها.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ

(١) صلاح الصاوي/ الطريق إلى جماعة المسلمين: ص١٦-١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(١)].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[(٢)].

﴿اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا﴾[(٣)].

فكيف يمكننا أن نتقبل ذلك الهراء الذي يزعم هؤلاء القوم أنه قد اصبح جزءا لا يتجزأ من عقيدة أي فرقة ناجية والأمر كله لا يعدو كونه مجرد أباطيل نطق بها جماعة من وعاظ السلاطين ومن فقهاء التبرير الذين قبضوا من دون أدنى شك ثمن هذه الفتاوى ذهبا وفضة سيأتي يوم لا ريب فيه يحمى عليه في نار جهنم فتكوى به جباههم وجنوبهم وظهورهم ويقال لهم ذوقوا ما كنتم تكنزون وويل لكم بما كنتم تكذبون.

الأحاديث النبوية:

أما عن الوصايا النبوية المطهرة التي تحث على مقارعة الظلم ورفض الرضوخ له والتماهي معه فحدث ولا حرج ولا ندري لماذا

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٨ - ٣٠.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٢، ١١٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

نبذها هؤلاء وراء ظهورهم وأفتوا في دين الله بأهوائهم وآرائهم الفاسدة؟؟.

عن كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ قال (أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء قلت وما إمارة السفهاء قال امراء يكونون من بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم)[١]

(لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراء فجرة وأمناء خونة وقراء فسقة سمتهم سمت الرهبان قلوبهم أنتن من الجيف والذي نفس محمد بيده لينقضن عرى الإسلام عروةً عروة حتى لا يقال اللهَ الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء الخسف ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[٢]

(ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبحهم وتصدقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد)[٣].

(ما من نبي بعثه الله ﷻ في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف

---

(١) عبد الرازق وأحمد والنسائي والبزار والطبراني الكبير والأوسط والحاكم.
(٢) موسوعة أحاديث الإمام المهدي/ج١ ص ٢٦.
(٣) الطبراني/ الجامع الصغير.

خلوف من بعدهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[١].

(سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرونكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله فلا تعتلوا بربكم)[٢].

(خذوا العطاء ما دام عطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم قال يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب موت في طاعة الله خير من حياة في معصيته)[٣].

الإمام الحسين عليه السلام يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(اعتبروا، أيها الناس، بما وعظ اللّه به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ

(١) مسلم - أحمد - البيهقي - كنز العمال.
(٢) أحمد - الحاكم.
(٣) الطبراني - حلية الأولياء - تاريخ بغداد.

يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[١] وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبه في ما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٢]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها. ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس مهابة يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتم بحق الأئمة فأما حق الضعفاء فضيعتم وأما حقكم بزعمكم طلبتم فلا مالا بذلتموه ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٧٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

على اللّه أن تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتم من كرامة اللّه منزله فضلتم بها ، ومن يعرف باللّه لا تكرمون وانتم في عباده تكرمون وقد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تفزعون وانتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله محقورة والعمي والبكم والزَّمن في المداين مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعتبون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون كل ذلك مما أمركم اللّه به من النهى والتناهي أنتم عنه غافلون وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجارى الأمور والأحكام على أيدي العلماء باللّه الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا لتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات اللّه كانت أمور اللّه عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور اللّه في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم فأسلمتم الضعفاء في أيديهم فما بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي باقتدائهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد وذي سطوة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجبا وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين غير رحيم، فاللّه الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

اللهم إنك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك في بلادك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا اللّه وعليه توكلنا واليه أنبنا وإليه المصير).

صدق رسول الله ﷺ عندما قال فلا تعتلوا بربكم لأن الله تبارك وتعالى لم يأمر بفاحشة ولم يوص أحدا بالرضوخ للظلم وإنما أوصى في محكم كتابه بالعدل والإحسان ونهى عن المنكر والفحشاء والبغي فمن أين جاء صلاح الصاوي والعز بن عبد السلام وأحمد بن حنبل بهذه الأقوال وكيف جرؤوا على تحويلها إلى عقائد فكانوا بذلك من أسس (للاهوت الظلم) في مقابل (لاهوت التحرير) الذي يتنادى به الآن غير المسلمين مستخرجين من دينهم كل ما يدعو للعدل ونصرة المظلوم بينما قام هؤلاء بجريمة كبرى عندما أدخلوا على ديننا ما ليس منه لأن الله لا يأمر بالظلم ولا بالفحشاء

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

ثم إن هؤلاء الفقهاء الذين وضعوا قاعدة لقتال المسلمين

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٨ - ٣٠.

وسفك دمائهم بعنوان قتال الطائفة الممتنعة تأسيا بما فعله خالد بن الوليد بمالك بن نويرة هم أنفسهم الذين عابوا على الإمام الحسين عليه السلام ثورته السلمية ضد بني أمية بالرغم من أن الإمام الحسين لم يذهب إلى الكوفة مصطحبا جيشا من المقاتلين ليحارب حكومة كان الكل يعلم أنها حكومة غاصبة للسلطة وتفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات الشرعية وإنما ذهب ملبيا دعوة الجماهير المسلمة التي طلبت منه أن يتصدى لقيادة الأمة وهي مهمة لم يكن يصلح لها يوم ذاك إلا الحسين بن علي عليه السلام ثم كان ما كان من تخاذل المتخاذلين واستخدام تلك الدولة الأموية اللاشرعية لأحط وأخس الأساليب لحصاره عليه السلام وقتله ومعه أهل بيته من دون حتى استثناء الأطفال الرضع. ثم نرى ابن تيميه وابن كثير يلمزونه بأنه إنما خرج طلبا للملك والإمارة وكان عليه أن يتورع عن ذلك لما ورد في البخاري ومسلم من النهي عن ذلك!!.

إنه الشيطان المضل والنفس الأمارة بالسوء التي حملتهم على تسويق ذلك التناقض المخزي وترويجه بين الدهماء إلى يومنا هذا.

ومن هنا كان ذلك التناقض المريب والجمع الغريب بين النقيضين فكر الرئاسة والتسلط الأموي وفكر التكفير الخوارجي فلماذا تثورون إذن على الحكومات المعاصرة إذا كنتم ترون أن من حق من تصفونه بالحاكم المسلم أن يقتل ويسرق وينتهك أعراض المسلمات وما هو السبب الحقيقي لتلك الثورة والغيرة المفاجئة على الإسلام والدين. هل هي الغيرة على الجماهير المسلمة المظلومة؟ من يومها إلى يومنا هذا أم أنه حب السياسة والرئاسة وعشق الظهور ولا شيء غير ذلك.

ثانياً: إعادة إنشاء الأمة الإسلامية

وبعد أن تكلمنا مطولا عن فهم هؤلاء السادة لما يسمونه توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية ننتقل إلى ما هو أغرب من ذلك وهو سعيهم لإعادة تأسيس وجود الأمة الذي انقطع مع (انقطاع العمل بأحكام الشريعة).

إنها إذا محاولة (لاستنساخ) أمة إسلامية جديدة بالرغم من استمرار وجود الأمة الأصلية على قيد الحياة تلك الأمة التي ننتمي جميعا إليها بالرغم من أننا لا نحظى ولا نريد أن نحظى بشرف الانتماء لأي من تلك التنظيمات وقد جربنا الانتماء لواحدة من تلك الجماعات وغسلنا أيدينا والحمد لله من تلك المسألة.

وهي في النهاية محاولة استمساخ لأنها وبفرض استمرارها ستنتج مسخا شائها لا هو هُو ولا غيره وقد رأينا بأم أعيننا تلك المخلوقات المشوهة التي انتشرت في كل بقاع العالم الإسلامي تنشر الذعر والخراب وتمارس القتل والإرهاب من دون وازع من خلق ولا ضمير أما إذا عضها سلاح القمع السلطوي سارعوا إلى إبداء الندم وطلب التوبة وإصدار كتب التحولات وطلب الشرعية ممن كانوا بالأمس كفارا لا يجدي معهم إلا السيف وصدق الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾(١).

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

وراثة الأمم في القرآن:

للأمم دورة حياة كما للأفراد.

تبدأ حياة أي أمة بتبنيها لرسالة نبي من الأنبياء وتنتهي (حياتها) عندما تصل علاقتها بالرسالة السماوية التي تحملها إلى نقطة الانحراف النهائي فيختفي أهل الحق من بين صفوف هذه الأمة وتنعدم فاعليتهم وقدرتهم على التأثير الإيجابي في مسار الأمة الفكري والأخلاقي والسياسي ويومها يصبح وجود الأمة هو والعدم سواء حتى وإن بقي على الأرض من يدعون اعتناق الدين الذي هو عنوان وجود الأمة.

القرآن الكريم ينبهنا إلى أن وجود الأمة يصبح عنوانه هذه الفئة المتميزة من عباد الله الصالحين فيمنحهم سبحانه لقب (أمة) حتى ولو كانوا فردا واحدا كما كان إبراهيم عليه السلام (أمة) أو رجلا يساوي أمة ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[1] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[2]. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[3].

أما عن سبب منحهم لقب (أمة) رغم أنهم مجرد جزء منها فهو ان وجودهم أصبح سر وجود هذه الأمة فقد أصبحوا منها بمنزلة الروح من البدن وهم حملة الحق المُلتفوّن حول إمام الحق لا أولئك المتجولون بين النصوص الدينية بأهوائهم وآرائهم ممن تحدثنا عنهم من قبل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨١.

إنهم الفئة الملتفة حول الحجة أو الإمام (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وهذا هو مفهوم الإمامة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذي حاول المدعون والمنتحلون ما ليس لهم إسباغه على أئمتهم المزيفين فعن (أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم وإن نقصوا شيئا أتمه لهم)[١].

وعنه أيضا أنه قال: (ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله)[٢].

فالرسول إذن هو أب الأمة ومبدأ وجودها والإمام هو سبب استمرارها وبقائها في الإطار الذي أراده المشرع الأعظم وليس على طريقة كيفما اتفق (وإن الله قيض وإن الله اختار) التي أدمنها المزورون من قديم الأزمان.

يمتد عمر الأمة ووجودها باستمرار بقاء الحجة وبقائها على الجميع سواء كانوا من أهل الاستقامة أو من أهل الزيغ والأهواء ممن سلكوا طريق الهلاك والندامة فإما أن يتحقق النصر النهائي للحق وأهله وتعلو كلمة الله على الدين كله ولو كره الكافرون أو يحدث العكس ويتحقق الفوز لأهل الباطل مثل أولئك الذين عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[٣] وعندما ينتهي أجل الأمة بأحد النهايتين يأتي وعد الله لأن الله لا يخلف الميعاد ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ

(١ - ٢) الكافي.

(٣) سورة الشمس، الآيتان: ١٤، ١٥.

ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١]. ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾[٢]. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٣].

وعندها تصبح الأمة أمة سابقة حتى لو بقي من أهل الأرض من يدعي الانتماء لها ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

أما عن الأسباب الموجبة لوقوع العقاب والنكال الإلهي فتتلخص في كلمة واحدة وسبب رئيس هو الظلم وخاصة الظلم الجماعي أو السياسي ناهيك عن غياب العدل الاجتماعي ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[٥] ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[٦] وهو ذنب لا يمكن الاعتذار منه وهو فعل يجرمه العقل ويشهد على بشاعته التاريخ: التاريخ البشري المكتوب والتاريخ المدون في كتاب الله ﷻ الذي قص علينا مصارع الظالمين والمتجبرين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٥. وسورة المؤمنون، الآية: ٤٣.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣١.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3].

القارئ لكتاب الله ﷻ يرى ذلك التأكيد على مبدأ رفض الظلم والاستكانة للظالمين ويرى الدعوة للتصحيح والإصلاح ثم يصاب بعد ذلك بالذهول عندما يطالع ذلك الغثاء الذي قدمه لنا وعاظ السلاطين وأسبغوا عليه وصف العقيدة الصحيحة التي تقود صاحبها الجنة ولا ادري أي عقيدة صحيحة تلك التي تدعو التباع لتسهيل السرقة والقتل وانتهاك الأعراض؟؟.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[4].

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[5].

العقاب الإلهي قد يكون نهائيا وشاملا وقد يكون تحذيريا جزئيا كما هو حال المسلمين الآن الذين تنزل بهم الكوارث والقوارع التحذيرية والتي لم تصل بهم إلى حد الإهلاك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[6]

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٦ - ٩٨.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٧.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٩.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٤١.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(١). لعلهم يرتدعون عن غيهم أو يتراجعون عن الاستمرار في ظلمهم أو يكون عقابا شاملا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾(٢).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٣).

وعندما ينزل العقاب الجماعي بأمة يصبح الاستبدال حتمية لا فكاك منها ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾(٤).

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٥).

فهل انتهى وجود الأمة الإسلامية حتى يأتي هؤلاء لوراثتها؟؟.

والعجيب الغريب أنهم لا يأتون بشخصية مغايرة لتقوم بدور الوارث. فالمنطق يقول أن الابن يرث الأب أما أن يتم استنساخ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٩.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٥) سورة الدخان، الآيات: ٢٥ - ٢٩.

نفس الشخص ليرث نفسه فهذا هو البله والعته بعينه وهذه هي حقيقة ما يحاول هؤلاء القيام به أي استنساخ أمة إسلامية جديدة تقوم بالاستغناء عن خدمات الأمة السابقة، باعتبار أن الأمة القديمة قد انتهى عمرها الافتراضي يوم أن توقفت عن العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وآن الأوان لإنشاء أمة جديدة أو سيارة جديدة بدلا من التردد المستمر على ورش السمكرة والإصلاح على طريقة انسف حمامك القديم!!!.

والأغرب من هذا أن هؤلاء القوم هم ورثة هؤلاء الفقهاء المخرفين (الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) عندما زعموا ما زعموا من فقه سياسي كان يتعين على المجددين المحدثين أن يدركوا أن هذا هو الجزء المعطوب وأن من الممكن إعادة الأمة السابقة للخدمة إذا أفلحنا في إقناع طاقم القيادة الغبي أو طاقم الإصلاح الأغبى والأكثر جهلا والراغب حتما في تعظيم دوره من خلال توسيع رقعة المقاولة بتغيير فقهها السياسي ومعه فقهها الأخلاقي بدلا من اللجوء إلى نفس المصنع الذي أنتج السيارة الأولى المعطوبة والتي توقفت تماما عن المسير لنعيد نفس المسار الفاشل والتجارب المريرة والكوارث المروعة.

هل قال هؤلاء السادة هذا الكلام أم أننا نفتري عليهم ونحمل كلامهم ما لا يحتمل؟؟.

من ناحية فالواقع يغني عن كل بيان ولكن فلنرجع إلى النصوص التي سننقلها باستفاضة ووضوح حتى لا يقال أننا نجتزئ الأدلة لنبرّر بها تحاملنا على هؤلاء الأبرياء الأماجد.

إلام استند القوم في دعواهم لإنشاء أمة لا إله إلا الله من جديد وتنصيب إمامة جديدة؟؟.

لقد جاء كل هذا من قراءة مزاجية لرواية واحدة عن رسول الله ﷺ أغفلت كل ما ذكرناه سابقا من أحاديث وآيات.

عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس على عهد رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد هذا الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فماذا تأمرني إن أدركني ذلك قل تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فغن لم يكن لهم جماعة ولا غمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

يقول صلاح الصاوي (ثم أخبر رسول الله ﷺ بالمخرج من هذه الفتن يومئذ فقال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ولقد أظلنا لعمر الحق ذلك الزمان ووقف الدعاة على أبواب جهنم يدعون الناس إليها باسم العلمانية تارة وباسم الشيوعية تارة أخرى وقد اتفقوا جميعا على الكفر بشرائع الإسلام والتمرد على حاكمية القرآن والسنة ولا مخرج من هذه الفتن المطبقة إلا بما جعله رسول الله ﷺ مخرجا وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم أو الاعتزال حتى الموت)[١].

أما سعيد حوى: فكان اكثر وضوحا من هذا حيث خرج من

(١) صلاح الصاوي/الطريق إلى جماعة المسلمين ص١٠.

قراءته لنفس الرواية باستنتاج أسماه فتوى عصر (أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) فقال «إنه من استقراء لمجموع النصوص (أي مجموع يقصد؟؟!!) ولواقع المسلمين الحالي واحتياجاتهم نستطيع أن نحدد مواصفات الجماعة التي تعتبر جماعة المسلمين والتي يجب على كل مسلم أن يضع يده بيدها كفتوى عصر من رسول الله ﷺ أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم وعلى ضوء هذا التحديد فإن على المسلم أن يحدد التزامه فمسألة جماعة المسلمين ليست دعوى بل هي مسألة من أخطر المسائل على الإطلاق ومع أن المرشد الأول والثاني لم يعتبرا من سوى الأخوان خارجا عن جماعة المسلمين ومع أنه لم يزل فقهاء الدعة المعتمدون يعتبرون الأخوان المسلمين جماعة من المسلمين تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين ومع أن فقهاء الدعوة المعتمدين يعتبرون أن الأمر كذلك فإن الأدلة كلها تدل على أن هذه الجماعة هي أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين)[1].

ألم اقل لكم أن القوم مصرون على استنساخ الأمة أو استمساخها وأنهم يعملون بجد ودأب لإنتاج ذلك الكائن العجيب والعهدة على فقهاء الدعوة المعتمدين (ولا أدري من الذي اعتمدهم وعلى أي شيء اعتمد الفقهاء المعتمِدِين في اعتمادهم للفقهاء المعتمَدين) الذين يرون أن جماعتهم هي الأقرب والأنسب للفوز بلقب جماعة عموم المسلمين وأن المسألة من وجهة نظر هؤلاء وهؤلاء هي مسألة وقت ومواءمات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) سعيد حوى/ المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين: ص٢١.

ولا أدري كيف توصل هؤلاء المعتمدون إلى أن جماعة الإخوان هي المقصودة في قوله ﷺ تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ومن هو إمامهم ولماذا أعرض المسلمون عن إمامهم إمام الحق من آل محمد وأنكروا عشرات بل مئات الروايات الواردة والتي توصيهم بالسير على نهجه ونهج أهل البيت ثم وقعوا على تلك الرواية التي جرى تحميلها فوق ما تحتمل ناهيك عن أنها نص في وجوب اتباع الإمام من آل محمد بطل بدر وأحد والأحزاب ومن قال فيه رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه ولا أدري كيف حملها المزورون لتصبح دليلا على إمامة (قائد الكشافة)(١).

رحماك ربي.

ثم يقول سعيد حوى (إن جماعة الأخوان هي الجماعة الوحيدة التي يمكن أن تشكل القاسم المشترك الذي يلتقي عليه المسلمون جميعا)(٢).

(وجماعة الأخوان تسع المسلمين جميعا)(٣).

(إن الحديث الشريف الذي هو فتوى عصر أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم أن جماعة المسلمين مستمرة إلى ما بعد نزول المسيح عيسى بن مريم وإمام المسلمين ليس شرطا حتى يعتبر إماما أن تكون بيد سلطة تنفيذية فقد نص فقهاء الشافعية أن منصب الخلافة إذا فقد تنتقل أحكام الخلافة إلى أعلم أهل زمانه إن الأخوان المسلمين من خلال حكم الله ومن خلال القواعد المنبثقة عن

---

(١) حسن البنا الساعاتي!!.

(٢) سعيد حوى/ المدخل: ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق ص ٢٩.

الشورى يحاولون الوصول إلى جماعة إسلامية كاملة على رأسها مرشد يقود المرحلة الراهنة فهل رأى أحد في هذه الأمة رجلا كحسن البنا وهل رأى الجيل الحاضر رجلا اصلب من حسن الهضيبي وإن لخليفة الاثنين في أعناقنا بيعة)[١].

يمكننا إذا أن نلخص ما أسماه الرجل بفتوى عصر صادرة (عن رسول الله ﷺ) للمسلمين جميعا وخاصة في زماننا هذا:

١ - أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

٢ - أن جماعة المسلمين هي نفسها جماعة الإخوان المسلمين.

٣ - أن إمام المسلمين الواجب اتباعه بعد رسول الله ﷺ هم حسن البنا أ حسن الهضيبي - عمر التلمساني - محمد حامد أبو النصر - مصطفى مشهور - مأمون الهضيبي - وأخيرا وليس آخرا محمد مهدي عاكف وان من مات وليس في عنقه بيعة لمحمد مهدي عاكف مات ميتة جاهلية.

فمن هو محمد مهدي عاكف هذا الذي أصبح من المعلوم بالدين بالضرورة وأصبحت البيعة له واجبة في عنق كل مسلم ومسلمة وهل حقا آلت إليه سلطات الخليفة الفقهية كونه أعلم أهل زمانه كما يقول فقهاء الشافعية؟.

رحماك ربي من هذا البلاء!!.

الديماجوجية الدينية

يبدو واضحا تلك الأساليب الديماجوجية التي أدمنها منظرو تلك الجماعات في سعيهم لجلب أكبر عدد ممكن من الأتباع الجهلة

---

(١) سعيد حوى/ المدخل: ص٣٠.

سواء بأحكام الدين أو بالمسار التاريخي للأمة الإسلامية ودونك الملاحظات التالية:

١ - عندما يعتمد الأستاذ المنظر على تلك الرواية التي أوردها البخاري ومسلم ويتعامى عن غيرها من الروايات التي تناولت قضية الإمامة وأغلبها للأسف الشديد من الموضوعات. ويمر مر الكرام على تلك الرواية التي تتحدث عن (اثني عشر خليفة أو إماما كلهم من قريش) مع إيمانه الجازم بصحة كل ما أورده الشيخان من دون حاجة إلى تدقيق أو تمحيص ألا يعد هذا كارثة أخلاقية وفكرية وفقهية بينما هو يقدم لزعمه بالقول (من عرض مجموع النصوص) ؟؟!!.

٢ - الرواية الوحيدة التي يعتمدون عليها لم تقل أنشئ جماعة وسمها جماعة المسلمين وعين نفسك إماما لها وشكل جيشا سمه الجيش الإسلامي ثم أطلقه ليقتل عباد الله البر منهم والفاجر ولكنها قالت (الزم جماعة المسلمين وإمامهم) أي أنها نص على وجود الإمامة واستمرار دورها في حياة المسلمين كما أنها أيضا نص على استمرار وجود الجماعة المسلمة حتى قيام الساعة.

٣ - من أين جاء منظرو الجماعة أو ملفقو الجماعة بأن جماعة المرشدين هم أعلم أهل الأرض و(الإمام) المؤسس لم يكن فقيها ولا عالما ورعا من علماء الدين وقد أسس جماعته وهو في العشرين من عمره ولا نعلم من أين جاء بكل تلك الكرامات والخوارق التي نسبت له وكل ما نعلمه أنه قتل رأسا برأس وكل ما تركه من تراث فقهي هو مجموعة من الخطب

الطنانة الرنانة التي حاول الأتباع أن يجعلوا منها تراثا فكريا. وهيهات هيهات، أما عن بقية المرشدين وأعلميتهم فهي ليست سرا ولو كان لأي منهم تراث فقهي أو فكري لقدمه للعالمين، ولكنهم وللأسف الشديد مجرد قادة ميليشيات وإن أعوزتك الدقة قادة أحزاب سياسية بعد أن أعلنوا توبتهم عن القتل وقاموا بتفكيك جيشهم المسمى بالإسلامي (مكرهاً أخاك لا بطل).

٤ - الازدواجية الأخلاقية والعقلية التي يعيشها هؤلاء بين خطاب الداخل وخطاب الخارج فهم يقولون للناس نحن جماعة من المسلمين بينما هو يقولون لأنفسهم نحن جماعة المسلمين وسيأتي اليوم الذي ينضوي فيه الجميع تحت لواء الجماعة الأم أي انهم وحدهم هم المسلمون وكل من عداهم لا يمكن أن ينال هذا الشرف العظيم.

إطلالة سريعة على قضية الإمامة في السنة النبوية والتي تجاهلها أو جهلها هؤلاء القوم:

١ - عن جابر بن سمرة قال (قال رسول الله ﷺ لا يزال الدين قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)(١).

٢ - عن ابن مسعود قال (سألنا رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة قال اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل)(٢).

٣ - واقعة الغدير التي أجمع كل أصحاب السنن على روايتها

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي.
(٢) موسوعة أحاديث الإمام المهدي.

وكانت لدى عودة رسول الله ﷺ من حجة الوداع حيث جمع الناس في موضع يقال له غدير خم ثم قال ﷺ: (فإني فرط على الحوض وأنتم واردون علي الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤى بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه يقولها ثلاث مرات وفي لفظ احمد إمام الحنابلة أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب ثم لم يتفرقوا حتى نزل جبريل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية فقال رسول الله ﷺ الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وآله) وممن هنأه في مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا

ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وقال ابن عباس وجبت والله في أعناق القوم[1].

فمن هم يا ترى هؤلاء الأئمة (الإثنى عشر) الذين ذكرهم رسول الله ﷺ للأئمة والذين بانتهائهم يحدث الهرج والمرج وتقوم الساعة وهل أن أئمة الإخوان من بينهم؟؟.

ألم يحاول هؤلاء الأفذاذ أن يحققوا في هذه الأحاديث، أم أنهم ينتقون من السنة المطهرة ما يوافق مزاجهم ويحقق أهدافهم في بناء تنظيمهم وحكم الدنيا ولو كان هذا على أشلاء الحقيقة؟.

الإمامة في مدرسة أهل البيت:

بماذا نسمي ما ذهب إليه القوم في أئمتهم أئمة الجماعات؟؟.

إنه الغلو والتطرف بمعناه الحقيقي!!.

الغلو أن تدعي لنفسك أو لغيرك ما تعجز عن إثباته وما يحتاج إلى أدلة وبراهين ولا يحتاج الأمر بالضرورة أن تثبت أو تدعي لنفسك أو لغيرك ما يوصف بالخوارق لنعتبر أن ما تدعيه يدخل في إطار الغلو.

خذ عندك ما تدعيه جماعة الإخوان المسلمين لنفسها من امتلاك الفهم الشامل للإسلام من دون دليل ولا بينة ولا برهان سوى أنهم رفعوا شعارا يقول ان (الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف ووو)!!.

إنه نموذج للغلو والتطرف في مدح الذات من دون بينة ولا برهان والقوم ليس فيهم من يمكن وصفه بالاجتهاد إلا شخص واحد مع التجاوز والقوم أغلبهم من التكنوقراط وليس لديهم مؤسسة علمية

---

(١) الطبراني - الحاكم أحمد بن حنبل - النسائي في الخصائص.

دينية تخرّج علماء مجتهدين كتلك التي في النجف أو في قم ومع ذلك لم نسمع أيا من هؤلاء المراجع العظام يزعم لنفسه ما تزعمه جماعة التكنوقراط المسلمين لنفسها!!!.

أما التطرف الأخطر فهو ما يذهبون إليه في شأن بطل الكشافة مؤسس الإخوان من عجائب وخوارق وإمامة لا ندري من أين جاء بها وأخطاؤه لا تعد ولا تحصى!!!.

فعن أي إمامة يتحدثون؟؟.

أما إذا انتقل الكلام لمن نصبّه رسول الله ﷺ في موضع الإمام وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي» رأيتهم ينظرون إليك يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا وسواء رضي القوم أم لم يرضوا فنحن نقص عليهم عن أئمة الحق ونكتفي بتلك الرواية الجامعة الشاملة لنعلم أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا.

الكافي ج١: عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم إن الله عز وجل لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا فقال عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] وأنزل في حجة

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١) وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض ﷺ حتى بين لامته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم عليا عليه السلام علما وإمام وما ترك لهم شيئا يحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم إن الإمامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلا مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾(٢) فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: «ومن ذريتي» قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾(٤) فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ فقال جل وتعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) فكانت له خاصة فقلدها ﷺ عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾(٢) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟؟ إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة ، والموعظة الحسنة والحجة البالغة ، الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجي من الردى الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك من فارقه فهالك الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٦.

البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البارة بالولد الصغير ومفزع العباد في الداهية النآد الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الالباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه أو يفهم شئ من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعبا دحضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة ، فلم يزدادوا منه إلا بعدا ولقد راموا صعبا وقالوا إفكا، وضلوا ضلالا بعيدا ووقعوا في الحيرة إذ تركوا آلاما عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم

فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون» وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[3] أم ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[4] أم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[5] أم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[6] بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٢) سورة القلم، الآيات: ٣٦ - ٤١.
(٣) سورة محمّد، الآية: ٢٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٧.
(٥) سورة الأنفال، الآيات: ٢١ - ٢٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول ﷺ والرضا من الله ﷻ شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ﷻ ناصح لعباد الله حافظ لدين الله. إن الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2] وقوله في طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4] وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾[5] وإن العبد إذا اختاره الله ﷻ لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاما فلم يعي بعده بجواب ولا يحير يه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧
(٤) سورة النساء، الآية: ١١٣.
(٥) سورة النساء، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وساعده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه تعدوا - وبيت الله - الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جل وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١] وقال: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٢] وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٣] وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الجماعات الإسلامية ولاهوت التحرير:

لاهوت التحرير كما يقول الباحث حسام تمام (Liberation Theology) في موقع إسلام أون لاين هو (القراءة الثورية للمسيحية التي من خلالها أعاد بعض آباء الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية قراءة المسيحية لمصلحة الفقراء والمعدمين والمظلومين والمهمشين وهي بذلك تمثل انقلابا لاهوتيًا أدى لتوسيع مجال الإيمان بحيث يشمل المسئولية تجاه الواقع وتغييره متجاوزا تغيير وإصلاح الضمير والنفس وحسب، وذلك من خلال قراءة تؤكد على

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٢) سورة محمّد، الآية: ٨.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٥.

أن «الخلاص لا يكون بالتحرر من الخطايا فقط، بل بكل أشكال التحرر الأخرى بما فيها التحرر السياسي والاقتصادي. . .»، وهي قراءة تزاوج بين الخلاص وتحرر الإنسان وبين الإيمان والعمل السياسي، وبين ملكوت الله وبناء العالم. كما أنهم أعادوا قراءة التوراة والإنجيل والتراث الكنسي كله قراءة منحازة للفقراء ضد الأغنياء، مؤكدين على أن المسيح نبي الفقراء ومخلصهم، وأنه كان فقيرا، ولا بد أن يكون في صف الفقراء وليس الأغنياء).

لاهوت التسلط والاستبداد هو جزء أصيل من ثقافتنا الموروثة يتجلى في الإذعان المطلق لكل ما هو قديم من دون تدقيق ولا تمحيص ومقاومة أي محاولة لإعادة قراءة التراث الإسلامي بصورة تنسجم مع العقل بل وحتى مع النبع الإلهي القرآني الصافي الذي فشلت أجهزة الإعلام السلطوي في تلويثه وتحريفه عن مواضعه.

ديمقراطية الوسائل وليس الغايات.

النموذج الأوضح لأن الحالة العقلية للمسلمين وليس للإسلاميين وحدهم ما تزال أبعد ما تكون عن إنتاج منظومة للقيم والأفكار يمكن أن تسمى لاهوتا للتحرير هو الشيخ القرضاوي في كتابه الأخير. والذي جمع فيه كل الروايات التي أبدعها لاهوت التسلط والظلم من أجل إقناع من يسميهم بشباب الصحوة بالصبر على أئمة الجور وأن من فارق الجماعة شبرا فميتته ميتة جاهلية. ثم أوضح المعنى بما لا يدع مجالا للشك حيث نقل عن الشوكاني أن (من فارق الجماعة شبرا كناية عن معصية السلطان أو السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فميتته ميتة جاهلية أي أن حاله في الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال

وليس له إمام يطاع)[١].

ثم قال (والأولى بالمسلمين أن يتفقوا على آلية للتغيير ويستفيدوا مما وصل إليه العالم من الوسائل الديمقراطية والمؤمن يلتمس الحكمة أنى وجدها ولا حرج على المسلمين أن يقتبسوا من الوسائل عند غيرهم ما دامت هذه الوسائل غير مخالفة لنصوص الشرع ولا قواعده بل هي من المصالح المرسلة التي تتحقق بها مقاصد الشريعة ومنافع الناس)[٢].

إنه إذن تغيير على مستوى الوسائل والتكتيك ولكنه أبدا ليس تغييرا في المحتوى القيمي الذي يتبناه المسلمون عامة والإسلاميون خاصة والذي ما زال يؤمن بكل ما حوته كتب التراث بعجره وبجره.

النموذج الثاني: لأن الإسلاميين ما زالوا يؤمنون بلاهوت القهر والتسلط وما زالوا يعبدون (إله القوة) حتى بعد أن تكسر وتشظى لا لشيء سوى رفعه شعار المواجهة للولايات المتحدة الأمريكية استنادا إلى ذلك التراث الأصفر (إلا أن تروا كفرا بواحا أو ما أقاموا فيكم الصلاة) هو موقفهم من الأزمة العراقية وتباكيهم على قتلة وسفاحي الفلوجة برغم كل ما ارتكبوه وما ارتكبه نظام (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: صدام وعدي وقصي) من جرائم وفواحش يشيب لها الولدان وكل هذا يعني ببساطة ألا شيء قد تغير في منظومة القيم التي يؤمنون بها والتي لا ترى قيمة للإنسان في مقابل قيمة الشعار الإسلامي أو القومي الفارغ من أي مضمون أخلاقي وهذا هو دأبهم.

---

(١) القرضاوي/ الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٣١٩.

(٢) المصدر السابق: ص٣٢٦.

إعادة قراءة الإسلام!!.

هل لنا أن نطالب القوم بالتعلم من آباء الكنيسة اللاتينية، والاقتناع بأن خلاص المسلمين لا يتعلق بمجرد إعلان دولتهم الإسلامية أو استلامهم السلطة أم أن من تشبه بقوم ولو في استخدام العقل صار منهم ونحن لا يمكن أن نتشبه بأحد إذ أننا نعتقد اعتقادا جازما أننا وبأوضاعنا الراهنة التي ورثناها كابرا عن كابر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] هكذا ومن دون حتى أن نكمل قراءة الآية التي تلزمنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر حتى ولو كان هذا المنكر روايات تراثية نسبت إلى رسول الله مهما كانت درجة تناقضها مع كتاب الله!!؟

هل آن لنا أن نحلم بقراءة ثورية للدين تبدأ أول ما تبدأ بتحرير العقل من ذلك التناقض الجوهري الكامن بين أن الله يأمر بالعدل في حين يأمر رواتنا (الذين اصبحوا رموزنا المقدسة) بالإذعان للظلم وإعانة القتلة ومنتهكي الأعراض على ممارسة جرائمهم (درءا لأسوأ المفسدتين) كما يزعم شيوخنا وقد نقلنا في هذا الكتاب ما قاله العز بن عبد السلام والقرضاوي وغيرهم من جواز إعانة الحاكم الظالم على فسقه وظلمه ولا أدري كيف يمكن أن ينتج فقه (الإعانة على المعصية) حرية أو ديمقراطية أو حتى شيئا يمكن وصفه بدين الله ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

من أين نأتي بلاهوت التحرر!؟

إنه هناك في مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي مثلت القراءة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

الصحيحة والنزيهة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولسيرة أئمة أهل البيت ولا أدري كيف يمكن لأمة تدعي الإسلام أن تعرض عن سيرة الأئمة المضحين والصالحين من آل بيت نبي الإسلام.

لقد كان ما كتبته عن سيرة آل بيت النبوة (على خطى الحسين) (الشيعة والثورة ١ و٢) (الجمل) (علي بن أبي طالب وأخلاقيات السياسة) (التحكيم) (الزهراء سيدة نساء العالمين) فضلا عن هذه السطور داخلا من أدنى شك في محاولة تقديم صورة واضحة للطريقة التي قدم من خلالها أهل البيت عليهم السلام نموذجا واضحا لهذا التصور الثوري للإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد راسم النفيس



من أسس
لثقافة العنف؟؟

دراسة في أيديولوجية العنف السياسي
في المشروع الإسلامي المعاصر

الدكتور/ أحمد راسم النفيس

مقدمة الكتاب

(إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين فلا بد من تحصيله).

الشيخ محمد عبده (رحمه الله)

لم تشهد مصر والحمد لله أحداثا مشابهة في ضخامتها لما حدث في بلدان إسلامية أخرى كالجزائر وأفغانستان بالرغم من أن التأسيس المعاصر لفكر وأطروحة الجماعات الدينية بدأ في مصر على يد مؤسس جماعة الأخوان المسلمين.

كان السادات الراحل يؤكد في خطاباته التي يهاجم فيها الجماعة وخاصة في آخر سني حكمه على أن كل هذه الجماعات قد خرجت من عباءة جماعة الأخوان. وكانوا هم يردون بأن لا علاقة لفكر الأخوان (المعتدل) بالفكر المتطرف لهذه الجماعات ومما أكسب دفاعهم شيئا من المصداقية أن تلك الجماعات كانت هي الأخرى تهاجم الأخوان باعتبارهم مجموعة من المتسيبين (الذين تمتلئ منازلهم بالتلفزيونات) والمتعاونين مع السلطة الطاغوتية وهم يبرءون إلى الله من كل من لا يكفر بالطاغوت؟؟!!.

أما تعاون الأخوان مع السلطة فكان أمرا حقيقيا كشف عن تفاصيله لا عن وجوده رجل الأخوان والسادات محمود جامع في كتابه (عرفت السادات) ولا شك أن عودتهم (الظافرة) إلى ساحة السياسة في سبعينات القرن الماضي ومعهم بنوكهم وأموالهم(؟؟)

كانت جزءا من صفقة سياسية جمعت هؤلاء المتخاصمين سابقا (السادات والأخوان - فهو من حاكمهم عسكريا عام ١٩٥٤) على هدف مشترك هو محاربة بقايا ومخلفات الحقبة الناصرية، ناهيك عن أن السادات جاء إلى الحكم بعد سنوات قليلة من التطور الأخطر في تاريخ الأخوان الذي تمثل في ظهور سيد قطب وأفكاره التي تعتبر الدنيا كل الدنيا جاهلية معاصرة وقام باستخدامهم في خدمة نظامه أي أنه نجح في إقناعهم بالتخلي عمليا عن تلك الأفكار المتطرفة . . . . إنها صفقة متبادلة بيع وشراء وهذا ما رفض الناصريون المتطرفون أو عجزوا عن إدراكه أي أن السادات نجح عن طريق السياسة والدهاء في تحقيق ما عجز عنه عبد الناصر بالقوة والسلاح، ناهيك عن أنه قد خرج من تلك المعركة مثخنا بالجراح الأدبية والمعنوية. فهو قد أثبت بسلوكه الفظ مع سيد قطب والجماعة كل الاتهامات التي ألقيت عليه من معاداة للإسلام والجاهلية القديمة والمعاصرة. وهو ما نجح ذلك الداهية (أنور السادات) في تجنبه ولكن تسامحه مع خصومه السياسيين أغراهم في النهاية بمهاجمته بضراوة حتى أسقطوه بالرغم من أنه لا يختلف مع الناصريين ولا حتى الأخوانيين اختلافا جذريا.

أما أنهم شيء مختلف عن باقي الجماعات فهذا نكتة ممجوجة لا نصدقها فعن أي اختلاف يتحدثون؟؟

هل يتحدثون عن الاختلاف في البنية التنظيمية؟؟

من المؤكد أن هذا تنظيم وهذا تنظيم مختلف ولكل تنظيم مرشد أو أمير.

ولكن الثابت أن كل هذه التنظيمات قد خرجت من عباءة تاريخية فكرية واحدة تعتمد قراءة متقاربة للتاريخ الإسلامي وهي

قراءة بلا قراءة. . . . قراءة خاصمت القراءة ولم تعتمد أي قراءة في العمق للتاريخ الإسلامي الذي تحول في وجدان هذه الأمة على يد القصاص والحشوية إلى (ما يشبه السيرة الهلالية المليئة بالبطولات والمفاخر والتي لم يكن فيها أي نوع من المساخر ولا قتل الحسين ولا ديست مدينة رسول الله ﷺ بالأقدام على يد جيش يزيد ولا انتهكت حرمتها ولا هدمت الكعبة حتى أفاق المسلمون ذات صباح على سقوط الخلافة العثمانية على يد العلمانيين الأتاتوركيين (لعنة الله عليهم) ومن يومها والعالم الإسلامي يعيش تحت الاحتلال العلماني والعالم الغربي يتلاعب بحكامنا كأحجار على رقعة الشطرنج، وهم لا يستحقون أي وصف حميد. فهم لا يحكمون بما أنزل الله وينبغي قتالهم باستثناء النظام الملكي الوراثي السعودي الوهابي فهو وحده الذي يحكم بما أنزل الله . . . هكذا شهد له الشيخ عبد العزيز بن باز الورع التقي أعلم أهل الأرض!! الذي أفتى من ضمن ماأفتى هو ومجموعة العلماء الوهابيين المستنيرين!! بأن الأرض ليست كروية بل منبسطة وأن الشمس تدور حول الأرض وليس العكس وأن ما ورد في كتب العلوم هي مجرد أقاويل لا ترد صريح القرآن وأن محمد أنور السادات كافر حلال الدم أما المجتمعات فهي تعيش في حالة جاهلية أو ردة أو ترك لا يهم تعددت الأسباب والكفر واحد).

هذا هو تحليلهم السياسي وهو نفس التحليل السياسي لكل تلك الجماعات المسماة بالإسلامية. ذلك التحليل الذي يرى أن الصراع الداخلي الدائر الآن هو صراع بين العلمانية وعملائها من الحكام المتغربين. وأن هذه العلمانية إنما هي ظاهرة حديثة إلى حد ما ناتجة عن محاولات الغزو الصليبي المستمر لبلدان العالم

الإسلامي التي انتهت باحتلال بلدان هذا العالم لعدة قرون وقبل أن يرحل هؤلاء المحتلون تركوا لنا هذه الكوكبة من الحكام الذين تربوا في المدارس التبشيرية ولذا وجب قتالهم!!

إنها رؤية لا تخلو من وجاهة شكلية.... رؤية مبنية على حقيقة تزامن الحالة التغريبية مع مجيء الاحتلال الأجنبي ثم رحيله عن بلداننا وعلى حرص هؤلاء المحتلين في كل البلدان التي دخلوها على إيجاد مجموعة من المتعاونين معهم. ولكن الواقع يقول أن التزامن لا يعني بالضرورة أي ارتباط سببي ويبقى أن السبب الأساس وراء وقوع العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال ثم التغريب هو تخلفه وانحطاطه في كل المجالات وأولها من دون أدنى شك المجال الديني أي أن التغريب نتيجة أكثر من كونه سببا للحالة الراهنة.

هل كان التغريب هو السبب وراء الحالة الاستبدادية التي لم تخرج الأمة عن قيودها منذ الدولة الأموية؟؟.

هراء.... فنحن العرب والمسلمين لم نفلح على الإطلاق في تسلم الرسالة الدينية الحقيقية التي جاء بها رسول الله ﷺ ولا العمل بمقتضى ما فيها من قيم سامية تحترم الحرية وحقوق الإنسان والطهارة الاجتماعية وانتهكت كل هذه القيم في حمى الهجمة الأموية البشعة على خط أهل البيت سواء في الحملة الأولى على علي بن أبي طالب عليه السلام ثم في الحملات التي تلتها على الحسن بن علي عليه السلام ثم في تلك الجريمة الكونية التي ارتكبت في حق الإمام الحسين عليه السلام والتي يمتنع أولئك السادة من إسلاميي آخر الزمان عن ذكرها أو إدانتها باعتبارها من مخلفات الماضي أما هم فهم الحاضر الزاهر والغد المشرق!! والله يشهد أنهم لكاذبون وقد عاشرناهم

وعرفناهم وعملنا معهم وقدمنا لهم أعظم الخدمات فلم نجد فيهم إلا استمرارا للنهج الأموي مع بعض التعديلات الشكلية (لزوم الشغل والضحك على الذقون) كسلفهم (العظيم عمرو بن العاص) صاحب مأساة التحكيم وهم على إثره سائرون.

هذه هي القراءة المشتركة لتلك لجماعات فمن الذي زرع هذا الفكر بخطئه وصوابه في ساحتنا الإسلامية؟؟.

القاعدة تقول: أن السابق حجة على اللاحق وأن جماعة الأخوان هي التي افتتحت هذا المشروع في بدايات القرن الماضي، وهي من دون أدنى شك صاحبة قصب السبق في إشعال المواجهة بين الحكومة المصرية وبقية الجماعات وهي أيضاً صاحبة المفردات والتعريفات المستخدمة في توصيف الواقع من بقية الجماعات الأبناء باعتبارها هي الجماعة الأم وهو تعبير «لطيف ظريف» من اختراع الأخوة لم يجر تعديله ولا الاعتراض عليه من أحد باعتبار أن كل ما ينطقون به هو من قطوف الحكم مع أن استخدام هذا المصطلح بالذات مما لا يجوز السكوت على استخدامه ولا تداوله بين الناس. فهناك جماعة واحدة ينضوي تحت لوائها كل مسلمي العالم هي (الأمة الإسلامية الواحدة) التي لا يجوز استخدام اسمها بواسطة غيرها ولا بواسطة أي جزء من أجزائها للدلالة على مجموعها وإلا اعتبر ذلك نوعا خطيرا من أخطر أنواع النصب والاحتيال التاريخي.

هذه الجماعات وهؤلاء الرموز:

امتلأ الهواء بأولئك المنتفخين ورموزهم التاريخية القديمة والمعاصرة وهي رموز أصبحت مقدسة لا ينبغي المس بها لا بالنقد ولا بالتجريح فهؤلاء المقدّسون قدموا خدمات جليلة للإسلام

والمسلمين وضحوا بأرواحهم في سبيل الله ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] أما نحن فنضع في مقابل هذا الاستدلال استدلالا آخر لا يقل وجاهة عنه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2] فعندما قررنا أن نقرأ تراث حسن البنا ذلك (**الأسطورة العجيبة مخلوق النور، الإمام الشهيد، القبضة الحديدية الذي تعنو له الجباه والجبال فلا تسمع إلا همسا**) لم نجد شيئا من ذلك الوهم والخيال الذي نسجه حوله المبهورون والمنتفعون بتلك الظاهرة.

ما هي معارفه؟؟ ما هي مؤلفاته وإنتاجه العلمي الذي منحه لقب الإمام؟؟ لم نجد شيئا سوى مجموعة من الخطب الطنانة الرنانة. وظروف سياسة في بلد تحت الاحتلال أتاحت له إنشاء تنظيم توسع وامتد لأسباب لا يعلمها إلا الله وساسة وأجهزة مخابرات ذلك الزمان. ثم نجح ذلك التنظيم في ضم أعداد من المتعلمين أو أشباههم الجاهلين بحقائق الدين المُغيّب فصدّقوا تلك الأكذوبة، أكذوبة الجماعة والسمع والطاعة لإمام الجماعة المزيف الذي تحول آخر سني عمره إلى أداة يتلاعب بها قادة عصابة آل كابوني العسكرية التي أنشأها وهو بعد هذا كله شاهد زور ومتلاعب بالشريعة الإسلامية يستطيع أن يحول جريمة قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد إلى قتل خطأ ويدفع في مقابلها دية وهمية لا لشئ إلا لأنه لا يستطيع ولا يقدر أن يحاسب تلميذه القاتل ثم هو في نظر تلاميذه من البسطاء قادة المجتمع الآن إمام شهيد ومجدد هذا القرن.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

أي خزي وعار هذا؟؟.

أما الأسطورة الأكذوبة الأخرى فهي (سيدنا قطب) **منشئ دين التوحيد الجديد!!** الذي لم نجد فيه سوى مكفراتي يجيد النفخ في الكلمات ومطها وعجنها ودكها وتقديمها في قالب مثير يحتفي به عالم جاهل ومتخلف ومتمرد على أوضاعه في نفس الوقت فلا عجب أن تنتشر وسط هذا المجتمع أفكار فاسدة وأكثر تخلفا.

أما ما يقولونه من أن سيد قطب لم يكن يمثل ما يسمونه (بخط الجماعة) فكنت أتمنى من هؤلاء المغالطين أن يدلونا أولا على هذا الخط وهل هو على طريق القاهرة بورسعيد أم القاهرة الإسكندرية؟؟ كفى ضحكا على الذقون فهذه الجماعة لم يكن لها يوماً ما خط ولا نهج فالإمام أنشأ الجماعة وحصل على رتبة الإمامة ثم لحق به منظرو الجماعة (الغزالي وسيد سابق وأخيرا القرضاوي) يعني أن الجماعة نشأت قبل الخط وكل ما طرحه المؤسس لا يزيد عن كونه (أطروحة في التكوين والتنظيم) وبعض المقولات المتواضعة في نقد واقع المسلمين أغلب الظن أنه قد (اقتبسها) من بقايا المشروع الوهابي نظرا للتشابه اللفظي الشديد بين ما قاله الاثنان (انظر كتابنا محاولة استمساخ الأمة) هذه واحدة، والثانية: أن ما قاله سيد قطب لا يخرج عما قاله حسن البنا بل يتطابق معه في رؤيته للمجتمع (الكافر والجاهلي والمرتد). صحيح أن حسن البنا لم يدع إلى ذلك صراحة ولكنه اعتبر أن أتباعه هم أصحاب محمد وحملة القرآن ورافعو لواء الدين في ربوع العالمين والعقل الجديد الذي يميز بين الحق والباطل. وإذا كان حسن البنا و(ثلته) هم هؤلاء فلا شك أن من عداهم هم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان (قبل أن يصبح سيدنا أبو سفيان طبعا: :!) إذن فالجوهر الفكري التكفيري واحد لا اثنان

ومحاولة الجماعة الرد على سيد قطب من خلال كتاب (دعاة لا قضاة) هو رد فعل لا تأصيل لفكر وعلى كل حال فحتى هذا الكتاب لم يخرجهم من الورطة إلا إلى ورطة أخرى أشد فعنوانه تكفيري تكفيري تكفيري فما هو معنى دعاة؟؟ وهل تدعو الجماعة المسلمين إلى الإسلام أم تدعو الكافرين؟؟.

الأخوان المسلمين والتحالفات السياسية:

ألقت السلطات المصرية أخيرا القبض على المدعو (السويركي) وهو واحد من المنتمين إلى تلك التيارات الفكرية بتهمة تعدد الزيجات والرجل قد أصابه الثراء الفاحش لأسباب لا يعلمها إلا الله فكانت نهمته في النساء أو (التحالفات الجنسية الشرعية) والأمر لا يعنينا وربما كان الرجل مظلوما ثم قرأت في تلك الأثناء نداء من الأعماق من أحد الصحفيين الأخوان للتحالف بينهم وبين الناصريين. وسرد الرجل الضرورات والمبررات التي تحتم ذلك التحالف وتجعل منه حتمية تاريخية مثلما كان صدام التيارَين قبل قرابة النصف قرن هو حتمية تاريخية أيضا فقلت: سبحان الله وجدته وجدته!! هذا هو (السويركي السياسي) والآخر هو السويركي النسائي أو زواج المسيار السياسي الذي أباحه منظر الأخوان (الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي) فكلاهما يقول لمحبوبته أو لحليفه المؤقت والمرتقب(إنتي الأولى والأخيرة) حتى ولو كان رقمها في لائحة الزوجات ٥٠ أو ٦٠ لا يهم المهم القدرة على الإقناع.

فليتحالفوا!! ولكن أذكر ذات يوم في ثمانينات القرن الماضي، وعلى عتبة الانتخابات أن تحدث مسئول الأخوان المحلي في المنصورة في اجتماع جماهيري حاشد وذكر حوارا دار بينه وبين أحد

ضباط الأمن السياسي فقال: (أنا قلت له يا أحمد بك أنتم بهذا تجبروننا على التحالف مع الوفد على ما بيننا وبينه من خصومات قديمة . . . . قال لم؟؟ قلت له: تعلم أننا لا يمكن أن نتحالف إطلاقا مع الشيوعيين في حزب التجمع ولا الناصريين في حزب العمل «**المرحوم حزب العمل الزوج السابق للسويركي السياسي**» قال بكل تأكيد . . . قلت إذن لم يبق أمامنا إلا حزب الوفد وهو الحزب الوحيد الذي يمكننا أن نتحالف معه) ومضت الأيام وتحالفوا مع الوفد ثم خلعوه «أول من طبق قانون الخلع السياسي» ثم تحالفوا مع حزب العمل وقتلوه وها هم الآن يخطبون ود الحزب الناصري ولا أدري هل يكتفون بخلعه أم قتله أم ماذا؟؟.

أما عن تحالفاتهم قبل الثورة وما بعدها فهي تكشف بوضوح شديد عن انتهازية سياسية وأخلاقية من طراز فريد. فهم قد تحالفوا مع النقراشي ثم قتلوه. وهم قد تعاونوا مع الملك فاروق ثم انقلبوا عليه، وهم تحالفوا مع الضباط الأحرار ثم حاولوا قتل عبد الناصر ثم كان تحالفهم الشهير مع السادات ثم تمردهم عليه. ونقول للبسطاء الذين يرون العيب في المتحالف معهم أنه إذا كان هذا حقيقيا فكان ينبغي على الأخوان أن يتوقفوا عن التحالف مع أولئك (الأوغاد) الذين لا يوفون بعقودهم بعد أول أو ثاني تحالف على أكثر تقدير أما أن تتكرر تلك التحالفات والخيانات المتبادلة فهذا يقطع بأن ذلك الصنف من السلوك إنما هو هواية ومتعة ومنهج أصيل إنه مسيار ومسار سياسي.

الجماعة تطالب بالمشروعية:

أما ثالثة الأثافي: فهي مطالبة (الجماعة) بالحصول على ما يسمونه (بشرعية الجماعة) وهي أيضا واحدة من قطوف الحكم

الإخوانية؛ ونحن وبكل تأكيد ممن لا يفرحون لمصائب الآخرين ولا لما يحل بهم من ويلات ولو أن هؤلاء الحكماء العظماء قد تأملوا في مطلبهم هذا وأخذوا في الحسبان أنهم يطالبون بترخيص لا يقتصر على مجرد إثبات وجودهم السياسي الاجتماعي ولكنه يلغي وجود الأمة الإسلامية كلها ويكرس وجود أمم متنازعة باعتبار أنهم جماعة أي مشروع أمة المستقبل ونحن والحمد لله متمسكون بانتمائنا للأمة الإسلامية الأصلية لا نبغي عنها حولا ناهيك عن أن هذا الشباب الصلف المغرور فاته أن هناك (جماعات) أخرى تنازعهم هذا الحق وكلهم يدعي وصلا بليلىٰ وليلى لا تقر لهم بذاك؛ فهل ينبغي على النظام الحاكم في مصر أن يصدر قانون تمزيق ما تبقى من أمة ممزقة بعنوان (قانون حرية إنشاء الجماعات الدينية) وهي إشكالية تخص كل أمة لا إله إلا الله من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب؟؟

هل يتعين على أحد من عقلاء الأمة أن يفعل هذا لمجرد تسهيل مهمة هؤلاء في الاستيلاء على النقابات وأموالها؟؟.

أعتقد أنه لا ضرورة لأن يلح الأخوان على مطلبهم هذا فأمورهم المالية على ما يرام والدعم يأتي من البهاما ومن غيرها والحمد لله فالكثيرون منهم (من أخوان سنبل) قد بدأوا رحلة المليون مع استيلائهم على النقابات وأمورهم المالية والحمد لله جيدة ومستقرة ونرجوهم ونلح عليهم لوجه الله أن يرفعوا أيديهم عن وجود الأمة وكفانا ما فعلوه بنا وبمصر ومن لا يصدقنا فليقرأ السطور التالية.

من أسس لثقافة العنف

دراسة في أيديولوجية العنف السياسي للجماعات الإسلامية المعاصرة

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(١).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(٢).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٣).

نفتتح بتلك الآيات القرآنية حتى لا يتوهم أحد أننا نسعى لنزع سلاح العالم الإسلامي وتحويله إلى منطقة منزوعة السلاح كما يحلم الصهاينة وكما يتمنى أعداء الأمة الإسلامية.

الواجب العقلي والشرعي والأخلاقي يحتم على المسلمين التسلح بالقوة اللازمة للدفاع عن الذات بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني ثقافية وأخلاقية وفكرية واقتصادية وسياسية وجغرافية تلك القوة وحدها هي التي تحمي هذا الوجود لا معاهدات السلام ولا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.

القوانين الدولية فإن العنف باب الأبجدية في زمان عهره دول على حد قول الشاعر.

ومن هنا يأتي تحليلنا لظاهرة العنف داخل المجتمع الإسلامي باعتبارها خصما من رصيد القوة الحقيقية للأمة لا إضافة لها تلك الظاهرة الكارثة التي أسهمت من دون شك في إضعاف مجتمعاتنا فضلا عن تشويه صورة عالمنا الإسلامي في أعين العالم المتحضر الذي ينبغي علينا أن نتوجه إليه بخطاب يعبر عن عظمة الإسلام وتسامحه بدلا من أن نسعى إلى فقدان مواقعنا الموقع تلو الآخر.

ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ (تدمير برجي مركز التجارة العالمي) لتؤكد هذا المعنى الذي أوردناه في هذه السطور. ويتسابق الكتاب والمفكرون والمثقفون لإدانة ما يسمونه بالعنف والإرهاب بصورة عشوائية لفظية لا تنفذ إلى حقائق الأشياء ولا تحاول حتى التعرف على الأسباب الفكرية والفقهية الكامنة وراء تلك الظواهر ومن بينها من دون أدنى شك غياب الديمقراطية السياسية والحرية الفكرية، وإدعاء كل طرف من هذه الأطراف المتواجدة على الساحة أنه من دون غيره صاحب الحقيقة المطلقة ومالكها الأوحد وصاحب العلامة التجارية المميزة.

فمن الذي أسس لثقافة العنف داخل المجتمعات الإسلامية؟؟

وما هو دور القوة الحربية في حسم الصراعات السياسية الداخلية؟؟

ومن هم المؤسسون القدامى ومن قام بإعادة التأسيس؟؟

ولن يكون همنا هو مطاردة أسماء بعينها وإنما سيأتي ذكر الأسماء كجزء من السرد العام للوقائع ولذا نعتذر مقدما لمن سنأتي بأسمائهم فالهدف سيكون التأصيل ليس إلا.

السؤال الأول: هل يجوز أن يقتل المسلم أخاه المسلم؟؟

الإجابة عندي وأنا الذي أرفض ثقافة العنف والسحل هي نعم يجوز للمسلم أن يقتل أخاه المسلم تحت ظروف معينة.

أما عند إخواننا الذين يتبنون ثقافة العنف فلا !!! والفارق بيني وبينهم أنهم يحكمون بكفر من أرادوا قتله أولاً ثم يقومون بمهمتهم (بأعصاب هادئة وضمير مستريح) لأنهم لم يقتلوا مسلما!!

هكذا فعلوا قديما مع من أسموهم بالطائفة الممتنعة وهكذا فعل الخوارج مع خصومهم وهكذا فعل قادة ذلك التيار في القرن العشرين الذين أعادوا تأسيس ثقافة العنف والهمجية واصفين إياها بمشروع الجهاد الإسلامي ومحاولة إعادة بناء الدولة الإسلامية.

أما نحن فنقول أنه يجوز قتل المسلم تحت الظروف الآتية:

١ - القصاص الشرعي ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[1]. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[2].

٢ - الزاني المحصن المقر بفعلته إقرارا شرعيا من دون إكراه.

٣ - اللوطي إذا قامت عليه البينة.

٤ - الخارج على الدولة الإسلامية الديمقراطية الذي يحمل السلاح بهدف القتل وترويع الأمن.

٥ - حالات الدفاع الشرعي عن النفس.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

وفي كل هذه الحالات يبقى المجرم من (حيث الظاهر) على حاله إن كان مسلما أو غير مسلم وهو يُقتل بجريمته لا بسبب عقيدته.

ولا شك أن الحالات السابقة هي من الأمور المتفق عليها من الناحية الشرعية بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

فكيف استباح البعض تكفير غيره من المسلمين تمهيدا لقتله وسفك دمه.

أمامنا عدة وقائع تاريخية كان لها أسوأ الأثر في مسار الأمة الإسلامية والتأصيل لهذا النوع من الإجرام المتسربل باسم الدين، وقال الله وقال الرسول. والله ورسوله بريئان ممن ﴿قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

لم ولن نستخدم لهجة الخطاب الرسمي الحكومي الذي يستخدم المفردات الأمريكية في تحليل الواقع ولكن هذا الموقف السلبي من الخطاب الرسمي لن يأخذنا إلى ذلك الموقع الكهنوتي الذي تصطف فيه تلك الرموز البائسة التي أفرزتها مرحلة أكثر بؤسا وشقاءاً. أولئك الذين جعلوا همهم الوحيد تسويق تلك البضاعة الفاسدة وإعطائها مكسبات طعم ورائحة من الشرق والغرب والهند والسند ثم طُرح كل ذلك الرغام باعتباره المشروع الإسلامي المعاصر الذي كاد أن ينجح في الوصول إلى ذرى السماء (لولا بعض الأخطاء هنا والتجاوزات هناك ومنه لله عبد الرحمن السندي!!.. لا منه لله عبد الناصر) المهم لديهم أن تضيع الحقيقة بين كهنة المعبد الذين يتقاذفون التهم تارة والثناء تارة أخرى ليبقى رموز هذه الفترة

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

البائسة الذين أسهموا كلهم وبلا استثناء في صنع الكارثة قادة إسلاميين مجتهدين وسيدخلون الجنة من غير حساب ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(١) والأسوأ من هذا كله أن هذه الفلول المهزومة التي كان عليها أن تحافظ على ما تبقى من ماء وجهها لو كان فيه يوما ماء تزعم أنها تريد أن تجمع الأمة على ذلك المشروع، مشروع الهزيمة بقيادة هؤلاء المهزومين وصدق رسول الله ﷺ حينما قال (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) وفي يقيني أن هؤلاء السادة ومن تبقى منهم مكانهم الوحيد والأكثر ملاءمة هنالك في متحف مخلفات أم المعارك الشهير.

الواقعة الأولى:

هي قتال ما سمي بالطائفة الممتنعة أو مانعي الزكاة فقد أعلن الخليفة الأول الحرب على من أسماهم بمانعي الزكاة أو المرتدين فهل كان كل هؤلاء حقا من مانعي الزكاة ومن ثم أصبحوا من المرتدين؟؟

الثابت أن هؤلاء الناس لم يكونوا من المرتدين بل كانوا متريثين في إخراج زكاة أموالهم إلى الخليفة الجديد وهذا ما أثبتته البحوث التاريخية حيث يقول الدكتور (إحسان صدقي العمد) في بحثه: (وربما كان الشيخ علي عبد الرازق من أوائل الباحثين الذي حاولوا التفريق بين من رفض بيعة أبي بكر ودفع الزكاة إلى عماله وبين من ارتد عن الإسلام وبين من ادعى النبوة منهم ويدخل مسيلمة

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

الحنفي في الفئة الأخيرة من هؤلاء إذ يقول الشيخ علي عبد الرازق: «وقد نرى في مشاهداتنا أن دعوى النبوة ليست بعيدة من المضلل الغوي إذا هو لقي انجذابا من العامة وأغوى منهم صحابا وأحبابا ولا شيء أسهل عند العامة من الإيمان بنبوة هذا الغوي إذا هو عرف كيف يغويهم بالضلال ويمدهم في الغي) وقد عرف مسيلمة بالفعل كيف يغوي بني حنيفة ويضلهم أما آجواد عليخ - والكلام ما زال لأحسان صدقي العمدخ - فيرى أن جملة الأخبار المتعلقة بمسيلمة لا تفيد أنه اعتنق الإسلام أصلا وبالتالي لا يصح وصفه بالمرتد)[1].

إذن فوصف الردة ينطبق على الأسود العنسي وعلى مسيلمة الكذاب وعلى سجاح هذا إذا سلمنا بفرضية إسلامهم منذ البدء والدليل على ذلك هو قصة عيينة بن حصن الفزاري الذي أتي به أسيرا مجموعة يداه بحبل ينخسه غلمان المدينة بجريدة يقولون أي عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقولِ والله ما كنت آمنت بالله قط فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه[2].

فما هي قصة مانعي الزكاة ؟؟ ننقل عن ابن جرير الطبري حكايتهم قال:

(وكان مما أوصى به أبو بكر قائد جيشه (خالد بن الوليد) إذا نزلتم منزلا فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه!!

(١) (حركة مسيلمة الحنفي) الحولية الثانية/ الرسالة الثامنة والخمسون ص٧٦ كلية الآداب جامعة الكويت ١٩٨٩.

(٢) تاريخ الطبري/ج٣: ص ٢٦٠.

(التعجب من عندنا) وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة فجاءته الخيل بمالك بن نويرة وآخرين فاختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا ثم أمر بهم فقتلوا فغضب لذلك أبو قتادة غضبا شديدا وعاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا ثم **(تزوج؟!)** امرأة مالك بن نويرة أم تميم ابنة المنهال **(في نفس الليلة)** ثم قطعت رأس مالك وأثفوا برأسه القدر مع رؤوس الآخرين (أي وضعت بدلا من الأحجار التي توضع تحت قدر الطعام أثناء الطبخ) فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة الشعر!!! والعلامة من عندنا ويبدو أن عمر بن الخطاب رأى في هذه الجريمة (نوعا من التجاوز) فلما دخل خالد إلى المسجد في حالة من الخيلاء وقد غرز في عمامته أسهما وثب إليه ثائرا فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك ثم دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره وأمر بدفع الدية إلى أهل مالك ورد سبيهم ولما ألح عليه عمر أن يعزله قائلا إن في سيفه رهقا فقال لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفا سله الله على الكافرين)[1] [ويبدو أن هذا هو سر تسميته بسيف الله المسلول].

نحن أمام واقعة بالغة البشاعة أُسِّست لفقه التكفير والاستحلال والقتل وإحراق المعارضين بالنار لأن القوم يعتبرون الخليفة الأول

(١) تاريخ الطبري/ج٣: ص ٢٧٦-٢٨٠.

مصدرا مستقلا من مصادر التشريع مثل الكتاب والسنة. تلك الواقعة التي أسست بعد ذلك لقتال ما سمي بالطائفة الممتنعة فمالك بن نويرة قتل وانتهكت حرمته ومثلت بجثته لأنه من وجهة نظر هؤلاء كان ممتنعا عن أداء الزكاة أي كافرا ومن هنا جاء اللاحقون وساروا على نفس الدرب فأفتى لهم شيخ الإسلام ابن تيميه (أي إسلام هذا) بأن **(كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة والمتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين فإذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن إقامة الصلاة أو الزكاة أو عن صيام رمضان أو حج البيت أو أو وأخذ يعدد الذنوب التي تبيح القتل والسحل فلم يبق شيئا حتى قال أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار)** وهذا الكلام معناه أن من تسول له نفسه الاعتراض على الجريمة سالفة الذكر عد من الطائفة الممتنعة وجاز قتله وانتهاك حرمته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن تلك الحادثة ثم لائحة الفتاوى الدموية التي صدرت بسببها تكشف عن واحدة من أخطر الثغرات في الفكر الإسلامي القديم والمعاصر. وعن نفسية ما سمى بشيخ الإسلام ابن تيميه تلك الشخصية المريضة، التي تعشق سفك دماء المسلمين واستعذاب قتلهم بسبب اتهامات واهية لا تقوم على أساس قطعي لا يحتمل الشك أو التأويل.

الواقعة الثانية:

الواقعة الثانية من وقائع العنف الدموي المتسربل بالدين هي واقعة استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تلك الواقعة التي

تكشف بوضوح عن وجود نفوس قد تجردت من بشريتها واستجمعت نزعات الشر في قلوب ذئبية لم يبق بينها وبين الحيوانية الوحشية إلا الأظافر والأنياب التي استعارتها في شكل سيوف ورماح ومسدسات تطلقها على أهل الفضل والعلم وشموس هداية هذه الأمة ومن ثم يصبح ارتكابهم لأي جرم مشابه مع من هو أقل شأنا من على بن أبى طالب عليه السلام أمر سهل وهين وميسور وكلنا أقل منه شأناً وعلماً وفضلاً.

لقد حدثت على مدار التاريخ عشرات من جرائم الاغتيال السياسي بعضها يمكن تبريره وتسويقه. أما أن يقتل إمام الأمة بطل بدر وأحد وخيبر وهازم الأحزاب بيد كلب عقور يصيح إن الحكم إلا لله فهذا مالا يمكن فهمه ولا استيعابه بسهولة ومن هنا لابد من طرح ذلك السؤال الهام والملح والمتجدد حول الحد الفاصل بين الجهاد المشروع في سبيل الله وبين الرغبة في التشفي من المعارضين في الرأي أو المخالفين في النهج والرؤية وكلها جرائم يمكن استخدام الشعار الديني في تبريرها وتسويقها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هنا أيضا تأتي أهمية استعراض ذلك النموذج، نموذج استشهاد الأمام علي عليه السلام بالرغم من أني أرى «أحفاد ابن ملجم» وقد ارتدوا ثياب العلم والاستنارة وقد نسوا أو تناسوا جريمة الأجداد وهم يقولون «أتشبهنا بمن قتل علي بن أبي طالب فنحن لم نقتل إلا (المحاربين للدين من العلمانيين) أقول لهم أنا لا أشبهكم بل أنبهكم إلى أن النفوس التي استطاعت أن تبرر اغتيال أول من أسلم ومن قام الإسلام بسيفه وجهاده لن يستعصي عليها أن تستخدم نفس السلاح ضد من هو أقل شأنا من علي بن أبي طالب. طالما وجود

أدوات التبرير والهدف السياسي السلطوي الذي يعطي لذلك التبرير النكهة الإيمانية الاستشهادية بالإضافة إلى وقود الحماسة المطلوب.

كيف قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟؟

تكلمنا طويلا في كتابنا (محاولة استمساخ الأمة الإسلامية) عن نشأة الخوارج وتحركهم ورفعهم شعار (إن الحكم إلا لله) في مواجهة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومحاولته إفهامهم حقائق الدين ومحاورتهم من دون نتيجة تذكر فهم مجموعة من السفهاء العاجزين عن الفهم والإدراك ثم تطور الأمر إلى إفسادهم في الأرض واستباحتهم دماء وأموال المسلمين فكان أن تصدى لهم الإمام وقضى عليهم عسكريا في معركة النهروان وانتهت المعركة بالقضاء على تحركهم ولكن بقيت بعض فلولهم تعيث في الأرض فسادا وتطرح شعار إن الحكم إلا لله وتبذر بذور السخط والانتقاد العشوائي لما يدركون وما لا يدركون فهم وحدهم الذين آتاهم الله فهما وعلما وإدراكا وغيرة على مصالح المسلمين.

تعاهدت تلك الفلول على قتل الإمام علي عليه السلام وذهب اللعين ابن ملجم إلى الكوفة وفي طريقه مر على قطام بنت الشجينة التيمية وهي امرأة على نهج الخوارج من الكوفة قتل أبوها وأخوها يوم النهروان وكانت من ربات الحسن والجمال والدهاء والسياسة رآها عبد الرحمن بن ملجم فالتبست بعقله وهام بها حبا فخطبها فطلبت منه قتل أمير المؤمنين عليه السلام وقالت (لا والله لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وقتل علي فأعطاها ذلك وبنى بها) ومكث اللعين في الكوفة شهرا يسم سيفه ويستعد لتوجيه الضربة الغادرة لأمة لا إله إلا الله جمعاء فلما خرج الإمام علي عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الفجر

استقبله ابن ملجم ومعه سيف صغير وهو يتلو ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾[١] فظن الإمام أنه يستفتحه بالقرآن فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[٢] فضربه اللعين على رأسه فاجتمع عليه المسلمون وأخذوه فقال الإمام علي عليه السلام ما فعل بي ضاربي قالوا قد أخذناه قال أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي وإن أنا مت فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها.

مضى الإمام إلى ربه على الصورة التي وعده الله بها وبقيت فلول الخوارج كالطاعون ورأس الأفعى تجدّد صورها وظهورها بين الحين والآخر. فهذا اللعين لم يعدم من يقول فيه مدائح الشعر مثل عمران بن حطان الذي أنشأ يقول:

إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

والطريف أن شاعر الشيطان هذا قد وثقه البخاري وروى عنه في (صحيحه) قال ابن حجر وقد أخرج البخاري وأبو داوود لعمران ابن حطان)[٣].

إذن فنحن أمام وجوه متعددة لشيطان واحد يرتدي مسوح الرهبان والقديسين قاتل وشاعر وامرأة ذات دهاء وجمال وكياسة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٣) مقتل الإمام علي/للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا.

وطابور خامس يرى أحقاده تجاه الصالحين تتحقق من خلال هؤلاء الأدعياء والأهم من ذلك كله أن هؤلاء كانوا ولا زالوا يشكلون حالة إنهم

﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[1].

ذلك القاتل المجرم الذي يتقدم لارتكاب واحدة من أبشع الجرائم في تاريخ الإنسانية وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾[2] أي أنه كان معتقدا بكونه يضحي بنفسه في سبيل الله.

إن ذلك النوع من الجرائم هو أخطر أنواع الجرائم على الإطلاق. حيث يلتبس أمر ذلك الصنف من المجرمين على العامة بل وعلى غير العامة الذين ربما وجدوا في ذلك النوع من الأعمال مادةً للتنفيس عن رغبة ملحة في التغيير أو سخطاً على أوضاع فاسدة وفات هؤلاء أن الفساد لا يعالج بالفساد وأن الأمم الحية والواعية لا ينبغي لها أن تنتظر الخير إلا من أهل الخير وأن أمة تنتظر الإصلاح على يد قطام وابن ملجم وابن حطان لهي أمة هابطة إلى الجحيم وإلى أسفل سافلين والتاريخ القديم والمعاصر خير شاهد على ما نقول.

المهم أن هذه الواقعة كشفت أيضا عن حقيقة تلك النفوس المريضة التي كرهت وما زالت تكره إمام الحق علي بن أبي

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

طالب ﷺ الذي وقف وقفة صارمة في وجه الفساد الأموي ثم في وجه التطرف والعشوائية والفوضوية الخوارجية التي تريد أن تجعل من كل من هبّ ودبّ إماما للتغيير طالما وجد عددا من المداحين والأتباع والناعقين والمزورين فوجد كل هؤلاء في قتلة الإمام علي شفاءاً لما في الصدور. ولكن هيهات هيهات وما يزيد الظالمين إلا خسارا.

من أسسّ لثقافة العنف في القرن العشرين؟؟.

نسي الناس أو تناسوا تلك الدروس التي نقلناها أو قل لم يستفيدوا منها أصلاً. فقد وصلت إلينا الثقافة الإسلامية في صورة مقرّرات ومسلمّات على طريقة كُتّاب الوزارة ولم يدر بخلد أحد أن بعض تلك الوقائع الكارثية مثل ما سُمّي بحروب الردّة يمكن الاستفادة منها بتلك الطريقة البشعة التي فعلها إخواننا الدمويون المجددون وفات أطباء الأمة المحدثون أن الأمراض القديمة الكامنة كداء السل، يمكن لها أن تعود للانتشار والانفجار مثلما فعل السرطان الخوارجي في عصرنا الراهن.

والطريف أن واحداً من أولئك **(الفقهاء الفضائيين)** من منظّري تلك الجماعات كتب يدّعي أن الخوارج قد انقرضوا وإذا كان الخوارج قد انقرضوا فمن تكون أنت يا مولانا؟؟ وكأنه أراد أن يرد على رسول الله ﷺ قوله ونبوءته التي أخبر فيها بتكرار ظهور ذلك الداء اللعين حتى آخر الزمان حيث صح عنه قوله: **(يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم**

مع الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة هم شر الخلق والخليقة هم شر الخلق والخليقة)[١].

ومن هنا اجتمع الكارهون لعلي ولنهج علي على تقديم هؤلاء في صورة القديسين والفرسان المستنيرين المنوط بهم تحرير فلسطين وإقامة دولة الحق والعدل في القرن العشرين، ثم في القرن الحادي والعشرين حيث أعلن زعيمهم أن دولتهم المعاصرة توشك أن تقوم في مصر الكنانة خلال أقل من ٢٥ عام. وأنا أقول له أنت تحلم أيها المشهور بدمويتك فوعد الله صادق (كلما نجم منهم قرن قطع كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين) وهذا هو خلاصة تاريخهم وتجربتهم خلال القرن الماضي.

الإمام الشهيد يؤسس لثقافة العنف:

بعد عشر سنوات من تأسيس جماعة الإخوان المسلمين وفي عام ١٣٥٧ هجرية - ١٩٣٦ ميلادية تقريبا بدأ أعضاء الجماعة يستشعرون قوتهم وتزايد أعدادهم ويبدو أن هذا كان دافعا لهم للتساؤل عن موعد حسم الصراع واستخدام القوة المسلحة لإقامة دولة الإخوان المسلمين فجاءت كلمات المؤسس **(و يتساءل كثير من الناس هل في عزم الأخوان المسلمين أن يستخدموا القوة والوصول**

---

(١) رواه أحمد في مسنده وأنكره الشيخ الفضائي لأنه يفضحه ويفضح انتماءه الحزبي والتنظيمي الذي أعطاه الدنيا والمال والظهور الإعلامي الفضائي وغير الفضائي ناهيك عن ضرورة استمرار المؤامرة على وجود الأمة من امتدادات الخوارج الأوائل الذين يحرص أحفادهم على محاربة نهج علي عليه السلام فعلى الأحفاد أن يستمروا فيما بدأه الأجداد.

إلى غايتهم وهل يفكر الأخوان في إعداد ثورة عامة على النظام الاجتماعي والسياسي في مصر؟؟) ثم أجاب في حسم **(أن الأخوان سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدي غيرها وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولا وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح).**

(إن الأخوان أعمق فكرا وأبعد نظرا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر وهم يعلمون أو أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح)[1].

كان هذا الكلام عام ١٩٣٧م قبل أن تتفجر القضية الفلسطينية وكما سنذكر فيما بعد أن قرار الأخوان دخول المعركة في فلسطين لم يتخذ إلا أوائل عام ١٩٤٨م ومن هنا فلا وجه لإدعاء الأخوان الذي يكررونه هذه الأيام بأن بناء التنظيم السري أو الخاص أو الجيش الإسلامي كان بهدف مقاومة اليهود ومنع إقامة إسرائيل.

ونمضي مع مؤسس الأخوان لنتأكد من الهدف الحقيقي والمعلن آنئذ من إعداد القوة وفلسفته في استخدام السلاح حيث لم تكن الظروف وقتها تحتم عليه استخدام التقية كما تحتم على ذريته (الصالحة) الآن وهو ما يبرز واضحا من حديثه الواثق المطمئن عن أن الأخوان سينذرون أولا ثم ينتظرون ثم يقدمون في كرامة. أي أنه

(١) مجموعة رسائل حسن البنا: ص١٣٦ - ١٤٠.

لا مبرر ولا وجه للخوف من ضربة وقائية يمكن أن يوجهها النظام الحاكم في ذلك الوقت أو بعد ذلك. وهذه هي إحدى السمات العقلية والفكرية لجماعة الأخوان (تحسب أن يومها دهرها) أي أن حالة الاسترخاء التي قوبل بها الأخوان لدى نشأتهم ستبقى وستستمر بل وسيزداد النظام الحاكم ضعفا لدرجة أنه سيتلقى الإنذار تلو الإنذار من مجاهدي الأخوان ولن يكون قادرا على توجيه ضربة وقائية وأن يتغذى بهم قبل أن يتعشوا به وأن يجمعهم من بيوتهم مثلما يجمع الدجاج للذبح من العش ويرسلهم إلى العش مشيعين بأفواج المحامين والإعلاميين وهو ما حدث بعد ذلك لهم وكان الإنذار من الحكم ضد الأخوان وليس العكس ثم أقدم عليهم وقام بالتهامهم في عزة وكرامة من دون أن ينذر أو ينتظر وما زالوا هم ينتظرون تلك اللحظة التاريخية التي وعدهم بها ملهم الأخوان.

نمضي مع المؤسس الملهم وهو يواصل الشرح ووضع الخطوط والخطط والمعالم **(و في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الأخوان ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد فإني فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله القائل ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة وإني أقدر لذلك وقتا ليس طويلا بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته)**[(١)].

أما عن الهدف من ذلك التحرك متعدد الجوانب فهو إقامة حكومة (الأخوان المسلمون) فيقول:

---

(١) مجموعة الرسائل: ص١٢٨.

(هل في منهاج الأخوان المسلمين أن يطالبوا بالحكم؟؟

ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضا في حيرة ولا نبخل عليهم بالجواب (!!) فالأخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه وهذا الإسلام الذي يؤمن به الأخوان يجعل الحكومة ركنا من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد وعلى هذا فالأخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء الأمانة والحكم بمنهج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه وإن لم يجدوا فالحكم من منهجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ اوامر الله)[(١)].

فالرجل كان يعد العدة لاستخلاص الحكم من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله وبالطبع فكل الحكومات من يومها إلى يومنا هذا ينطبق عليها هذا الكلام وهذه الأحكام.

من حق الرجل أن يفكر بالطريقة التي يعتقد صوابها وأن يسعى لتحقيق ما يعتقد أنها أهداف مشروعة ومن حق الناس أن يسمعوا منه ومن دعاة الأخوان هذا الكلام علنا وبوضوح وأن يسمعوا أيضا شرحا وافيا لمعنى أن هذه الحكومات لا تطبق أحكام الإسلام وهي فعلا لا تطبق هذه الأحكام وأن يقنعونا أيضا أن الأخوان وحدهم ومن دون سواهم هم القادرون على تطبيق أحكام الدين والقرآن وأن يناقشوا هذا الكلام، فإذا اقتنع الناس بصحة هذه الادعاءات وجرى إقرار مبدأ أن الأخوان وحدهم هم حبل النجاة لهذه الأمة. فمن حقنا نحن أيضا باعتبارنا من المسلمين أن نطالبهم باستخدام وسائل

(١) مجموعة الرسائل ص ١٣٦-١٣٧.

مشروعة لتحقيق تلك الأهداف النبيلة، تلك الوسائل التي لا نظن أن من بينها القتل والاغتيال وإرسال الطرود المتفجرة.

تأسيس ميليشيا الأخوان (الجهاز الخاص او الجيش الإسلامي أو التنظيم السري):

شرع مؤسس الجماعة في تأسيس جيشه أو ما سمي بالجيش المسلم ولنستمع إلى رواية (محمود الصباغ) أحد مؤسسي ذلك الجيش وهو يحكي عن قصة انضمامه لذلك التنظيم عن طرق صديقه وبلدياته (مصطفى مشهور) المرشد الحالي الذي أخذه إلى قائد الجيش (عبد الرحمن السندي) فيقول: (فعرفني مصطفى مشهور على أخي في الله المرحوم الأستاذ عبد الرحمن السندي بصفته المسئول عن إعداد هذا الجيش المسلم في تنظيم الأخوان)[1].

لقد مارس هذا الجيش الحرب على جبهتين الجبهة الأولى ضد النظام طوال الفترة التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية والجبهة الثانية في فلسطين خلال عام ١٩٤٨.

فماذا استفاد الأخوان من فتح جبهة داخلية ضد النظام الحاكم في مصر؟ وما هي مبررات ومسوغات أعمال العنف والقتل التي مارستها الجماعة ضد خصومها والتي ألحقت أبلغ الضرر والخسائر بأعضاء الجماعة وبمصر كلها؟؟ إنه الوهم المسيطر على عقول قادة الجماعة والرغبة الملحة في تحقيق هدفهم الأسمى وهو إقامة (حكومة الأخوان المسلمين) في مصر. ذلك الوهم الذي دفعهم لارتكاب هذه الأخطاء والتجاوزات ثم الإصرار على موقفهم

(١) محمود الصباغ حقيقة التنظيم الخاص: ص٦٥.

وتسويق تلك الأخطاء والجرائم لأتباعهم من الدهماء قديما وحديثا بل وللعالم أجمع من خلال أبواقهم الإعلامية التي لا تتوقف عن النفخ ليل نهار على أنها جهاد في سبيل الله ومن أعظم القربات إلى الله ولعنة الله على كل من وقف في طريقهم حتى ولو كانوا هم الذين جاءوا به مثل جمال عبد الناصر أو أيا من خصومهم السياسيين.

وقبل أن نصل إلى تفاصيل الأحداث فلا بأس أن نعرج على بعض ملامح ذلك التنظيم وطريقة أخذ البيعة وشروطها ليعرف الجميع ذلك الوحش الكاسر الذي أنشأه القائد الملهم حسن البنا ليكون جيش الفتح الإسلامي الذي يحمله إلى عرش الخلافة الإسلامية فكان أن تسبب في الإجهاز عليه وهو لم يبلغ الثانية والأربعين من عمره بعد.

كيفية أخذ البيعة:

كانت البيعة تتم في منزل بحي الصليبة حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه والأخ عبد الرحمن السندي المسئول عن تكوين الجيش الإسلامي داخل الجماعة وبعد استراحة في حجرة الاستقبال يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار ويجلسون على بساط في مواجهة أخ في الإسلام مغطى تماما من قمة رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض يخرج من جانبيه يداه ممتدتان على منضدة منخفضة (طبلية) عليها مصحف شريف وتبدأ البيعة بأن يقوم الأخ الجالس في المواجهة ليتلقاها نيابة عن المرشد العام بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التي تحض على القتال في سبيله وتجعله فرض عين على كل مسلم ومسلمة وتبين له الظروف التي تضطرنا إلى أن نجعل تكويننا سريا في هذه المرحلة مع بيان شرعية

هذه الظروف - استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان - ثم يأخذ منه البيعة على الجهاد في سبيل الله حتى ينتصر الإسلام أو نهلك دونه مع الالتزام بالكتمان والطاعة ثم يخرج من جانبه مسدسا ويطلب من المبايع أن يتحسسه وأن يتحسس المصحف الشريف الذي يبايع عليه ثم يقول له إن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ويكون مأواك جهنم وبئس المصير فإذا قبل العضو بذلك كلف بأداء القسم على الانضمام عضوا في الجيش الإسلامي والتعهد بالسمع والطاعة)(١) .

ولا يتركنا محمود الصباغ في حيرتنا عن معنى (إخلاء سبيل الجماعة منك) ولا سر إحضار المسدس أثناء القسم فيوضح لنا في **البند ١٣ من بروتوكولات حكماء الجماعة** (أن أي خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أو سوء قصد يعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه مهما كانت منزلته ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة)(٢) .

إذن فدعك من حكاية الجهاد لتحرير فلسطين التي يؤخذ لها البيعة بهذه الطريقة فقد ذهب إلى ذلك الجهاد أناس من الجماعة ومن غيرها لم يبايعوا للنظام الخاص على طريقة آل كابوني ونائبه بالحق فرانكشتاين الذي تبين فيما بعد أنه المدعو صالح أفندي عشماوي!! .

وما حاجة الجهاد لتحرير الوطن أو تحرير فلسطين إلى أساليب عصابات المافيا والأهم من هذا كله هو الاسم الذي اختاره الإمام

(١) محمود الصباغ/ حقيقة التنظيم ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق: ص١٣٨ .

الملهم لذلك التنظيم العصابي (الجيش الإسلامي) فقد أراد مؤسس الجماعة أن يستغل حالة الفراغ السياسي والأمني التي عاشتها مصر في تلك الحقبة ليؤسس جيشا يحمله إلى قمة السلطة وظن الرجل أن الفرصة سانحة لذلك فأسس تلك العصابة وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالمصحف والمسدس وأوثقهم بتهديده لهم بإخلاء السبيل أي القتل والاغتيال إنه تنظيم القتلة فكان أن انتكث به فتله وارتد عليه تدبيره وتسبب تنظيم آل كابوني المسمى بالجهاز الخاص في القضاء على القائد والزعيم الملهم في أعقاب أحداث ١٩٤٨م.

أحداث ١٩٤٨م - من قتل حسن البنا؟؟.

لنبدأ برواية الأستاذ صلاح شادي القطب الأخواني الكبير من خارج عصابة آل كابوني (التنظيم الخاص أو الجيش الإسلامي) ولذا فهو لا يكن تقديراً كبيراً للجنرال عبد الرحمن السندي قائد ذلك الجيش الإسلامي وفاتح مصر المفترض، بل ويحمله مسئولية الكوارث التي لحقت بجماعة الأخوان أي أنه يحمل المسئولية للوحش ويثني على من صنع الوحش.

والشاهد أن الخلاف بين هؤلاء لم يكن بسبب قضايا أخلاقية أو مبدئية وإنما بسبب تلك الازدواجية الناشئة عن وجود نوعين من الأعضاء نوع عادي هم أعضاء الجماعة العاديين ونوع سوبر هم أعضاء الجماعة المقاتلين المميزين الذي ستقوم دولة الإسلام من جديد بسيوفهم وبالتالي كان الغرور والزهو من قبل جماعة المجاهدين هو شعورهم إزاء جماعة القاعدين غير أولي الضرر من الأعضاء العاديين وهو ما عبر عنه صلاح شادي مرارا وتكرارا في كتابه (صفحات من التاريخ). ولأن هذه المسألة ليست حاسمة في

بحثنا فلن نتوقف عندها طويلا ومن هنا ننتقل إلى روايته عن أحداث ١٩٤٨ : (كانت هذه السنة حافلة بالأحداث التي أثرت تأثيرا كبيرا على كيان الجماعة ففي مارس ١٩٤٨ اغتيل القاضي الخازندار بيد الأخوين محمود زينهم وحسن عبد الحافظ وحكم عليهما بالسجن المؤبد في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ وأراد الأستاذ المرشد بادئ الأمر أن يتحقق من أن هذا الحادث قد قام به السندي حيث جرى في ظنه احتمال حدوثه من بعض الطلبة غير المسئولين الذين يخضعون لقسم الطلاب فأرسل من يستدعي الأستاذ فريد عبد الخالق رئيس القسم الذي نفى نفيا باتا علاقته بالحادث وأخذ الغضب والأسف من المرشد كل مأخذ وهو يقول أن هذا يعني تدمير الجماعة التي قضى عمره في بنائها وأن الرصاصات التي أطلقت على الخازندار أطلقت على صدره هو. ولم يخفف من هول الحادث ما تذرع به السندي عندما وجّه برد فعل المرشد فادعى أن المرشد قال في مجلس عام أن القاضي يستأهل القتل وذلك عندما سمع بالأحكام القاسية التي صدرت ضد أشخاص ضبطوا في الإسكندرية أمام نادي الجيش الإنجليزي ومعهم قنابل لم تنفجر بعد فأصدر عليهم أحكاما قاسية في نفس الوقت الذي حكم فيه على حسن قناوي سفاح الإسكندرية بالسجن سبع سنوات فاعتبر السندي أن هذه العبارة من المرشد إذنا ضمنيا على الخازندار. وهذا تبرير غير معقول لحادث كهذا ولكن **الحقيقة كانت كامنة وراء شعور السندي في هذا الوقت باستقلاله هو بمن يتولى قيادتهم من الأخوان عن سلطان الجماعة وقائدها الأمر الذي سهل له هذا السلوك فلم يكن من حق أحد من إخوان النظام أن يتصل بالمرشد في شأن من شئون النظام الخاص إلا عن طريقه وبهذا**

عزل أخوان النظام تماما عن قيادة الدعوة وأصبح فهم السندي لدور المرشد هو أن يبحث له عن مخرج أمام الناس لترميم الصدوع التي تحدثها أمثال هذه التصرفات غير المسئولة وتكييف الرأي العام داخل الجماعة وخارجها لتقبل هذه الحوادث)[1].

هذه هي رواية الأخ صلاح شادي لما أسماه أحداث ١٩٤٨م وهي الأحداث التي مهدت بعد ذلك لحل الجماعة وقتل النقراشي ثم أخيرا مقتل الإمام الملهم حسن البنا الذي بات يعرف من يومها بالإمام الشهيد في فبراير ١٩٤٩م.

إن هذه الرواية فضلا عن إدانتها للسندي فهي تحمل إدانة مبطنة للمرشد أو القائد الملهم الشهيد الخ الخ الذي صورته أجهزة الإعلام الإخوانية بعد هذا في صورة الرجل الخارق أو مخلوق النور بينما يشهد عليه حواريوه أن السندي قد رسم له دورا هو **(المخرج لترميم الصدوع التي تحدثها تصرفاته غير المسئولة والمسئول عن تكييف الرأي العام داخل الجماعة وخارجها لقبول تصرفات رجل الأخوان الحديدي الحقيقي عبد الرحمن السندي)** والواقع يؤكد هذا التحليل حيث قام المرشد الملهم الشهيد بدور المحلل وشاهد الزور على اغتيال القاضي الخازندار وهو ما ستبرزه شهادة الإخواني محمود الصباغ عضو منظمة آل كابوني في كتابه **(حقيقة التنظيم الخاص)** حيث يقول: (وعلى الرغم من التزام الأخوان المسلمين بعدم القيام بأي عمل فدائي ضد إنسان مسلم مهما كان لونه السياسي إلا أولئك الذين أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين فأصبحوا من

---

(١) صفحات من التأريخ: ص ٩٢-٩٣.

المحاربين الذين يحل للأخوان قتلهم وسوف أقسم دراستي إلى ثلاثة أقسام متميزة:

أولاً - حوادث الاغتيالات السياسية التي لا يد للأخوان ولا لتنظيمهم الخاص فيها.

ثانياً - أعمال فدائية قام بها الأخوان المسلمون وتنظيمهم الخاص ولم يعرف فاعلها وقيدت ضد مجهول.

ثالثاً - أعمال فدائية قام بها الأخوان المسلمين ضد أعوان الاستعمار والفاعل معروف.

أولاً - حوادث الاغتيال السياسي التي لا يد للأخوان ولا لتنظيمهم الخاص بها.

حادث مقتل الخازندار بك.

أقرر بكل الصدق(؟؟!!) أن كلا من الأخوان كجماعة إسلامية يرأسها المرشد العام للأخوان المسلمين والتنظيم الخاص للأخوان المسلمين كتنظيم عسكري سري خصص لأعمال الجهاد في سبيل الإسلام بريء كل البراءة من هذا الحادث الذي يمكن أن يقع بدوافع وطنية ولكنه مخالف ومستنكر من الشريعة الإسلامية التي أخذها كل من الأخوان المسلمين وتنظيمهم السري أساسا لكل عمل يقومون به (؟؟!!!!) على الرغم من أن مرتكبي هذا الحادث هم ثلاثة أفراد من الأخوان المسلمين بصفتهم الشخصية هم عبد الرحمن السندي (قائد جيش المسلمين) ومحمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ ولا يغير من هذه الحقيقة كون عبد الرحمن السندي رئيسا للنظام الخاص (!!) لأن النظام الخاص لا يمكن أن يتحمل إلا الأعمال

التي تقررها قيادته مجتمعة بأمر صريح من المرشد العام وما لم يتحقق هذين الشرطين لأي عمل من أعمال النظام الخاص فإن هذا العمل يكون عملا فرديا تقع مسئوليته كاملة على من قام به)[١].

إنه المنطق الفصام الفاجر الذي قدم له صاحبنا بادعائه بأنه سيتكلم بكل الصدق وإذا كان هذا هو كل الصدق فماذا يكون كل الكذب والفجر إذن؟؟

فالذي قام بهذا العمل هو من يسمى (بقائد الجيش الإسلامي) وليس فردا من عامة (الجيش) انفعل بحادث ما من دون علم القيادة.

ثم ما هو معنى اشتراط موافقة القيادة؟ وعلى من يقع هذا الشرط؟؟ على الأخوان أو على خصوم الأخوان؟؟ من حق الأخوان أن يشترطوا لأنفسهم ما يشاءون وأن يقرروا أن عصابة آل كابوني هذه اسمها الجيش الإسلامي أو حتى يسمونها حلف شمال الأطلنطي ولكن ليس لهم أن يفرضوا شروطهم على الآخرين أو أن يدعوا أن الأخوان ليسوا هم الفاعلين لأن المرشد لم يوقع أو أن القرار لم يتخذ بالإجماع فهذه الحجج والاعتذارات الفارغة والكاذبة لا قيمة لها إلا في محيطهم هم ولدى من يصدقونهم بكذبهم وإلا صار من المتاح والمباح أن يقتلوا كل من يقف في طريقهم بأوامر شفهية من المرشد الملهم ثم يتنصلوا من الجريمة لعدم وجود أوامر مكتوبة أو لأن أحدهم لم يوافق على قرار الاغتيال!! . . . أي سفه واستخفاف بعقول الناس هذا؟؟

وهل كان المرشد يأخذ البيعة لنفسه من أعضاء تنظيم آل كابوني

(١) صفحات من التأريخ: ص٢٥٥-٢٥٦.

أم عبر وكيله فرانكشتاين (صالح أفندي العشماوي) ثم ألم يكن (عبد الرحمن السندي) هو وكيله في قيادة الجيش (رئيس الأركان) بينما كان هو (القائد العام).

ناهيك عن التخبط في الجرم المنسوب للقاضي الخازندار فتارة يقول ذلك الصادق الأمين (أن القاضي الخازندار قد حكم على الشباب الذي ألقى القنابل على الإنجليز بعشر سنوات)[١] وتارة أخرى يذكر أن ذلك الحكم هو ثلاث سنوات[٢]. ولا ينسى أن يحاول إيجاد مبرر آخر لتلك الجريمة فيقول (أشيع أن دائرة الخازندار حكمت على سيدة اتُهمتْ بتعذيب خادمتها تعذيبا وحشيا إلى حد إحماء عود من حديد وإدخاله في موضع العفة حتى أودى بحياتها بالسجن لمدة عام واحد مع إيقاف التنفيذ)[٣] ثم يعود ويكرر ما أشيع[٤] كأنه يعز عليه إدانة الجريمة التي ارتكبتها منظمة آل كابوني تأسيا بالمنظمة الأم التي اعتادت هي الأخرى أن تقتل القضاة إذا أصدروا أحكاما لا تتوافق مع مصلحة العصابة.

ووفقا لرواية ذلك الصدوق (محمود الصباغ): (فقد غضب مؤسس الجماعة على عبد الرحمن السندي وعقد له محاكمة خاصة (**أول من خصخص المحاكم**) حضرها قادة التنظيم ودافع عبد الرحمن السندي عن نفسه (حيث أكد أنه فهم من العبارات المستهجنة التي صدرت من المرشد أنه سيرضى عن قتله لو أنه قتل فعلا وقد تأثر

(١) صفحات من التأريخ: ص٢٥٨.
(٢) المصدر السابق: ص٢٦٤.
(٣) المصدر السابق: ص٢٥٨.
(٤) المصدر السابق: ص٢٥٩.

فضيلة المرشد تأثرا بالغا(؟؟!!) لكلام عبد الرحمن لأنه يعلم صدقه في كل كلمة يقولها تعبيرا عما يعتقد وبلغ من تأثر فضيلة المرشد العام أنه أجهش بالبكاء ألما لهذا الحادث الأليم وقد تحقق الأخوان الحاضرون لهذه المحاكمة من أن عبد الرحمن السندي وقع في فهم خاطئ وممارسة غير مسبوقة من أعمال الأخوان المسلمين فرأوا أن يعتبروا الحادث قتل خطأ(؟؟!!) حيث لم يقصد عبد الرحمن ولا إخوانه سفك نفس بغير نفس وإنما قصدوا قتل روح التبلد الوطني (جديدة !!) في بعض أفراد الطبقة المثقفة من شعب مصر، وبناء عليه قرر المجتمعون: (ولما كان هؤلاء الأخوان قد ارتكبوا هذا الخطأ في ظل انتمائهم للأخوان المسلمين وبسببه فقد حق على الجماعة دفع الدية التي شرعها الإسلام على القتل الخطأ من ناحية وأن تعمل الهيئة على إنقاذ حياة المتهمين البريئين (هكذا وصفوهما بالبراءة) من حبل المشنقة بكل ما أوتيت من قوة فدماء الأخوان المسلمين ليست هدرا يمكن أن يفرط فيه الأخوان في غير فريضة واجبة يفرضها الإسلام.

ولما كانت الجماعة جزءا من الشعب وكانت الحكومة قد دفعت [ما يعادل] الدية إلى ورثة المرحوم الخازندار (عشرة آلاف جنيه) فإن من الحق أن نقرر أن الدية قد دفعتها الدولة عن الجماعة وبقي على الأخوان إنقاذ حياة الضحيتين الآخرين محمود زينهم وحسن عبد الحافظ)[1].

ألم أقل لكم إنه منطق الفصام الفاجر ناهيك عن التطبيق

(١) محمود الصباغ «الصدوق»/ حقيقة تنظيم الجهاد: ص٢٦٥.

(الفاحش) للشريعة الإسلامية فأبشروا يا من تنتظرون قدوم هؤلاء الفاتحين لإعادة مجد الإسلام إلى عهد البعثة المحمدية والخلافة الراشدة وتأملوا في شهادة ذلك الكذاب الذي قدم لها المرشد الحالي مصطفى مشهور.

١ - الرجل يعلن بكل الجرأة والوقاحة أنه لا علاقة للجماعة ولا لجهازها الخاص بهذه الجريمة النكراء ثم يعود إلينا بتلك الوثيقة الفاجرة عن اجتماع مجلس حكماء الجماعة بقيادة الإمام الملهم والتي تتضمن اعترافا واضحا بارتكاب الجريمة (و لما كان هؤلاء الأخوان قد ارتكبوا ما ارتكبوا في ظل انتمائهم للأخوان وبسببه ولذا فقد حق على الجماعة دفع الدية).

٢ - بفرض قبولنا تلك الأكذوبة الفاجرة بأن قتل الخازندار هو قتل خطأ فلماذا **تدفع الجماعة الدية وبأي صفة؟؟** فمسئولية الدية تقع على عاتق الفاعل المباشر إذا تساوت الرؤوس أي إذا اعترف الأخوان أنهم أفراد مسلمون كبقية أفراد المجتمع ولكنها تخرج عن الإطار الشخصي في حالتين أولاهما ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[1] والثانية ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]. فهل اعتبر الأخوان في وجود مرشدهم أن الموقف ينطبق عليه أحد الحكمين الأخيرين غالب الظن أن

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

هذه هي رؤيتهم للمجتمع وهو رؤية مضطربة تجنح إلى التكفير وهذه الحادثة دليل قاطع على ما نقول.

٣ - كيف قرر هؤلاء الحكماء قبول هذا الإدعاء أو إنشائه من الأساس وتحويل جريمة قتل عمد متعمد مع سبق الإصرار والترصد إلى جريمة قتل خطأ ولا عجب فقد كان بينهم الإمام الشهيد الملهم يمحو ما يشاء ويثبت من دين الله وعنده أم الكتاب!!؟؟.

٤ - قرر الأفاقون النصابون منح أسرة القتيل دية وهمية قدرها عشرة آلاف جنيه دفعتها الحكومة من مال الشعب لأن الأخوان جزء من الشعب وهو كذب وافتراء ولو كانوا يعتقدون أنهم جزء من الشعب لما تحملوا دفع الدية الوهمية ولتركوا القتلة يواجهون حكم القانون أو حكم الشعب ولكن هذا الشعب في رؤيتهم لا يخرج عن أحد احتمالين إما (قوم عدو لكم) أو (قوم بينكم وبينهم ميثاق) وهذا مبني على رؤيتهم الفقهية في القضية وفي كلا الحالتين إنهم مجموعة من الكذابين والمخادعين ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

والأطرف والأبشع من هذا كله أنه بعد أن رضي الإمام الملهم عن تلميذه القاتل وبكى تأثرا لم يكتف لا بتحويل الجريمة من قتل عمد إلى قتل خطأ ولا الإدعاء دفع دية وهمية إلى أسرة القتيل لإرضاء ضمائر غائبة ومعدومة، بل قرر قاعدتين فقهيتين إضافيتين نهديهما

(١) سورة البقرة، الآية: ٩.

لأبناء وأحفاد الإمام الشهيد الملهم مجدد القرن الذين يملئون الدنيا صياحا ونباحا عن الظلم الذي حاق بهم:

أولا - أن هؤلاء القتلة هم في الحقيقة أبرياء.

ثانيا - أن المسلمين لا تتكافأ دماؤهم فدم الإخواني المسلم لا يجوز إهداره في مقابل دم (المسلم) غير الإخواني هذا إذا جرى اعتبار غير الإخواني مسلما [فدماء الأخوان ليست هدرا يمكن أن يفرط فيها الأخوان في غير أداء فريضة واجبة] وبالتالي ضرورة العمل لإنقاذ المحكومين من أي عقاب قد يحل بهم.



إغتيال القضاء

من سلّ سيف البغي قتل به.

علي بن أبي طالب

ملأ الأخوان المسلمون الدنيا صياحا بعد ذلك استنكارا لجرائم عبد الناصر ضد الديمقراطية واعتدائه على استقلال القضاء فمن يا ترى الذي افتتح مهرجان العدوان على استقلال القضاء؟؟.

إن الدولة التي يتم فيها اغتيال أحد القضاة في وضح النهار تأديبا له على حكم أصدره مهما كان جائرا أو منافيا للعدالة ليست بدولة. فهناك مراتب للتقاضي وكان بإمكان هؤلاء أن يتظلموا من ذلك الحكم الجائر أمام محكمة الاستئناف ثم أمام محكمة النقض وقد فعلوا هذا بالفعل وجرى تخفيف الأحكام التي كانت أصلا مخففة باعترافهم.

لقد افتتحت جماعة الأخوان المسلمون بهذا الفعل موسم العدوان على القضاء. وهم الذين مهدوا للإطاحة بمجمل النظام الدستوري الذي كان قائما في مصر آنئذ حتى جاءوا إلينا بثورة يوليو المجيدة ومحاكمها الاستثنائية الشهيرة الذين كانوا هم أول ضحاياها.

نترك ذلك الصدوق وننتقل إلى واحد آخر من نفس الفصيلة وهو يروي لنا جريمة اغتيال القاضي (أحمد الخازندار) بنفس الأسلوب الوقح والمستفز فيقدم لروايته بعنوان (الخازندار في خبر كان). إنه أحمد عادل كمال العضو القيادي في تنظيم آل كابوني والذي فتحت

له الدنيا أبواب كنوزها في آخر عمره فأصبح على رأس أحد البنوك التي تنعشها الأموال النفطية فالرجل كان عضوا مهما في عصابة القتلة وكان على علم بخطة قتل الرجل أي أنه كان شريكا وعلم ولم يبلغ حتى جاءه الخبر صبيحة يوم ٢٢-٣-١٩٤٨ واستمراءاً لذلك المنطق الفاجر الذي استخدمه ذلك الصدوق سابق الذكر نسمع ذلك المستخف بحرمة دماء المسلمين والمستخف بالمدلول السياسي والأخلاقي لجريمة اغتيال أحد قضاة مصر حصن العدالة وأن تلك الرصاصات قد استهدفت أحد أركان الدولة والنظام العام فيقول: (وكان للحادث ردود فعله السيئة في كافة المجالات فلدى القضاة كان الاستياء على أشده فمن المعلوم أن الأحكام تصدر بأغلبية أعضاء المحكمة وليس برأي رئيسها وحده ومهما حدث لم تجر العادة أبدا أن يعتدي على القضاة ولقد حاولت النيابة بعد ذلك في بعض قضايانا اتخاذ الحادث كقميص عثمان لاستعداء القضاة علينا)[١].

إنه الاستخفاف بردود الأفعال وبرأي الآخرين وبالمدلول السياسي للعمل وسيبقى ذلك الاستخفاف بالآخرين سمة بارزة من سمات أعضاء تلك الجماعة المصابة بالغرور الأعمى الذي زرعه فيهم إمامهم الملهم الشهيد مجدد القرن. فهم لا يرون إلا أنفسهم في هذا الكون ولا يتخيلون أنّ لأحد من غيرهم رأياً له قيمة أو يعتد به فاغتيالُ قاضٍ أصدر حكما في قضية لم يعجبهم أمر هين وبسيط ولا يصح اعتباره دليلا على العدوان على القضاء ومحاولة استغلال الجماعة للحادث للتدليل على عدوانية أعضاء الجماعة هو من وجهة

(١) أحمد عادل كمال/ النقاط فوق الحروف: ص ٢٢٠.

نظر الأخ أحمد عادل كمال هو من باب الدعاوى الكاذبة التي يراد بها هدفا غير الهدف المعلن تماما كحادث قميص عثمان بن عفان الذي استخدمه ابن آكلة الأكباد سلما للوصول إلى السلطة ويستخدم هذا المثل لوصف الدعاوى الكاذبة فهم وحدهم أي الجماعة وتنظيم آل كابوني هم الصادقون والمؤمنون حقا وبقية أفراد المجتمع بما فيهم القضاء والنيابة من الأمويين الأوباش الكذابين الذين لا يصدقون في حرف واحد. ونمضي مع ذلك المستخف الذي يكرر نفس الكلام الفارغ الذي قاله من سبقوه من أن الحادث كان عملا فرديا لأن الإمام الملهم لم يوافق عليه ولم يمنحه خاتم النسر (المصحف أبو سيفين) ثم يضيف عبارة وردت على لسان المرشد (أودي وشي فين من حسن بيك الهضيبي) [بسيطة يا راجل لا تجيب ولا تودي].

ويقول أحمد عادل كمال (لست أدري لماذا لم نحاول أن نعالج المشكلة معالجة شرعية. لم نحاول أن نؤدي الدية إلى ورثة الخازندار وأن نسترضيهم حتى يرضوا. ربما كانوا رضوا وربما كانوا رفضوا ودون زعم أنه قياس بمعناه الشرعي نذكر أن سيف الله خالد بن الوليد قد قتل في سراياه من أدى شهادة الإسلام باجتهاد خاطئ أنكره عليه رسول الله ﷺ ثم حدث مثل ذلك مرة أخرى منه أيضا في حروب الردة بما أنكره عليه أبو بكر وعمر)[1].

ألم أقل لكم أن فكر القتل والاستباحة والعنف قد نبع كله من نبع واحد وأنه لا مناص من معالجة القضية من جذورها لا من فروعها.

---

(١) أحمد عادل كمال/ النقاط فوق الحروف: ص ٢٢١.

لا أدري كيف يمكننا أن نوفق بين كلام الأخوين الصدوقين أحمد عادل كمال وأخيه الصباغ! فالأول يقول دفعنا الدية وهميا والثاني يقول لم ندفع ولم نحاول. وأغلب الظن أن كلامهما متوافق من الناحية الواقعية. فالدية وهمية وكل هذا الكلام كان للاستهلاك المحلي ولطمأنة أشبال الجماعة والمخدوعين الجدد أنه لم تحدث أية مخالفات شرعية من قبل الرعيل الأول، ولكنها محاولات فاشلة فقد جاء كلامهم متضاربا ومتناقضا حتى مع أنفسهم ونخص بالذكر ذلك الصدوق وهذه المجموعة من الكتب والمذكرات التي هبطت من السماء في مرحلة السبعينات والثمانينات هي استمرار لتلك الحالة من غياب الوعي والرؤية والفقه التي بدأت واستمرت منذ نشأة الجماعة واستفرادها بالساحة. ذلك الاستفراد الذي ساقهم لما هو أسوأ من الغرور ثم جاءت التحالفات السياسية الداخلية والخارجية ممن حاولوا الاستفادة منهم مع أو ضد لتفاقم حالة الاختلال الفكري والنفسي البشعة التي يعاني منها هؤلاء والمتأمل لكتاب ذلك الصباغ الذي قدم له ذلك المشهور يدرك تماما هذا ويدرك حجم الجرم الذي ارتكبه من تحالف مع هؤلاء وخاصة أولئك الذين يواصلون كيل المديح والثناء للإمام الملهم باعتبار أنه مصدر كل خير والله يشهد أن كل هؤلاء لكاذبون ومزيفون ومزورون. والله يعلم أن الذين فعلوا ما فعلوا في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ثم أصدروا تلك الكتب في الثمانينات لم يثنهم عن غيهم ولا عن عدوانهم إلا أن السيف قد نزع من أيديهم فهم ما ندموا على قتل أحد ممن قتلوه ولا دفعوا دية لأحد ولو بقي السيف في أيديهم لما أعطوا قضاة مصر وأحرارها إلا السيف أو السوط.

وهم يعتبرون أن كل من يعارضهم هو عدو للإسلام والمسلمين وهو ما قاله الصباغ تحت عنوان (أثر هذا الحادث على الدعوة: ولكن أعداء الإسلام استمروا في التشكيك فيما أعلنه فضيلة المرشد من براءة الدعوة من هذا الحادث ولم يكن لهجومهم أثر يذكر فالشعب يعرف الأخوان وجهادهم ويستريح لبراءتهم من كل شائبة تشوب هذا الجهاد كما أن هذا الحادث لم يهز ثقة المرشد في السندي حيث استمر على ثقته واعتماده على النظام الخاص وقيادته حتى لقي ربه راضيا مرضيا)[١].

الأخوان المسلمون والنقراشي من التحالف إلى الإتهام بالخيانة.

نمضي مع الرجل الصدوق محمود الصباغ وهو يمارس هوايته المفضلة كبقية الأخوان هواية التهويل وافتعال الأحداث ونقل الإشاعات ثم ترويجها باعتبارها من المسلمات، باعتبارها وردت على لسان أخ عدل أو ثقة وكلهم عدول وثقات حفظهم الله! ومن بين تلك المبالغات والتهاويل أو الأكاذيب التي اكتشفناها أثناء قيامنا بهذه الدراسة والتي انتقلت عن طريق ذلك السلف الصالح الأكذوبة الشهيرة عن حادثة (كوبري عباس) حيث يقول الصباغ: (ووقعت مصادمات عنيفة بين الشعب والبوليس في القاهرة والإسكندرية وقتل فيها البوليس الكثير من شباب الجامعة المصرية كما حدث فوق كوبري عباس في ٩ فبراير ١٩٤٦)[٢].

ويردد صلاح شادي نفس الإشاعة التي تساوي في مصداقيتها

---

(١) محمود الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد: ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص٣٢٠.

تماما ما أشيع عن القاضي الخازندار من حكاية الحديدة المحماة التي دخلت إلى منطقة العفة إياها وأسفرت عن الحكم على ذلك المجرم سنة مع إيقاف التنفيذ حين يتحدث عن وزارة النقراشي التي أقيلت على أثر المظاهرة التي قادها مصطفى مؤمن زعيم طلبة الأخوان المسلمين وسميت بمظاهرة كوبري عباس التي قتل فيها عدد من الطلبة فيما سمي وقتئذ بمذبحة كوبري عباس)[١].

أما أحمد عادل كمال فيكذب الأخوين (الصدوقين) متحدثا عن مظاهرة كوبري عباس قائلا (و قد شاع حينذاك أن القتلى بلغوا كذا وكذا ولكن الذي أؤكده وقد شهدتها وأصابتني بعض هراوات الشرطة أن أحدا لم يقتل يومها)[٢].

هذا هو أسلوبهم المفضل والمميز التهويل والمبالغة ثم إطلاق الإشاعة التي تتحول إلى حقيقة تاريخية يجري تداولها من دون تحقيق ولا تدقيق طالما اعتمدها أخ ثقة وخاصة إذا كان من بين مصادرهم الرسمية والمعتمدة.

الأخوان المسلمون يتعاونون مع النقراشي بالرغم من ماضيه الشائن؟؟!!.

هكذا قال القطب الإخواني البارز محمود الصباغ كما يسمونه في هذه الأيام.

لماذا يتعاون الأخوان مع الرجل بالرغم من ماضيه الشائن؟؟.

أليس من المشين أن يتعاون الأخوان مع رجل له ماض

(١) يراجع صفحات من التاريخ: ص٨٣.

(٢) أحمد عادل/ النقاط فوق الحروف: ص١٧٥.

شائن؟؟ أم أن الغاية تبرر الوسيلة؟؟ ولماذا يتعاونون مع مثل هذا الرجل ثم يقتلونه ولماذا لم يقتلوه منذ البدء طالما أنهم على علم وبينة به وبماضيه؟؟

يقول لنا الرجل (رأت الجماعة أن تأييد النقراشي باشا إذا ما سلك أسلوبا جديدا في مواجهة الإنجليز أجدى وأنفع من دخول البلاد في اضطرابات داخلية جديدة وإسقاط النقراشي استنادا إلى ماضيه الشائن أثناء توليه وزارته الأولى من مارس ١٩٤٥ إلى فبراير ١٩٤٦)[١].

بل وأمعن مرشد الأخوان في ذلك التعاون حينما أرسل برقية تأييد إلى النقراشي ذو الماضي الشائن الذي أصبح خائنا بعد ذلك (فيما كان يلقي خطابا في مجلس الأمن دفاعا عن قضية مصر الوطنية وكان هذا ردا على برقية من النحاس باشا أرسلها ضد النقراشي وقد قامت الإذاعة المصرية بإذاعة برقية مرشد الأخوان في كل نشراتها (كان هذا أثناء عام ١٩٤٧).

ناهيك عن أن هذا (الخائن ذو الماضي الشائن) أعلن عزمه على قطع مفاوضات الجلاء مع الإنجليز وقام بتسهيل مهمة الأخوان المسلمين في جمع الأسلحة من الصحراء الغربية (مخلفات الحرب العالمية الثانية وأعطاهم تصريحا رسميا بذلك) وكل هذا وسينتهي الأمر بإعلان الرجل خائنا وشائنا وعميلا ثم إعدامه[٢].

أضف إلى ذلك أن هذا (الشائن الخائن العميل) من وجهة نظر

---

(١) مجموع الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد ص ٣٢٠.
(٢) المصدر السابق: ص٣٢٠ - ٣٢٤.

الأخوان والذي كان رئيسا لوزراء بلد يحتله الإنجليز لم يرضخ لضغوط المحتل حينما خاطبه السفير الإنجليزي محتجا على تساهل السلطات المصرية مع المتهمين بمهاجمة القوات البريطانية المحتلة (طالبا منه تشديد الإجراءات ومنع التساهل مع هؤلاء) فكان جوابه **(ليس في الإمكان التدخل لدى القضاء فالمحافظة على مشاعرهم في الاستقلال والأمان أمر جوهري لتحقيق الممارسة الصحيحة للعدالة وأضاف أنه لا شك أن المحاكم المصرية لا تعمل بالسرعة المعتادة في بريطانيا)**(١) .

لقد كان هذا الرجل من دون أدنى شك مفخرة لمصر ذلك الرجل الذي يجيب على سفير الدولة المحتلة لمصر بريطانيا العظمى بذلك الجواب الممتلئ بالعزة والكرامة ولكنه بالرغم من ذلك كله فهو خائن وشائن من وجهة نظر الأخوان وعلينا جميعا أن نحني رؤوسنا لكل ما تقوله الجماعة الوحيدة التي فهمت الإسلام فهما صحيحا وشاملا وكانت تصرفاتهم السياسية والأخلاقية والتشريعية دائما في مستوى ادعاءاتهم كما تنطق بذلك الصفحات السابقة والبقية تأتي ثم جاء التحالف مع ثوار يوليو وكان من أهم بنوده ولا زال إلى يومنا هذا اغتيال كرامة وأعراض كل رجال مصر الذين ساهموا في حكم هذا البلد قبيل الثورة المجيدة الجيد منهم والرديء ويبقى أن المجتمعات التي تفتقر للإنصاف والعدل لا تستحق إلا أن يحكمها الأخوان ومن كانوا على شاكلتهم ولا عجب أن يشكو قادة يوليو هم الآخرون من اغتيالهم معنويا وأدبيا على يد الأخوان وأن يستدعيهم

---

(١) أحمد عادل كمال/ النقاط فوق الحروف: ص١٩٠ .

السادات من المنافي والفيافي ليساهموا في طمس الحقبة الناصرية التي سبقته تنفيسا عما في نفوسهم من حقد على (الزعيم الخالد) وبعد أن أنجزوا ما تم الاتفاق عليه عادوا فانقضوا على السادات. وهذا درس لكل من يفكر في التحالف الانتهازي معهم والقاعدة تقول (اعمل ما شئت.. كما تدين تدان) والأخوان دائما مستعدون هم وجهاز إطلاق الشائعات الخاص بهم للقيام بأي دور يُطلَب منهم.

فما عدا مما بدا وما الذي فض التحالف بين الأخوان والنقراشي باشا وأوصل الأمور إلى نقطة اللاعودة الجواب من دون شك عند النظام الخاص (آل كابوني) الذي اعتبر فيما يبدو أن انطلاقه للعمل داخل فلسطين يعطيه الفرصة للانقضاض على النظام في الداخل وكانت أحداث ١٩٤٨ (فترة صدام عنيف ومسلح حيث حدث تطور في المواجهات بين الأخوان والحكومة إذ بدأ الأخوان في استخدام القنابل في الهجوم على رجال الشرطة وفي يوم ٣-٢-١٩٤٨ اصطدم البوليس بالطلاب في الزقازيق بسبب المطالبة بجلاء جيش الاحتلال الإنجليزي في مصر وألقى طلاب مدرسة الزقازيق الثانوية القنابل عليه فأصابت بعض رجاله)[١].

ثم كانت حادثة اغتيال القاضي الخازندار في مارس ١٩٤٨ ثم تطورت الأمور بعد ذلك وصولا إلى ما سمي بقضية السيارة الجيب وصدور قرار حل الأخوان المسلمين ثم اغتيال النقراشي بعدما تحول من حليف إلى خائن وعميل وعدو للإسلام والمسلمين وكما قالوا

(١) أحمد عادل كمال/ النقاط فوق الحروف ص ٢٢٧.

(حارب الإسلام والمسلمين بحربه لجماعة الأخوان المسلمين) فالجماعة هي الإسلام والإسلام هو الجماعة رضي من رضي وسخط من سخط.

دراسة في فقه القتل والسحل والإغتيالات:

أصدر محمود الصباغ كتابه في منتصف الثمانينات بعد أكثر من أربعين عاما من تلك الوقائع وكأنما أبى الرجل أن يترك الدنيا إلا وقد كتب بخط يده وثائق إدانته وكأنما أبى أيضاً إلا أن يخرج لسانه لأولئك الكذابين الذين يسوقون الجماعة ديمقراطيا وحضاريا وليس اليوم كالبارحة فالمصالح هي التي أملّت على العهد الناصري التحالف معهم ومحاكمة أعدائهم والغض عن جرائمهم. ثم عاد ليصطلي بنارهم ولكنه شاركهم في هزالهم الفكري والعقائدي فلما أحس بحجم خطرهم وعودتهم للظهور مع بداية الستينات استعان بالماركسيين لمواجهة مدهم فازداد الطين بلة ووجد أصحابنا مادة إضافية لاستمرار هجومهم على النظام الناصري المتحول علمانيا وماركسيا بينما هم وحدهم حماة الدين والإسلام. ثم جاء السادات ووجد اليسار متخندقا في مواجهته ووجد كل وسائل الإعلام في أيديهم فاستعان بهم فجاءوا بقضهم وقضيضهم وأموالهم وبنوكهم وامتداداتهم الإقليمية والدولية وهي كلها ممتلكات وثروات أقطعت إليهم إقطاعا على طريقة (لقد أعطى من لا يملك لمن لا يستحق). لتسهيل قيامهم بدورهم المرسوم الذي يحتاج إلى درس عميق وتحليل يقوم به حكماء الأمة بعيدا عن الصبية ومرتزقة السياسة فتحالفوا مع السادات، ثم انقلبوا عليه وهاجموه مثلما تحالفوا مع النقراشي ثم انقضوا عليه وهاجموه وقتلوه ومثلما تحالفوا مع عبد

الناصر ثم انقضوا عليه وهاجموه وحاولوا قتله ومثلما صنعوا مرشدهم وإمامهم حسن البنا. ثم جعلوا منه أداة لتسويق تصرفاتهم وكانوا هم السبب المباشر في قتله بعد صدور قرار حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨ فبدلا من الاكتفاء بمواجهة قرار الحل سياسيا وقانونيا وهو ما حدث بالفعل حيث صدر حكم المحكمة ببطلان قرار الحل كانت سرايا الأخوان ترد على القرار باغتيال النقراشي ومحاولة نسف المحكمة بما فيها ومن فيها. ثم محاولة اغتيال (إبراهيم عبد الهادي) رئيس وزراء مصر خلفا للنقراشي بينما كان إمام الجماعة يستجدي الوساطات السياسية إما للعودة عن قرار الحل أو للإبقاء على حياته، كل هذا في الفترة من ديسمبر ١٩٤٨ حتى اغتياله في فبراير ١٩٤٩ حيث [طلب مصطفى مرعي من المرشد إصدار بيان يتهم الأخوان الذين قتلوا النقراشي بالإجرام ويتبرأ منهم ويثبت أنهم يعملون على غير إرادته فأعد بيانا منه رغبة في تخفيف حدة الهجوم على الأخوان وكما يقول محمود الصباغ - **(لم يكن هناك مانع شرعي من إصدار مثل هذا البيان ليبطل به سلاح كافر موجه ضد الأخوان فالحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ)**[1].

وطبعا فإن هذا الكلام من تمام فقه الرجل (ويبدو أنه ممن ساهموا في وضع أسس التحول الديمقراطي المعاصر للأخوان!!) الذي لا يرى بأسا أن يكذب المرشد ليبطل مفعول سلاح كافر وطبعا كل من عدا الأخوان فهو كافر وسلاحه أكفر منه والحرب خدعة ولكن عن أي سلاح يتحدث الرجل فحتى تلك اللحظة لم يكن قد أطلق على الأخوان سلاح مؤمن أو كافر وعملية الاغتيال الوحيدة

(١) محمود الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد: ص ٤٨٢.

التي تعرضت لها جماعة الأخوان وهي اغتيال الرجل الملهم حسن البنا لم تكن قد وقعت بعد والأخوان في كل مرة كانوا هم الذين يطلقون الرصاص أو يلقون القنابل والخسائر حتى تلك اللحظة كانت في عساكر (الكفار المصريين) ولم تكن في صفوفهم.

أما (**الإمام الملهم الشهيد مخلوق النور**) الذي تحكى عنه الأساطير فقد كان عاجزا عن منع ما يقرره قادة ما يسمى بالجيش الإسلامي وكان دوره في نهاية مرحلة إمامته محصورا في إصدار بيانات الاستنكار لما تفعله منظمة آل كابوني فعن أي إمام يتحدثون؟؟ إنه الإمام الذي صنع الوحش فتمرد عليه وأكله وكما يروي المستخف أحمد عادل كمال (**و بدأت مرحلة من الاتصالات بين الأستاذ المرشد وبين الحكومة عن طريق وسطاء وكان أول وسيط هو المحامي مصطفى مرعى الذي رفض الاستمرار في الوساطة على أثر حادث المحكمة ذلك الحادث الذي استئذن حسن البنا في تنفيذه فرفضه ولم يأذن به ولكنه نفذ فوضع الرجل في أشد حالات الحرج ولست أدري ماذا قال في حينها ولكنه لو قال إن هذا العمل تم دون أمره لصدق الصدق كله**)[1].

نعود إلى البيان الذي أصدره الرجل الخارق حسن البنا في أتعس لحظات ضعفه وأورده محمود الصباغ في كتابه بعد أن قتل معنويا وأدبيا على يد رجاله وهو يستجدي مصالحة النظام وكما يقول البعض أن عبد الناصر مات يوم هزيمته عام ١٩٦٧ فنحن نقول أن أحداث ١٩٤٨ قد قتلت الرجل أدبيا قبل أن تصيبه الرصاصات التي

(١) أحمد عادل كمال/ نقاط فوق الحروف ص ٢٩٨.

قتلته بعد ذلك بشهور فماذا قال الرجل **(وقعت أحداث نسبت إلى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا بروحها وتلا هذا الحادث اغتيال محمود فهمي النقراشي باشا الذي أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهاده وخلقه)**[١].

ولنا تعليق على الفقرة الأولى من هذا البيان حيث يقول مرشد الأخوان وإمامهم حسن البنا أن هذه الأحداث وقعت من أناس لم يتشربوا بروح الجماعة . . أي روح هذه ؟؟ أهي روح العدوان الوثابة التي زرعها (سماحته) في نفوس أعضاء التنظيم ألم يقل (فضيلته) قبل هذا أن الأخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدي غيرها وحين يثقون أنهم قد استكملوا العدة ألم يقل أنه حينما يبلغ الأخوان ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها فسيقتحم بهم لجج البحار وعنان السماء ويغزو بهم كل جبار عنيد ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة وعلى هذا فمن حقنا أن نفترض أن هيئة الأركان الإخوانية كانت قد أعطته تقارير بجهوزيتهم للتحرك واستعدادهم لبدء القتال لإقامة دولة الأخوان المسلمين وإلا لما أذن فضيلته لجيشه المبارك الميمون بهذه الأعمال أما إذا كانوا قد تحركوا دون إذنه وربما كان هذا الافتراض صحيحا فسيصبح عندها الحديث المكرر والممل عن إمامته وقدراته الخارقة نوعا من التضليل والاستغفال لأمة لا إله إلا الله وهذا ما نعتقده ونرجحه.

المهم لقد قد تحول الإمام الشهيد الملهم تحت الضغوط إلى داعية سلم لا عنف وطبعا فقد كان هذا وكما قال الصدوق الصباغ

---

(١) محمود الصباغ/حقيقة تنظيم الجهاد ص٤٨٣.

أمرا جائزا من قبيل جواز خداع الكفار فالحرب خدعة ونعم تلامذة الإمام!!

نمضي مع بيان الإمام (**و لما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف بل تنكره وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها وتسخط على مرتكبيها (!!!) فنحن نبرأ إلى الله من الجرائم ومرتكبيها**)[١].

هكذا اعتقد (الإمام) أنه أدى ما عليه لله وللوطن وكان على الحكومة أن ترد التحية بأحسن منها وأن تطلق سراح مرتكبي الجرائم سن الأخوان وأن تكف عن ملاحقته هو ولكن الأحداث لم تكن قد بلغت نهايتها بعد.



(١) محمود الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد ص٤٨٣.

سيد فايز:...... من قتل يقتل

اغتيال سيد فايز (صاحب قرار شن حرب العصابات) على يد الأخوة.

يقول محمود الصباغ في كتابه الوحيد الفريد والحمد لله أنه توقف عن التأليف بعد هذا الكتاب مباشرة **(كان الشهيد سيد فايز!! - شهيد بالرغم من أن الأخوان هم الذين قتلوه؟؟ - هو مسئول النظام الخاص عن مدينة القاهرة بعد اعتقال كل من يعلوه في القيادة سواء من رجال الدعوة العامة أو من رجال التنظيم الخاص - فأصبح سيد فايز هو المسئول عن حماية الدعوة في هذه الظروف الشاذة وله حق الاجتهاد!!؟؟ فقرر الدخول مع الحكومة في حرب عصابات فوق أرض مصر؟؟!! أ وبدأ السيد معاركه برأس الخيانة - محمود فهمي النقراشي وتم له ما أراد. . . . . . . ثم محاولة نسف المحكمة حيث اكتشف أحد المخبرين الحقيبة المحملة بالمواد الحارقة المعدة للانفجار بجوار دولاب حفظ أوراق قضية السيارة الجيب إلا أن العملية فشلت)**[١].

فإذا كان عبد الرحمن السندي هو قاتل الخازندار فإن سيد فايز هو قاتل النقراشي وصاحب قرار شن حرب العصابات فوق أرض مصر ومفجر المحكمة بمن فيها وما فيها مع إيقاف التنفيذ!! ونية المرء خير من عمله!!.

---

(١) محمود الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد: ص ٤٥٠-٤٥١.

إذن فقد كان هناك قرار بشن حرب عصابات فوق أرض مصر هكذا قال محمود الصباغ بالحرف الواحد. . . ومن هنا يصبح وصفنا لهم بآل كابوني وصفاً مُبرراً. لم يشرح لنا هؤلاء الجهابذة كيف اتخذوا هذا القرار الخطير ولا مبررات اتخاذه ولا من اتخذه وهل شارك الإمام الشهيد في اتخاذ هذا القرار أم أنه كان كالعادة جاهزا ببيانين بيان إدانة وبيان إشادة ومباركة ولكل مقام مقال ولكل زمان إمام.

ناهيك عن أن محمود الصباغ لم يحدثنا عن كيفية شن هذه الحرب ولا تكلفتها ماديا وبشريا ومن سيتحمل هذه التكاليف التي كان من الممكن أن تأكل الأخضر واليابس إذا قدر للأخوان أن ينفذوا ذلك القرار المعتوه. والحمد لله أنهم فشلوا فشلا ساحقا وأعطاهم الله الفرصة بعد ذلك أن يجربوا في شعب مصر من خلال ثورة يوليو المجيدة والنتيجة معلومة للجميع.

دارت الأيام وقيل على لسان صلاح شادي **(أن المرشد قد قدم إليه سيد فايز قبل حادث اغتيال النقراشي باعتباره المسئول عن النظام الخاص)**[١].

ويزعم صلاح شادي: **(أن هاتين العمليتين أاغتيال النقراشي ومحاولة نسف المحكمة - كان السندي قد أبرم أمرهما من وراء ظهر سيد فايز!! ومن وراء المرشد ظنا منه أن إحراق أوراق التحقيق فيه إعدام للتهمة)**[٢].

---

(١) النقاط فوق الحروف: ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٨.

ويذكر صلاح شادي في هامش نفس الصفحة شهادة للأخ عبد الحليم محمد أن **(أمر التنفيذ صدر من السيد فايز شخصيا)**.

وهذا الكلام يؤكد استنتاجنا السابق أن المرشد الملهم كان في آخر أيامه بلا حول ولا قوة وكانت القوة لأصحاب القوة.

المهم دارت الأيام وجاء حسن الهضيبي مرشدا وكان راغبا في تغيير (قائد الجيش عبد الرحمن السندي) وهي حكاية تشبه قصة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الذي كان عبد الناصر يرغب في إقصائه عن قيادة الجيش بعد حرب ١٩٥٦ ولكنه كان عاجزا وترك الجيش يتحلل حتى كارثة يونيو ١٩٦٧.

(أحس السندي بهذه الرغبة وأن الأرض التي يقف عليها لم تعد صلبة فتحرك على محورين المحور الأول هو محاولة خلع المرشد ثم هداه تفكيره إلى التخلص من هؤلاء الذين يحفرون الأرض تحت قدميه وربما هداه هواه إلى أن إفضاء سيد فايز للمرشد بمعلوماته عن النظام تبيح له قتله!!)[١].

المهم أنه قد جرى اغتيال السيد فايز على يد إخوانه من الجيش الإسلامي وفقا لاعترافاتهم يوم الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣ حيث حمل إليه أحد الأخوة - جزاه الله خيرا!! - **(هدية عبارة عن حلوى المولد النبوي الشريف بداخلها شحنة ناسفة من مادة الجلجنايت شديدة الانفجار حتى إذا حضر سيد فايز بعد ذلك انفجرت هدية إخوانه في محيط الغرفة وأطاحت بحائطها الذي هوى إلى الشارع)**[٢].

---

(١) صلاح شادي/ النقاط فوق الحروف ص ١٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤.

هؤلاء يا أخي هم أعضاء الجيش الإسلامي المنوط به تحرير المسلمين وإقامة الدولة الإسلامية. وصدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من سل سيف البغي قتل به ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

القول الفصل في فقه القتل والسحل:

وقبل أن نأخذ الخلاصة الشافية في فتاوى القتل والسحل على يد البحر الزخار محمود الصباغ لا بد أن ننوه إلى أن هذا الكتاب الذي حوى أكبر كمية ممكنة من الحمق السياسي والخلل الفكري قد قدم له المرشد الحالي لجماعة الأخوان المسلمين **(مصطفى مشهور) قائلا (و قد عرض الأخ محمود الصباغ في هذا الكتاب لكثير من الصفحات المشرقة فجزاه الله خيرا ونفعه ونفع به).**

من هنا يمكننا أن نزعم أن هذه «الصفحات المشرقة» تمثل من دون أدنى شك فكر المرشد الحالي للجماعة (كتب هذا الكلام قبل وفاته عام ٢٠٠٢م ثم وفاة خلفه مأمون الهضيبي في يناير ٢٠٠٤م) وطبعا كل المرشدين (ملهمون) فضلا عن صلة التلمذة التي جمعت التلميذ الصباغ بالأستاذ مشهور.

فماذا قال الصباغ في خلاصته الفقهية: **(لا يمكن أن يعتبر قتل النقراشي من حوادث الاغتيالات السياسية (!!) فهو عمل فدائي صرف قام به أبطال الأخوان المسلمين لما ظهرت خيانة النقراشي باشا صارخة في حرب فلسطين ثم أعلن الحرب على الطائفة المسلمة الوحيدة التي تنزل ضربات موجعة باليهود. فحل جماعتهم واعتقل قادتهم وصادر ممتلكاتهم وحرم أن تقوم دعوة في مصر تدعو إلى هذه المبادئ الفاضلة إلى الأبد فكانت خيانة صارخة لا تستتر وراء عذر**

أو مبرر مما يوجب قتل هذا الخائن شرعا ويكون قتله فرض عين على كل مسلم ومسلمة)[١].

إنه المذهب (الصباغي الأخواني) فلو عرضت هذه الاتهامات الموجهة للنقراشي على محكمة من العقلاء فربما وجدوا له عذرا يخرجه من تهمة الخيانة ومحاربة الله ورسوله لاختلافه مع الأخوان المسلمين وهو الذي كان متحالفا معهم حتى زمن قريب وربما حكم البعض ببراءته وحكم البعض الآخر بإعدامه الذي سيكون بكل تأكيد (فرض كفاية) لو قام به أحد أفراد الأمة المسلمة التي هي الأخوان المسلمين لسقط عن باقي أفراد الأمة. أما بالنسبة للمذهب الصباغي الإخواني الذي باركه ذلك المشهور فقتل النقراشي فرض عين على كل مسلم ومسلمة!!!

وهذا يقطع بصحة ادعائنا عليهم أنهم يرون الجماعة هي الإسلام كل الإسلام وأن خصوم الجماعة هم أعداء الإسلام وإلا كيف مر هذا الكلام على ذلك المشهور؟؟.

نمضي مع ذلك الصباغ وهو يقرر لنا أصول فقه الاغتيالات الذي باركه مرشد الجماعة الحالي وهي القواعد التي تنطبق على كل من اتهمته الجماعة بمعاداتها مثل النقراشي. فهو كافر مشرك وإن صلى وإن صام فهو يستحق العقوبات التالية:

١ - يجوز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر على العداء والتحريض على حرب المسلمين.

٢ - يجوز اغتيال من أعان على قتال المسلمين سواءاً بيده أو بماله أو بلسانه.

---

(١) محمود الصباغ/ حقيقة تنظيم الجهاد.

٣ - يجوز التجسس على أهل الحرب.

٤ - يجوز إيهام العدو القول للمصلحة[١].

والشاهد أن كل هذا الكلام جاء في سياق الاستدلال على وجوب اغتيال النقراشي ونسف المحكمة وبالطبع فمسألة عدم إسلام خصوم الجماعة السياسيين وانطباق هذه الأحكام عليهم هي من المسائل المحسومة عند صاحبنا وعند أقرانه وأكبر تنازل يمكن لهؤلاء تقديمه فيما إذا قوبلت عملية القتل بالاغتيال والاستهجان أن يجرى اعتبار العملية مجرد قتل خطأ و(كلب وراح واللي تعرف ديته اقتله).

ويسأل سائل: ما هو المبرر لفتح تلك الصفحات الآن فقد دُفن هذا التاريخ ودُفن أغلب أبطال هذه المرحلة وكاد المرشد الحالي أن يلقى ربه ليسأله عما قدم وهناك أجيال جديدة لا شك أنها تختلف عن سابقتها وتمارس العمل السياسي في النقابات ومجلس الشعب وتسعى لأن تصبح جزءا من الشرعية الاجتماعية والسياسية؟؟؟. فلماذا فتحُ هذه الصفحات وتأليب الصراعات؟؟

الجواب: يعرفه الذي ينظرون إلى الساحة نظرة أوسع من رؤيتهم العدائية أو المناصرة لهذا التنظيم أو ذاك.

فاستخدام القوة في الصراعات الداخلية هو حالة استثنائية ولا يمكن أن تكون سياسة ثابتة كما نظر هؤلاء (من التنظير) ووضعوا قواعد للاشتباك لا زالت موجودة على الأرض ومحفورة في الوجدان وقد وجدت طريقها إلى أماكن كثيرة خارج مصر حيث جرى جزأرتها أو أفغنتها أو سودنتها ونزع اسم الأخوان المسلمين عنها وأسبغ قادة

---

(١) المصدر السابق: ص ٤٣٧.

الفصائل الجديدة على أنفسهم صفات الإلهام والعبقرية والذكاء ولكن يبقى أصل هذا المشروع الفكري في ثوبه المعاصر واحدا وهو ما ذكرناه في هذه الصفحات.

الأمر الثاني: أن هذه الجماعة حينما تخلت عن خططها العسكرية الحربية فهي لم تفعل هذا من خلال إنجاز اجتهاد بمعناه الفكري والشرعي هذا الاجتهاد الذي يقتضي نقد وتحليل ما سبق والاعتراف بما فيه من أخطاء والتمسك بما فيه من صواب وكل ما عدا ذلك لا يعدو كونه مجرد تراجع فوضوي غير منظم أملته ظروف المرحلة ليس إلاّ أن يُبقي على الجذور الفكرية الفاسدة والمختلة ويلقي ظلالا من الشك حول ادعاء تلك الجماعة بنبذ العنف والقتل غير المبرر.

الأمر الثالث: أننا حين نتصدى لتحليل ذلك التاريخ والكتابة عن ذلك الفكر لا نفعل ذلك انطلاقا من رغبة استئصالية نقدر أو لا نقدر عليها وإنما نفعله من منطلق رؤية توحيدية تجعل من تراثنا التاريخي وحدة واحدة لا يمتلك فيه الأفراد إلا رقعة ضيقة للغاية هي سيرتهم الذاتية ويبقى كل ما هو جماعي أو عام ملك للأمة كل الأمة.

الأمر الرابع: الذي حتم علينا القيام بهذه الدراسة هو ذلك الاعتذار السمج والمكرر الذي يردده المتحدثون باسم هذه الجماعة حين تثار هذه القضايا التاريخية فيردون على ذلك السؤال المثار (بأكلاشيه محفوظ) هو - لقد كانت الأحداث مجرد حوادث فردية وجرى إدانتها في وقتها - فهل فتوى ذلك الأحمق بأن قتل النقراشي كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة تعبر عن تلك الحالة الفردانية التي يرددها متحدثوا الأخوان في كرنفالات السياسة المصرية؟؟.

الشيء الأخير الذي نود أن نقوله لإخواننا المسلمين في جماعة الأخوان أن كل ما أنجزوه في عالم السياسة منذ نشأتهم إلى يومنا هذا لم يتحقق من خلال استخدام العنف وإنما من خلال استخدام الوسائل السلمية وهذا ما تمليه طبيعة الساحة المصرية التي لم تألف هذا النوع من السلوك إلا على يد (كان وأخواتها)!!.

إن هذا الاستخدام غير المبرر للعنف واتخاذ قراراً مجنوناً بشن حرب عصابات في شوارع مصر يكشف بوضوح عن خلل جوهري في قراءة هؤلاء السادة للتاريخ الإسلامي واعتقادهم أن مشاكل العالم الإسلامي ما زالت ساخنة وتستدعي التدخل الحاسم والسريع. حيث لم تحدث الردة المزعومة إلا قبل يوم أو بعض يوم على يد الخائن أتاتورك إلى آخر هذا الكلام الذي فندناه سابقاً ومن ثم كانت رؤيتهم التي ترى الضرب والحديد ما زال ساخناً. وفات هؤلاء أن حديد الأمة لم يبق منه شئ لم يصدأ بعد.

ناهيك عن تلك الأكاذيب أو السقطات التنظيرية التي اعتمدوها في مواجهة الواقع من افتراض أنهم النواة الصلبة للأمة الإسلامية الجديدة فهم من وجهة نظرهم**أكثر من حزب وأقل قليلا من أمة وهم يمتلكون ولاية عامة فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله** ولا عجب فقد أقنعهم المرشد الملهم أنهم أصحاب محمد وحاملو لوائه كما حملوه ورافعو قرآنه كما رفعوه ورحمة الله للعالمين (انظر مجموع رسائل حسن البنا)، كل هذا قد زرع في نفوسهم كم هائل من الغرور وانعدام البصيرة لا زال قائما حتى لحظة كتابة هذه السطور وقد تم تركيب كل هذا على عقليات سياسية من نوعية الأخ الصباغ هذا وأغلب المتسيدين فيهم هم على شاكلته أضف إلى ذلك أن منابعهم

الفقهية والفكرية من نوعية تلك الخلاصة الفكرية المنتقاة التي أوردناها ومن فكر ابن تيميه ومن كانوا على شاكلته ولا شك أن هذا هو (المزيج أو الخلطة القاتلة) لأي حركة أو مشروع سياسي إسلامي أو حتى غير إسلامي.



الأخوان المسلمون يدمنون الفشل

محاولة اغتيال عبد الناصر.

لم يحاول الأخوان المسلمون يوما ما إدانة أنفسهم مهما ارتكبوا من أخطاء أو أساءوا التقدير. وكما ذكرنا من قبل على لسان هذا الصباغ أن (إعدام النقراشي كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة وأن النقراشي هو الذي قتل النقراشي والخازندار هو الذي قتل الخازندار وكان فضل الله عليك عظيما وكان نصر الله للمؤمنين عظيما) إلى آخر تلك الخزعبلات التي امتلأت بها صفحات كتابه المملوء بالحكمة والموعظة الحسنة ومن لا يصدقنا فليرجع إلى الكتاب.

انتقل الأخوان من فشل إلى فشل حتى وإن نجحت رصاصاتهم في إصابة بعض الأهداف فالنتائج كانت وخيمة ومأساوية للغاية، وهم لم يستفيدوا شيئا من الكارثة التي سبقت ولحقت اغتيال النقراشي حيث عادوا بعد خروجهم من السجن في قضية سيارة الجيب ليقوموا بإعادة تشكيل النظام الخاص وهي عودة تزامنت مع تحوّلين هامين هما:

١ - نجاح تحالفهم مع مجموعة الضباط الأحرار في الإطاحة بالنظام الملكي ومجيء عبد الناصر، حليفهم والابن البار للتنظيم الخاص وواحد ممن أعطوا البيعة إياها في حي الصليبة.

٢ - تفاقم النزاع بينهم حول قيادة التنظيم الخاص ما بين جناح مؤيد للمرشد الجديد حسن الهضيبي وقيادة التنظيم الخاص عبد الرحمن السندي الذي فشل الإمام السابق في الإطاحة به حسب رواية (صلاح شادي) أو مات وهو عنه راض (حسب رواية محمود الصباغ) مع ملاحظة أن السندي هو من قام بضم عبد الناصر إلى التنظيم الخاص.

تفاقم الصراع بين الإمام الجديد والثوار الذين نجحوا في استمالة السندي إلى جانبهم بالإضافة إلى عدد من القيادات الإخوانية الشهيرة غير الراضية عن الهضيبي، متهمة إياه بأنه مرشح القصر لقيادة الأخوان وليس لنا مصلحة ولا نرى فائدة من مناقشة هذه المهاترات المتداولة في أوساطهم إلى يومنا هذا.

المهم كان المرشد يحارب على جبهتين جبهة الثوار وجبهة الانشقاقات داخل الجماعة التي تجلت بوضوح في اغتيال سيد فايز على يد إخوانه بشحنة ناسفة شديدة الانفجار يوم الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣م وهو اغتيال كان المتهم الرئيسي فيه هو الأخ عبد الرحمن السندي الذي تحول إلى حليف رئيسي للثوار ومن هنا لم يتخذ النظام الثوري أي إجراء جاد لمعاقبة المسئولين عن هذه الجريمة التي كانت تصب من دون شك في اتجاه إزكاء الصراع بين الجناحَين المتنازعين. وهي مسألة ما كان ينبغي لها أن تمر على المرشد الجديد رجل القضاء السابق الذي كان عليه أن يدرك أن يد النظام الجديد أصبحت تعبث في عقر داره، وكان على فضيلته أن يقرأ الرسالة جيدا وأن يتخلى في الوقت الملائم عن اشتباكه مع رجالات الثورة وعناده الذي كلفه وكلف جماعته الكثير والكثير من الخسائر المادية

والمعنوية والسياسية ناهيك عن أن هذا الأسلوب القديم لم ينفع مع حكومات مدنية منتخبة كانت تلتزم بسيادة القانون واستقلال القضاء فهل ينفع (المذهب الإخواني الصباغي) الذي أفتى باغتيال النقراشي وكونه فرض عين على كل مسلم ومسلمة - هل ينفع هذا الأسلوب مع العسكر الذين اعتادوا على إطلاق الرصاص وإصدار الأحكام العسكرية؟؟ يبدو أن المرشد كان يعتقد بنجاعة هذا الأسلوب. ومن هنا كانت تلك المحاولة الفاشلة لاغتيال جمال عبد الناصر على يد عصابة آل كابوني بعدما أعاد المرشد تشكيلها وفات رجل القانون الذي تحول إلى قائد عصابة من القتلة أن نظام الحكم الذي كانت تسود فيه سيادة القانون ويحاكم فيه الموقوفون من الأخوان أمام قضاة طبيعيين ويصدر عليهم حكم بثلاث وخمس سنوات ثم يجرى استئنافه ليخفف الحكم على أحدهم إلى البراءة ومع ذلك لا يعجبهم الحكم ويقتلون القاضي. هذا النظام قد ولى وذهب ولا زال الأخوان يفخرون بدورهم في القضاء عليه وجاءوا إلينا بحكومة آل كابوني و(اللي يقول بم) يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة أمام محاكم عسكرية وأمام قضاة ليسوا بقضاة ولا زال الأخوان يفخرون بدورهم في تأسيس حكومة آل كابوني رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا تقرر اغتيال عبد الناصر على يد الجيش الإسلامي في ثوبه الجديد بقيادة يوسف طلعت الذي عينه المرشد الجديد حسن الهضيبي (قائدا عاما للقوات الإسلامية المسلحة) ولنستمع إلى شهادة الدكتور «محمود جامع» رجل الأخوان والسادات وهو يدلي بروايته الأقرب للخيال:

(ومع تصاعد حدة الصراع بدأ بعض شباب الأخوان يفكرون

في اغتيال عبد الناصر باعتباره في نظرهم عدوا للإسلام وأنه يحارب مبادئ الدين)[١].

هذا ليس بالشيء الجديد فكل خصومهم هم من (أعداء الدين) حتى ولو كانوا هم الذين جاءوا به وباركوه، حتى ولو كانوا قد تحالفوا معه مثل النقراشي وعبد الناصر.

«وقد تبين أن عبد الناصر كان قد اخترق الجهاز السري عن طريق عبد الرحمن السندي (!!) رغم أن الأخير كان قد فصل من الجماعة ولكن كل أخبار وأسرار الجهاز السري كانت تصل إلي عبد الناصر مما دفع يوسف طلعت رئيس الجهاز إلى البحث عن كيفية الاختراق وعن الخلية التي تتسرب من خلالها الأسرار وبعد بحث طويل اكتشف يوسف طلعت أن خلية امبابة والتي كانت تضم محمود عبد اللطيف هي الخلية المخترقة !!! وأن أمرا قد صدر إليها باغتيال عبد الناصر دون أن يعرف أحد مصدر هذا الأمر!!!؟؟؟؟»[٢].

هل رأى أحد منكم من قبل البلاهة بعينها؟؟ إنها متمثلة في هذه الواقعة التي يحكيها رجل السادات والأخوان محمود جامع والذي يحاول أن يسوق في نفس الوقت لذلك الاعتذار المعتوه لمحاولة اغتيال عبد الناصر شريك وصديق الأخوان[٣].

فهو من ناحية يقول (و قد تبين أن عبد الناصر كان قد اخترق الجهاز السري عن طريق عبد الرحمن السندي!!؟؟)، إن السندي

(١) محمود الصباغ/ حقيقة جهاذ التنظيم: ص٦١.

(٢) المصدر السابق: ص ٦١.

(٣) المصدر السابق.

كان رئيسا للنظام ولم يكن فردا عاديا ولا قائدا لأحد الفروع فهو الذي قام بضم عبد الناصر للتنظيم الخاص ثم تطورت علاقته بعبد الناصر من خلال التنسيق الرسمي المشترك بين الجماعة والثوار. . . . . إنها علاقة رؤوس وليست علاقة تابع ومتبوع ولا يصح إطلاقا وصفها بالاختراق.

ثم لماذا لم يحاول الرجل المرشد قراءة الرسالة التي أرسلت إليه عبر اغتيال السيد فايز مستشاره لشئون التنظيم وفي رواية صلاح شادي (رضي الله عنهم أجمعين) قائد التنظيم من قبل المرشد الأول قبيل وفاته؟؟ تلك الرسالة التي تقول له ببساطة (أنك وأعوانك في قيادة التنظيم في مرمى نيراننا بالتعاون مع النظام الثوري الجديد الذي غض الطرف عن هذا الاغتيال ولم يتخذ أي إجراء ضد القتلة).

لهذا كله كان ينبغي على حسن الهضيبي أن يدرك أن تنظيمه الحديدي الجديد!! أصبح مكشوفا ومخترقا وينبغي سحبه للإصلاح أو للاستبدال لأن القيادة الأصلية للتنظيم أصبحت هناك في حضن الأعداء الجدد ومن هنا فالزج بهذا التنظيم (الكفتة) في أي عمليات جديدة هو انتحار رسمي.

ثانياً: ألم يبن هؤلاء دعايتهم عن مبررات وجود ذلك التنظيم العصابي أنه أنشئ لمحاربة إسرائيل. فلماذا أعاد الرجل المرشد رجل القانون والسلام بناء التنظيم في هذا الوقت وفي مواجهة من؟؟. . . . . أليسوا هم الذين جاءوا بعبد الناصر ورفاقه؟ وفي أقل الأحوال ألم يكن المجيء بهذا النظام الثوري الجديد هو نيتهم ونية المرء خير من عمله!!!. . . هل كان هؤلاء يريدون أن تبقى مصر حقل تجارب للأخوان الذين ربما كانوا يريدون العودة بها

إلى مرحلة الدولة العثمانية والمملوكية التي لم يكن يستمر فيها أحد في حكم البلاد أكثر من عام يقتل قبلها أو بعدها أو يخلع ويهيم على وجهه في البلاد فارا بنفسه وبما نهب من أموال المصريين.

هل كان القوم يؤسسون لدولة (المماليك الأخوانية) حيث يأتون بحاكم أهم مواصفاته البيعة في حي الصليبة على المصحف والمسدس فإذا فشل في اختبار الحكم قامت الجماعة بقتله أو خلعه ثم سحله والمجيء بغيره وهلم جرا؟؟

هكذا قرر الأخوان اغتيال (أخيهم) عبد الناصر كما اغتالوا بالفعل أخيهم السيد فايز وصدر الأمر إلى خلية امبابة بتنفيذ العلمية تلك الخلية التي يدعي الدكتور/ جامع أن السندي كان قد اخترقها. وأن أمر الاغتيال صدر من جهة مجهولة إنها(شنشنة أعرفها من أخزم!!) يقصد (أن عبد الناصر أصدر أمرا باغتيال عبد الناصر) وهو كلام تنقضه نقضا تاما بقية الرواية التي سيذكرها الدكتور عن محاولة الاغتيال. وعلى كل حال حتى لو صدقنا حكاية الجهة المجهولة إياها فهي جهة أخوانية صرفة حتى ولو كانت مجهولة.

ناهيك عن أننا نعتبر المرشد الأول والثاني وكل المرشدين من بعدهم هم بالفعل جهة مجهولة وهم لا يمتلكون ولاية شرعية على أحد من أمة محمد ﷺ وهو ما بيناه في كتابنا عن (محاولة استمساخ الأمة) ناهيك عن أننا نهدي هذه الصورة المأساوية لشبابنا الذين يحلمون بدخول الجنة لتفانيهم في السمع والطاعة لتلك القيادات الجاهلة والمجهولة.

صدر الأمر إذن لهنداوي دوير قائد خلية إمبابة باغتيال عبد

الناصر ولفرط ذكائه!! وبعدما أعد الخطة ذهب إلى جاره الدكتور عبد العزيز كامل عضو مكتب الإرشاد الذي أصبح فيما بعد وزيرا للأوقاف وكان يقطن في نفس العمارة وأخبره بالخطة فانزعج الرجل وحاول الاتصال بالمرشد حسن الهضيبي المختفي في الإسكندرية في مكان سري فلم يعثر عليه. وخشية من مضاعفات الحادث الخطير على الجميع ذهب إلى عبد الناصر وأخبره بالقصة كاملة. فأمر عبد الناصر بالقبض على هنداوي دوير وإحضاره إليه وبعد جلسة طويلة اتفق عبد الناصر وهنداوي دوير على أن يقوم الأخير بتمثيل العملية حتى نهايتها ووعده بالإفراج عنه فورا وأخذت الاحتياطات اللازمة من أجهزة المخابرات دون علم محمود عبد اللطيف واستبدل المسدس والطلقات بأخرى فشنك وبات في حراسة المخابرات دون أن يدري و(مثّل) عبد الناصر الدور حتى آخر لحظة وهذا يفسر صياح هنداوي دوير أمام الجميع أثناء اقتياده لحبل المشنقة أريد عبد الناصر ..... لم نتفق على هذا)[١].

هل كانت حقا تمثيلية أيها السادة يا من تعشقون ترديد هذا السخف إلى يومنا هذا؟؟

لم تكن تمثيلية ولكنها كانت فضيحة تنظيم ما زال يدّعي أنه هو خير الورى وأفضل من فهم الإسلام والأقدر على حفظ وحدة الأمة وصيانة مصالحها من الضياع إلى آخر تلك الدعايات الوردية الفارغة التي يرددها قادة تلك التنظيمات الجاهلون المجهولون والمتملقون لهم رغبة ورهبة.

---

(١) محمود الصباغ/ حقيقة جهاز التنظيم: ٦٢-٦٤.

إنه غرور نابع من إحساس زائف بالقوة والأهم من ذلك كله خطورة الانقياد الأعمى والسمع والطاعة والإذعان لبشر كبقية البشر. وربما كان أدنى مستوى من غيره ولكن أجهزة الدعاية والإعلام هي التي تصنع من الفسيخ شربات، إنه درس لأصحاب الوعي المغيب الذين ما زالوا يعيشون في وهم الجماعة المصنوع والسمع والطاعة والجندية لأناس على شاكلة الهضيبي وهنداوي دوير وعبد الرحمن السندي ويوسف طلعت والبقية تأتي.

ثم جاء سيد قطب ليقلب الطاولة على الجميع.

حدثنا بعض من عاصر تلك المرحلة المبكرة من عمر الثورة ١٩٥٢-١٩٥٤ (و الأسماء عندنا) أن سيد قطب كان من رجالات عبد الناصر المقربين لا من رجالات الأخوان، إنه رجل التعليم «الأديب» الذي كتب وثيقة (هيئة التحرير) وأن (الشهيد سيد قطب) كان هو الذي يناظر الأخوان المعتقلين في بدايات ١٩٥٤ ويحاول إقناعهم بخطأ انضمامهم لجماعة الأخوان ويعرف هؤلاء أيضا أن انقلاب سيد قطب على حليفه وصديقه عبد الناصر جاء بعد ما عجز عن الوفاء بوعده له بتعيينه وزيرا للمعارف في حكومته وهكذا قرر سيد قطب أن يحرق الأرض من تحت أقدام عبد الناصر وأن ينضم إلى خصومه الأخوانيين في ذروة صدامهم مع صديق الأمس.

في هذا المناخ ولد كتاب (معالم في الطريق)! ذلك الكتاب الذي طبعت منه عشرات الطبعات المرخصة وغير المرخصة والتي شكلت وقودا بالغ الالتهاب لآلاف الشباب المتمرد على مجتمعات ظالمة قائمة على استئثار طبقة فاسدة لا تملك من مؤهلات الحكم إلا العصا والسوط والمسدس وآلاف الزنازين التي بنيت على عجل

لاحتواء غضبة تلك الجماهير وتمردها ريثما يتم إعدامها أو تهدئتها وإلهائها.

ولكنه على كل حال وقود لا يشتعل داخل المحرك ولا يعطي دفعة للأمام إنه مادة تحرق من يحملها وتحرق المجتمعات التي يعيش فيها ذلك (الفكر الحارق).

جاء سيد قطب (الفصيح البليغ!؟؟) مستخدما قدراته الكلامية ونفسه الطويل في استخدام الألفاظ وتكرارها ومطها وعكها ثم دكها في صياغة نظرية دموية فوضوية كان لها قصب السبق في ساحات الفكر الإسلامي المصاب بالأنيميا والهزال من مشرق الأرض إلى مغربها.

سيد قطب يدعو المسلمين إلى الإسلام من جديد:

انطلق سيد قطب في بناء منهجه الدموي من تقرير قاعدة (جاهلية المجتمع المسلم) ونفي صفة الإسلام عنه ثم دعوته إلى إنشاء أو اعتناق الإسلام من جديد فقال: **(كذلك ينبغي أن يكون مفهوما لأصحاب الدعوة الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولا إلى اعتناق العقيدة حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون)[١].**

(ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت هي أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة هذه الدعوة التي تكفل بها القرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاما)[٢].

(١) معالم في الطريق: ص٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص٤٠.

إنه تكفير واضح وصريح لا ينفع معه أي نوع من مساحيق التجميل ولا كل أنواع الدعاية والتضليل التي مارسها المؤمنون بذلك الفكر التكفيري البشع. والمعجبون بهذا الفكر من الناقمين على تلك النظم الجائرة. ولكننا لسنا مقتنعين بشيء من هذه المبررات فلماذا نلجأ إلى طريق لا يقودنا إلى ما نهدف للوصول إليه لمجرد أننا نكره تلك النظم الجائرة ونحلم بنظم أكثر عدلا وأكثر ديمقراطية؟؟ وما هي الفائدة التي سنجنيها من مدح ذلك الفكر المغرور المتغطرس الذي يفتتح بتكفير الناس كل الناس حكاما ومحكومين ورفض قبول ادعائهم بالإسلام ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون؟؟.

والواقع يقول أنه لا تكفير الحكام ولا تكفير المحكومين نفعنا أو سينفعنا ولا قربّنا قيد أنملة مما نحلم به من إقامة نظم حكم عادلة تلتزم بالإسلام شريعة ومنهاجا.

وقبل أن نخوض في نظرية سيد قطب الجهادية نرد على المتوثبين للدفع بأن سيد قطب لم يكن يمثل الأخوان تمثيلا صحيحا فنقول أن هذا الفكر هو فكر ثلاثي الأبعاد.. تلك الأبعاد التي يلتقي فيها سيد قطب مع غيره من المنتمين إلى هذه الجماعات وليس هناك فارق كبير بين هذا وذاك.

١ - النظر إلى المجتمع نظرة احتقار وازدراء وتكفير تستثني المجموعة إياها وإن اختلفت المصطلحات حيث لا يوجد من الأصل مرجعية فقهية ولا فكرية، يعتمد عليها هؤلاء وما تركه مؤسس الجماعة من أفكار لا تعدو كونها مجموعة من القصاصات التي لا يمكن الادعاء إطلاقا بأنها تمثل مرجعية من أي نوع إلا على سبيل الفجور أو المماحكة.

٢ - الدعوة إلى إنشاء الأمة الإسلامية من جديد والانضمام إلى الجماعة التنظيم (الأخوان - الجماعة الإسلامية_ الجهاد - التكفير والهجرة) التي ستشكل النواة الصلبة للأمة الإسلامية في طورها الجديد.

٣ - البيعة على السمع والطاعة لقائد الجماعة التنظيم إمام الأمة المزيف (حسن البنا - الهضيبي - مشهور - شكري مصطفى - عمر عبد الرحمن).

النظرية القطبية الجهادية:

وقع منظرو تلك الجماعات بدءا من إمامهم الملهم الشهيد في مأزق فكري خطير دفعهم إليه الرغبة الملحة في تأديب مخالفيهم ممن يقفون في وجه الجماعة ويمتنعون عن تطبيق الشريعة الإسلامية. حيث استند هؤلاء إلى آيات الجهاد التي تحثُّ على قتال المشركين وأعداء الأمة من المخالفين في الدين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فكيف نجحوا في صرف هذا الاستدلال إلى جواز قتل المسلمين وقتالهم؟؟ وحتى لو نجح هؤلاء في تكفير الحكام فكيف يمكنهم تكفير العساكر الغلابة الذين يحرسون مؤسسة أو بنكا وبأي منطق يجوز قتل هؤلاء؟؟.

من هنا فإن التنظير لقضية التغيير والإصلاح داخل المجتمعات الإسلامية الذي هو ضرورة حيوية تستلزم الرجوع إلى مصدر مختلف عن المصدر الفقهي والشرعي الذي نرجع إليه لتحديد طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية وأعدائها في الدين وهو ما ورد في سورة التوبة وأغلب سور الجهاد في كتاب الله العزيز.

ومن هنا تبدو غرابة وشذوذ الاستدلال على جواز قتل النقراشي بأن رسول الله ﷺ أرسل من قتل كعب الأشراف ذلك الصهيوني الذي كان يجهز لحرب جديدة ضد الإسلام والمسلمين وإنشاء تحالف مشابه لتحالف الأحزاب الذي حاصر المسلمين وألحق بهم بالغ الضرر فما هو وجه الاستدلال بتلك الواقعة على حق الأخوان المسلمين في رفع السلاح في وجه مخالفيهم وسفك دمائهم مثلما استدل ذلك الأحمق المسمى محمود الصباغ.

إن حق الأمة في الديمقراطية والشورى هو حق ثابت وأصيل ولا يستلزم بالضرورة رفع السلاح في وجه الطبقة الحاكمة وإنما يستلزم أولا إيجاد تلك القوى السياسية القادرة على ممارسة تلك الديمقراطية والتعددية والدفاع عن معتقداتها السياسية والأيديولوجية وخوض المعارك الفكرية والسياسية وإيجاد القيادات السياسية والفكرية معلومة الفكر والمصدر والتاريخ الشخصي والأخلاقي. لا تلك القيادات التي تنبغ وتتألق بفضل قدرتها على العيش في الظلام وممارسة التآمر التنظيمي والتملق الشخصي الذي يطلقون عليه السمع والطاعة فضلا عن قدرتها على الإطاحة بأصحاب الكفاءة ممن يعترضون طريقها. وعندما تتكون هذه القوى السياسية التي تربت على الحرية وعلى حب الحق ولو أدى ذلك إلى الاستشهاد في سبيل الله وتنطلق في باحة المجتمع وسط النور وبعيدا عن سياسة الكواليس المغلقة تعرض فكرها وتدافع عن رأيها وعن حق تلك المجتمعات في الحرية والعدالة والشورى وتعترضها القوى التسلطية يصبح من حق المجتمع كل المجتمع أن يدافع عن حريته وكرامته ويصبح استخدام القوة في حدها الضروري الأدنى حالة استثنائية أملتها الضرورات الواقعية الملحة بل والشريعة الإسلامية والوضعية لا

شهوة الانتقام ولا الرغبة الملحة في التنكيل بالخصوم والزئير في وسط الساحة «ها ها من يبارزني»!!!؟؟

انطلق سيد قطب من تلك الخلفية التكفيرية يعرض لنا فقهه الجهادي حيث كتب فصلا بعنوان (الجهاد في سبيل الله) ناقلا عن ابن القيم «فصل في ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل» فهل كانت مجتمعاتنا مجتمعات كافرة حتى يستدل ذلك الفقيه على شرعية جهاده ضدها بهذا العنوان؟

نعم هي من وجهة نظره كافرة بعدما نعتها سابقا بالجاهلية المعاصرة[1]، ثم إن هذا (الفقيه الكبير) يعطي ما يسميه بالحركة الإسلامية أي جماعة الأخوان نفس الصلاحيات التي كانت لرسول الله ﷺ في مراحل الدعوة المختلفة في مواجهة كفار قريش وكفار جزيرة العرب ودولتي الفرس والروم.

ومن هنا ولكي نفهم جيدا ما قاله (قطب) نحدد تقسيمه وتصنيفه لساحة الصراع الفكري والعقائدي والسياسي المتواجدة على الساحة.

١ - الإسلام وتمثله جماعة الأخوان أو تنظيم سيد قطب الذي نشأ من حوله وكلهم يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك.

٢ - الكفر الذي تمثله الدولة المعاصرة والمجتمع الجاهلي الذي هو كل من عدا جماعة سيد قطب.

لقد جهزت معداتي لدراسة فقه الرجل الجهادي مستعينا بكتب الفقه والتفسير وقلت لعلنا نجد مادة فقهية تستدعي البحث والرد

(١) معالم في الطريق: ص٦٢.

والتفنيد فلم نجد شيئا سوى خطبا حماسية في فن التكفير والقتل والسحل فلا وجه من الأصل لاستدلاله بما أورده ابن القيم عن تسلسل أحكام الجهاد في سبيل الله ولا أثر على الإطلاق ولا معنى لمناقشة الناسخ والمنسوخ بالنسبة لرؤيته في جهاد المجتمعات الإسلامية بعد تكفيرها والحكم بجاهليتها.

فالخلاف الفقهي حول آية السيف وهل نسخت ما سبقها أو لم تنسخ لا مكان له منذ البدء وما يتحتم مناقشته مع الرجل والمعجبين بفكره المريض (هل هذه مجتمعات كافرة يجب استخدام السيف في مواجهتها أم هي مجتمعات إسلامية مصونة الدم والمال والعرض وإن ضلت أو انحرفت) ولا أعتقد أن أحدا من أنصار الرجل المعاصرين وعبدة الأسطورة القطبية الكاذبة والمتجرين بالقرب منه والحديث عنه وعن كراماته المزعومة بوسعه الجهر بهذه السخافات أو الدفاع عنها فماذا قال الرجل؟؟.

قلنا من قبل أن سيد قطب يختلف عمن سبقوه بنفسه الكلامي الطويل والممطوط لا البلاغي ومن هنا فقد بز الرجل السابقين بإخراجه لأفكارهم البالية في تلك الصياغة العاطفية التي تؤثر في قلوب مريضة أو عقول تافهة ومن هنا كان تقريره لضرورة إنشاء التنظيم الذي هو النواة الصلبة للمجتمع الإسلامي الجديد الذي كان مقررا أن ينشأ على يديه فيقول تحت عنوان (نشأة المجتمع المسلم وخصائصه):

(ومن أجل أن - لاحظ الركاكة - الجاهلية لا تتمثل في نظرية مجردة ولكن تتمثل في تجمع حركي فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية ورد الناس إلى الله مرة أخرى لا بد لهذه المحاولة أن تتمثل في تجمع

عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلي القائم)[١].

(والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري هي قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله أي إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية إفراده بها اعتقادا في الضمير وعبادة في الشرائع وشريعة في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجودا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم)[٢].

ياللهول ثم ياللهول وياللهول إنها حقا كارثة والقوم كلهم يفكرون بطريقة واحدة على طريقة ذلك الأحمق الذي أفتى بأن قتل النقراشي (فرض عين على كل مسلم ومسلمة)، لقد كنت أتخيل قبل بدء دراستي لسيد قطب أنني سأقف أمام (عقاد أو طه حسين الأخوان) فإذا بي أمام ركاكة ما بعدها ركاكة تشهد بها الفقرة السابقة التي أوردناها بتمامها ومن الواضح أن هؤلاء الناس لا يفكرون بعقولهم بل بطرف ألسنتهم وكل همهم هو التناغم مع الحالة التكفيرية السائدة والمزايدة عليها والدليل على ذلك هو ذلك الكلام السفيه الذي أورده صاحبنا من أن (شهادة لا إله إلا الله لا تعتبر موجودة شرعا إلا) وهو اختراع قطبي يضاهئون به قول الخوارج من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون وهذا الإدعاء الفاجر غير المسبوق من تعليق الحكم بقبول إعلان الشهادتين على (إثبات وجودها فعلا أو شرعا)

---

(١) المصدر السابق/ فصل نشأة المجتمع المسلم وخصائصه: ص٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٥.

ما هو إلا مزايدة من الخوارج الآخرين على الخوارج الأولين حيث لم يدّعي أحد من المسلمين على اختلاف مذاهبهم هذا الإدعاء إلا سيد قطب.

ومتى كان الشرع أي الفقه، أي الأحكام الدينية الكلية أو الجزئية حاكمة على العقيدة التي محلها القلب وهل يمكن إيجاز ذلك المنطق الفاجر الأخرق سوى في كلمة واحدة هي (عقلية الخوارج) أبعدهم الله ولا قرب محلهم فهم وحدهم الذين جعلوا من الشريعة حاكمة على العقيدة وهم وحدهم الذي قالوا بكفر صاحب الكبيرة. يعني بلغة سيد قطب (أن شهادة لا إله إلا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم).

وهناك سؤال إضافي من هو صاحب الحق في اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم أنت أم من؟؟

ثم يخرج علينا سيد قطب بنظرية ثالثة مثل نظريات الأخ العقيد وهي ضرورة التفريق بين (المسلمين نظريا) و(المسلمين عمليا) ولا شك أن هذه الأطروحة كانت من أحدث ما أنتجته معامل التكفير المعاصر فماذا قال الرجل.

(ولكن الإسلام كما قلنا لم يكن يملك أن يتمثل في نظرية مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقادا ويزاولها عبادة ثم يبقى معتنقوها على هذا النحو أفرادا ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي القائم فعلا فإن وجودهم على هذا النحو مهما كثر عددهم لا يمكن أن يؤدي إلى (وجود فعلي) للإسلام لأن الأفراد (المسلمين نظريا) - والقوسين من عنده - الداخلين في التركيب العضوي

للمجتمع الجاهلي سيظلون خلايا حية في كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوى بدلا من أن تكون حركتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام في تجمع عضوي حركي منذ اللحظة الأولى وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله ﷺ ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي الذي جاء منه ومن قيادة ذلك التجمع في أي صورة كانت وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الإسلامي الجديد وفي قيادته المسلمة)[1].

وهنا يبرز سؤال تلقائي عن نظرة تلاميذ الشهيد للمجتمع وللناس من حولهم وهي نظرة تتجاوز الحكايات البريئة والساذجة عن أن سيد قطب كان يدعو إلى الحاكمية الإلهية وأن «شوية العيال» الذين تتلمذوا على يديه الشريفتين لم يفهموا هذا الكلام على وجهه الصحيح وكأنه كان يكتب قرآنا يحتاج إلى مفسرين وعلماء متخصصين، فأي شئ نطلقه على هذه الكلمات سوى أنها تأسيس للاستحلال والخيانة والغدر وهدم المجتمع المسلم الذي يزعم فضيلته أنه يريد بناءه وأين هو الخطأ وسوء الفهم الذي وقع فيه تلاميذه الجهلة عندما ترجموا هذا الكلام الفارغ إلى هروب من المجتمع وخيانات واستحلال وغدر حسبما استطاعوا وقدر ما توفر لهم؟!.

---

(١) فصل نشأة المجتمع المسلم وخصائصه: ٥٥-٥٧.

ألم يكن كل هذا ترجمة لخطبته العصماء عن ضرورة تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي مكانه والالتفاف حول كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله ولو كانت هذه القيادة هي سيد قطب أو شكري مصطفى أو عمر عبد الرحمن، وعن حتمية عدم إمداد هذا المجتمع بالخبرات الفذة لتلاميذ الشهيد أليست هذه هي المقدمة الطبيعية والمنطقية لفقه التكفير والاستحلال الذي أسسه سيد قطب.

لهذا يمكننا القول أن الرجل قد جر ابن القيم إلى ساحته واستشهد به في معركة لم يكن للرجل فيها ناقة ولا جمل، بل كان حديثه في زاد المعاد الذي استشهد به سيد قطب حديثه قاصرا على جهاد رسول الله ﷺ للكفار والمنافقين ولم يتعرض من قريب ولا من بعيد لقضية المجتمعات الإسلامية ولا اتهمها بالكفر ولا بالردة.

ونمضي مع الفقيه الكبير في ثورته العارمة على الذين يقولون **(أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع واصفا إياهم بالمهزومين روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع البائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلا بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا وتعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها)**[١].

---

(١) المصدر السابق/ فصل - الجهاد في سبيل الله: ص٦٥.

ثم يواصل سيد قطب مهرجانه الخطابي الذي انتهى بإشعال عدد هائل من الحرائق في عالمنا الإسلامي المنكوب به وبالمصلحين من أمثاله فضلا عن حكامه فيقول (**إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه للبشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض أربابا من دون الله إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض**)[١].

(**إن الجهاد ضرورة للدعوة إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلانا جادا يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه**).

(**إن الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة كي يخلو له وجه الأفراد من الناس يخاطب ضمائرهم وأفكارهم بعد أن يحررها من الأغلال المادية ويترك لهم بعد ذلك حرية الاختيار**)[٢].

انتهت المقتطفات التي نقلناها بنصها من المهرجان الخطابي الحاشد الذي أقامه سيدنا قطب رضي الله عنه في كتابه (معالم في

(١) المصدر السابق/ فصل - الجهاد في سبيل الله: ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص٨٥.

الطريق) بعدما أعلن أن الإسلام المتمثل في جماعته سينطلق ليحطم سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة بالقوة ولا أدري لماذا أراد الرجل أن يحطم أوضاع البيئة هي الأخرى هل تعثر فيها أثناء محاولته تحطيم سلطة الدولة ونظام المجتمع مع أن العالم الآن يبدي اهتماما متزايدا بقضية البيئة!!!! أم أن الرجل أراد أن يزيد من حجم الفرقعة التي يحدثها كلامه الساخن وأن يمط الجملة فأضاف أوضاع البيئة إلى قائمة أعدائه؟.

المهم أن الرجل بعد كل هذا لم يحطم سلطة الدولة بل أسهم من حيث أراد أو لم يرد في زيادة شراستها وعدوانيتها ضد كل من يتحدث عن الإسلام والدين وحطم نفسه وحطم كل من سار على دربه وحطم أوضاع البيئة، وفاته أن يسأل نفسه وهو العالم الكبير والفيلسوف العظيم ما الذي أعاد الأمور إلى نقطة الصفر والكفر الذي يريد سماحته الانطلاق منها لكي يحطم كل الأشياء التي ذكرها ثم يعيد الإسلام إلى الوجود من جديد؟؟.

ألم يقم المسلمون الأوائل الذين وصفهم في نفس الكتاب بأنهم جيل قرآني فريد بكل هذه المهام؟. أسلموا ودعوا وانطلقوا وحطموا وأقاموا مملكة الله في الأرض فما الذي أعاد ريما لعادتها القديمة؟؟.

هل كان التسلل الماكر للفلسفات الإغريقية والرومانية واليونانية هو السبب وراء تلك الردة أم أنها العولمة في ثوبها المعاصر أو القديم هي المسئولة، وما الذي يمنع تلك العوامل من اجتياح منجزات سيد قطب وجماعته المعاصرة؟؟.

وهل يمتلك الرجل مادة لتثبيت العقيدة والحاكمية ومنع زحف العولمة من التهامها لإنجازات سيد قطب؟؟.

نزعم نحن أن تلك المهرجانات الخطابية التي أقامها الرجل لا تقيم حقا ولا تزهق باطلا ولا تقدم ولا تؤخر ولا تضيف شيئا لرصيد الأمة المثقل بالخسائر والرزايا والمصائب باستثناء إضافة مصيبة جديدة كنا في غنى عنها بكل تأكيد.

لماذا لم يسأل سيد قطب نفسه عن سبب المصائب إلى لحقت بجماعة الأخوان المسلمين في الفترة التي سبقت انضمامه إليها؟! ولماذا اختلف الأخوة فيما بينهم، ولماذا قتلوا سيد فايز وتسببوا قبل ذلك في اغتيال مرشدهم وملهمهم وإمامهم، مع أنهم أعلنوا نفس المبادئ التي أعلنها سيد قطب وكأن القضية من أولها إلى آخرها لا تعدو كونها إعلان مبادئ من نوع خاص يتضمن الحاكمية التي غابت عن أذهان كل المسلمين حتى ظهر جهابذة الأخوان وجاؤا بما لم يأت به الأوائل. **ناهيك عن ذلك الاكتشاف العجيب الذي كان الأخوان أول من اكتشفه في العصر الحديث وهو أن الإسلام دين شامل كامل عقيدة وشريعة.. مصحف وسيف.. عبادة وسياسة وكأن قيامهم بهذا الاكتشاف المذهل!! مؤهلا كافيا يعطيهم الحق في قيادة الأمة كل الأمة ولا أدري من أين أوتي الأخوان كل هذا العلم الفياض** وهذا هو سيد قطب أحد كهنة المعبد المقربين يهذي بكلام لا يعرف معناه ولا مبناه تماما كصاحب الريادة والسيادة الإعلامية الذي سبقه الناس أجمعون حتى السلاحف والزواحف وهو ما زال مصرا على أنه صاحب السيادة والريادة.

ولو كان القبول والإقرار بمبدأ الحاكمية هو الحل الناجع والنافع لكل مشاكل المسلمين فلماذا انقلبوا على عبد الناصر وانقلب هو عليهم مع أنه أقسم على المصحف والمسدس أي أنه كان من خاصة الخاصة ومن المبشرين بالجنة وممن أقروا بالحاكمية

الأخوانية !!! فما عدا مما بدا فلو كانت المسألة مجرد إعلانات ومفاهيم لهان الأمر ولسار المسلمون بعد رسول الله على صراط الله المستقيم ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[2] أي أنهم لم يتفرقوا بسبب جهلهم بمفهوم الحاكمية ولا بسبب جهلهم بشمول الدين ولكنهم اختلفوا وتفرقوا (بغيا بينهم) أي بسبب المصالح والأهواء وهو ما كان واضحا جليا في تاريخ المسلمين ولكن لا أحد من هؤلاء قرأ التاريخ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

إذن فأسباب انحراف المسلمين الأوائل والأواخر لم تكن أبدا أسبابا معلوماتية قدر ما هي أخلاقية وسياسية واجتماعية وهي أمور لا يحلها كل أنواع الصراخ ولا محاولة إنشاء أمة جديدة تتبنى المفهوم القطبي للشهادتين كما يزعم سيادته .وإلقاء الأمة السابقة في سلة المهملات بعد تكفيرها والحكم بجاهليتها أو الوقوف من إسلامها موقف التائه المنافق الذي يخفي حقيقة رؤيته واحتقاره لأمة لا إله إلا الله في كتبه وملفاته وأضابيره اطمئنانا منه أن لا أحد يجرؤ على فضحه كما فعلنا نحن، ثم هو يمارس النفاق في وجه الأمة مثنيا على حسن إسلامهم لأنه يحتاج إلى أصواتهم في الانتخابات وإلى أموالهم في سوق التجارة بالدين.

أي نفاق هذا أن يتبنى شخص ما تلك المفاهيم في علاقاته الاجتماعية، تلك المفاهيم التي تصف المجتمع الإسلامي الأصيل بالمجتمع الجاهلي وتحث أتباعه المخلصين على عدم البقاء في هذا

(١) سورة الجن، الآية: ١٦.

(٢) سورة البيّنة، الآية: ٤.

المجتمع (ومن هنا ظهرت جماعات التكفير والهجرة) لأنهم **(سيظلون خلايا حية في كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد بدلا من تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي).**

إي والله إنه يتحدث عن تقويض هذا المجتمع الجاهلي تمهيدا لإقامة ما أسماه بالمجتمع الإسلامي.

وكيف يطمئن المجتمع إلى تلك العناصر التي تدين بفكر هذا الرجل والذين يطلب منهم أن يكونوا مخربين ثم هو لا يقف عند حد هذه الشراسة والعدوانية الطائشة بل يندفع لما هو أسوأ، حيث يدعو إلى تحطيم سلطة الدولة ونظام المجتمع وقوانين البيئة. إنه خلل عقلي ما بعده خلل أدى إلى ظهور أجيال وسلالات أكثر شراسة وأكثر قدرة على التدمير من تلك السلالات القطبية الأولى. ونحن لا نتحدث هنا من منطلق نظري وإنما من خلال تجربة ومعايشة لتلك السلالات القطبية التكفيرية الشاذة التي خرجت من رحم هذا الفكر الشاذ وطورت نفسها لتصبح أكثر شذوذا حتى قضي عليها وذلك هو قانون العدالة الإلهية الكونية.

والذي عاصر فترة ما بعد إعدام سيد قطب وتحول نهجه إلى أسطورة، يعرف كم كان كثير من الشباب المخدوع والمضلل بهذا الكلام الفارغ يترك الجامعات ويذهب إلى العزلة ويبيع الليمون كفرا بالطاغوت أو يذهب إلى شغاف الجبال في اليمن السعيد حتى لا يصبح جزءا من المؤسسة الطاغوتية.

نعود إلى جماعة المحامين التي حاولت وما زالت تحاول تضليل الناس ولملمة الفكر الإخواني الذي تبعثر على يد أصحابه وعدم إظهار تلك التناقضات القاتلة التي ضربت الجماعة وعصفت

بوحدتها وبقيت خلافات حول شكل ونوع التكفير لا على مضمونه. فها هو أحد محامي الضلال ممن تبقى من الرعيل الأول إنه المستشار (سالم البهنساوي) يصدر كتابا عام بعنوان (أضواء على معالم في الطريق) ١٩٩٩ يحاول فيه تخفيف الهجوم على سيد قطب ونفي تهمة التكفير عنه وما يعنينا في تلك الأضواء هو ذلك الجزء المتعلق (بفقهه الجهادي) ذلك المحامي، الذي ربما كان مكلفا بإعادة تسويق المشروع القطبي برمته ولكن الشيء الأكيد أن تلك المهمة هي أكبر من قدراته إن لم تكن مستحيلة فعندما جاء ذكر ذلك الباب المعنون بعنوان (الجهاد في سبيل الله) تحدث الرجل عن المسائل الآتية:

أولاً: نسب أشخاص إلى المرحوم سيد قطب أنه يعتبر غير المسلمين محاربين ويجب استخدام السيف معهم حتى ولو كانوا غير مسلمين.....ثم قام بالتعليق.

ثانياً: الجهاد ومرحلية الأحكام فقال نسب إلى المؤلف أنه يقول بمرحلية الأحكام ....ثم قام بالتعليق.

ثم تحدث عن (سيد قطب وقتال غير المسلمين) حيث رد على «فهمي هويدي» في نقده لمن يرون استمرار حكم آية السيف وعلق عليه.

والملاحظ أن محامي سيد قطب لم يتطرق من قريب ولا من بعيد لدعوة سيد قطب لمحاربة النظم الحاكمة وهي بيت القصيد في نقاشنا لفكره خاصة ولثقافة الهمجية والعنف عامة ولا لما أعلنه من ضرورة تحطيم كيانات الدول والنظم الاجتماعية والقوانين البيئية ليكون الحكم لله وحده. فسيد قطب لم يكن صاحب دولة حتى يؤخذ كلامه على أنه تحد أو تصد للدول المعادية للإسلام مثل أمريكا

وإسرائيل ومن ثم نبحث رأيه في كون آية السيف ناسخة أو منسوخة. والشاهد أن الرجل كان يعالج قضية واحدة منذ البدء وهي أن المجتمعات الإسلامية التي نحن جزء منها هي مجتمعات جاهلية لأنها لا تعتقد بالحاكمية الإلهية ومن ثم ينبغي اعتزالها ومناهضتها وتقويضها ومحاربتها وإقامة مملكة الله في الأرض من جديد وكل ما في هذه المجتمعات هو جاهلي حتى ثقافتها الإسلامية هي ثقافة جاهلية وأن مجاهدة هذه النظم الكافرة هو الشأن الدائم لا الشأن العارض وأن الذين يقولون أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع هم من المهزومين أمام الهجوم الاستشراقي الماكر وأمام الواقع البائس لذراري المسلمين. وإذا كان سيد قطب قد أعلن احتقاره لمن يطالبونه بتقديم تصورات فقهية تفصيلية باعتبار هذا نوع من السخرية والاستهزاء بدعاة الإسلام الجدد الذين تقع عليهم مهمة بناء العقيدة أولا والدولة ثانيا وعندما يتم هذا سيذعن المجتمع المسلم الجديد للشريعة الإسلامية التي سيتم تطبيقها بجرة قلم فكيف يقولون لنا أن الرجل كان مهتما بالصراع الدائر بين المسلمين و(غير المسلمين) بالمعنى المتعارف عليه، يعني الصراع الدائر مثلا بين العرب وإسرائيل؟؟؟ فكل من عدا سيد قطب وجماعته في نظره، هم وإسرائيل سواء وكلهم جاهلية معاصرة وهذه هي الحقيقة التي لا ينبغي اللف ولا الدوران حولها لا من هذا ولا من ذاك.

لم يرد محامي سيد قطب على شئ مما نقلناه عن المفكر الكبير من نعته للمجتمعات الإسلامية بشتى صنوف الكفر والجاهلية ولا على بعض ابتكاراته الفذة في فن التكفير مثل التفرقة بين (المسلمين نظريا) من غير المنضوين لجماعة الأخوان و(المسلمين عمليا) من المنضوين إليها والذين انخلعوا من المجتمع الجاهلي ورأوا في

تحطيمه وتدميره فريضة دينية قطبية لماذا لم يرد ذلك المحامي على ذلك الكلام؟؟ الإجابة لأنهم كلهم يؤمنون بما آمن به قطب ويستثنون من ذلك التكفير الدول المانحة للمال والدعم.

أما الأسوأ من ذلك كله فهو تصدي ذلك المحامي للدفاع عن سيد قطب في وصفه للمجتمعات الإسلامية بصفة الجاهلية مع استثناء الدول المانحة بالطبع التي تعاني أضعاف ما نعانيه من موبقات أخلاقية ومفاسد اجتماعية ومع هذا كله فإن دعاة التكفير لم يجدوا في تلك المجتمعات ما يستوجب النقد ومن باب أولى إطلاق اتهامات الكفر التي يطلقونها على مجتمعاتنا الفقيرة بلا حساب. والأدهى من ذلك أنه استعان في مرافعته عن سيد قطب بمفتي العميان الذي لا يرى إلا خطايانا وكفرنا أما فواحشهم وجرائمهم فلا وألف لا.

ثم نمضي مع (الأبوكاتو) في مرافعته عن سيد قطب حيث يدعو إلى «جمع أقوال الشهيد كلها في إطار واحد لينتهوا إلى حكم سديد (لماذا؟؟ هل كلامه قرآن أو تشريع لا يفهمه إلا الراسخون في العلم؟؟) فالمفكر الشهيد يثبت الإيمان بكلمة اللسان وهي الشهادة) ثم أورد بعض تكفيرياته التي ذكرناها سابقا وأضاف **(أما هنا فهو لا ينقض هذا المبدأ بل يعني المجتمعات التي ارتدت عن الإسلام؟؟ فقد أوضح أنها تعلن العلمانية وعدم علاقتها بالدين وبعضها يتظاهر باحترامه للدين ولكنه يخرج الدين عن حياته الاجتماعية فينكر الغيب المنزل من عند الله وبعضها يعلن صراحة أن ما يشرعه من عند نفسه هو شريعة الله وكل هذه الأسباب أوضح الشيخ عبد العزيز بن باز أنها تخرج عن الإسلام)**[1].

---

(١) سالم البهشاوي/ أضواء على معالم في الطريق: ص ١٤٧.

(إن الأسباب التي ذكرها الشهيد سيد قطب وبها استحقت تلك المجتمعات التي تدعي الإسلام أن توصف بالجاهلية هي ذات الأسباب التي جعلها الشيخ عبد العزيز بن باز من نواقض الإيمان وبها يكفر المسلم ويصبح مرتدا عن الإسلام)[١].

وطبعا يستثنى من تلك اللائحة العربية السعودية التي جعلت ذلك الرجل مفتيها الرسمي أي أنه ينطق باسم ذلك النظام الملكي. فهل الملكية تدخل في إطار تطبيق الشريعة الإسلامية؟ وبالطبع وبكل تأكيد يأتي على رأس تلك القائمة مصر ونظامها مهما حاول استرضاء هؤلاء وكف أذاهم ومنع محاولاتهم المستمرة لإشعال نار الفتن في بر مصر. ولعل هذه المفارقة تظهر بوضوح عدة حقائق لا لبس فيه ولا ارتياب:

أولاً: تلك التبعية الذيلية التي تربط هؤلاء بالفكر الوهابي وخاصة بعد سنين المحنة والتي قامت فيها العربية السعودية بدور الراعي الرئيسي وهي الآن تقوم بدور كبرى الدول المانحة لهؤلاء.

ثانياً: تلك الازدواجية الأخلاقية الخانقة التي يحظى بها هؤلاء الذين يرون القشة في عين مصر ولا يرون الخشبة في عينهم. ونحن وبكل تأكيد لسنا من أنصار النغمة الإعلامية إياها وهم لا يستهدفون مصر بسبب تليفيزيونها الموقر كما يحاول صاحبنا أن يوهمنا ولكنهم يستهدفونها لأنها الثقل الرئيسي في المنطقة الذي يريدونه خاضعا لهم. وهم الذين تحالفوا مع صدام حسين ونظامه المعروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين في مواجهة النظام السوري مستخدمين نفس الشعارات التي ذكرها هذا وذاك.

---

(١) سالم البهشاوي/ أضواء على معالم في الطريق: ص ١٤٨.

ثالثاً: من هي تلك الدول التي ارتدت عن الإسلام وأعلنت العلمانية؟؟ لم تعلن أي من الحكومات المنحرفة والاستبدادية واللاديمقراطية التي تحكم العالم الإسلامي شيئا من هذا حتى صدام حسين ما زال يتمسح بالإسلام والدين ويستدعي بعض هؤلاء ليستخدمهم أبواقاً إعلامية لترويج بضاعته الإجرامية والفاسدة فلماذا إذن هذا التكفير الانتقائي؟؟.

الشيء الأكيد أن اللجوء إلى سلاح التكفير الانتقائي وخاصة إذا امتد إلى المجتمعات التي هي بكل تأكيد ضحية لحكومات استبدادية وضحية لمؤسسات دينية رسمية جاهلة ومؤسسات دينية تنظيمية (سرية من منازلهم) أكثر جهلاً، مثل تلك الجماعات ومنظريها ومؤسسيها ليس إلا تعبيرا عن حالة انفصام للشخصية ولجوء إلى سياسة الصراخ والتشنج، التي لم تفلح في إعادة هذه المجتمعات إلى حظيرة التدين الصحيح ولا إصلاح الأوضاع الفاسدة والمقلوبة التي يعاني منها الجميع.

فلماذا يجري تكفير هؤلاء ومطالبتهم بالانضمام إلى تلك التنظيمات واللحاق بركبها وتنفيذ أوامر الخطف والاغتيال التي تصدر إليهم؟ ولماذا لم يحاول هؤلاء المنظرون دراسة القضية من جذورها لا من فروعها؟ والعمل على تطوير مستوى وعيهم هم أوّلاً بالإسلام. ثم الانطلاق داخل تلك المجتمعات من خلال العمل السلمي وبث وعي الحرية والديمقراطية. والأهم من هذا كله استثمار مناخ العمل السلمي المتاح وكم كان هذا متاحا في مجتمعاتنا وفي مصر على وجه الخصوص ولكن هؤلاء كلما استشعروا شيئاً من القوة «وأكرر شيئا من القوة» بادروا إلى فتح جبهة

من القتال مدفوعين بذلك النفس التكفيري المتوقد «الذي أسماه حسن البنا «روح الجماعة» الذي يحرقهم ويحرق كل من اقترب منهم **(كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين)**.

ونعود مرة أخرى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن تلك الحالة التي تشابه ما نعيشه الآن **(بأي المنازل أنزلهم يا رسول الله بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة قال بل بمنزلة فتنة)**[1].

إنها فتنة انحراف، تخلف، انحطاط. سمها ما شئت وإياك أن تستخدم كلمة كفر أو ردة أو جاهلية وإلا احترقتَ أنت ومن معك بنارها فسلاح التكفير كالسهم الغرب إذا انطلق لا ندري من يصيب ولا كم يصيب ولا كيف ولا أين تنتهي فتنته!!

بقي أن نحدد موقفنا من البعد الأمني والسياسي في هذه القضية المتفجرة على الساحة منذ أكثر من خمسين عام من الكر والفر بين هذه الجماعات والنظام الحاكم في مصر وغيرها من البلدان التي نشأت وترعرعت فيها هذه التنظيمات وحاولت الوصول إلى السلطة.

أولا: فمن ناحية فنحن على يقين أن الفكر لا يمكن مواجهته إلا بالفكر لا على سبيل غسيل المخ ومحاولة إقناع أبناء تلك الجماعات. أن كل شئ على ما يرام وأن على الجميع العيش في فلك السلطة والقبول بدور الخادم المطيع لها وإنما نعني حرية الفكر والرأي وصولا إلى صيغة تتلافى العورات والنقائص الموجودة على طرفي الصراع وخاصة في مجال الحياة السياسية التي هي جوهر

(١) نهج البلاغة.

الجدل والصراع الدائر مع الإقرار بحقيقة أن الكمال غير موجود على ظهر الأرض.

ثانياً: احترام القاعدة الشرعية التي قررها القرآن الكريم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] والتي تقرر فردية العقوبة لا أسلوب العقاب الجماعي الذي مارسته تلك النظم الحاكمة استسهالا وبطرا. ولإحساسها بالقوة الفائضة الزائدة التي لا يجب ادخارها. ولا شك أن سياسات العقاب الجماعي التي استمرأتها تلك النظم في العقود السابقة كان لها أسوأ الأثر في ترسيخ مصداقية تلك الادعاءات التكفيرية الموجهة ضد تلك النظم بل وترعرع تلك الأفكار التي وجدت وقودا إضافيا في تلك السلوكيات الرعناء بل وحرمت السلطة من صوت المنصفين الذين كان بوسعهم التدخل لإخماد تلك النيران ولكنهم امتنعوا لما ثبت في يقينهم من تجاوز النظم الحاكمة في استخدام قوتها وسلطتها وكل هذه حقائق ثابتة لا يسهل تجاهلها ولا إنكارها من خلال تلك الإقرارات الزائفة التي قدمها رجل مثل (فؤاد علام) عن قتل - كمال السنانيري - وادعائه عليه بالانتحار، فقد كنا هناك في نفس تلك الفترة. صحيح أننا لم نشاهد مقتله تحت التعذيب وأنى لنا مشاهدة أي شئ خارج الزنازين ولكننا نشهد لله وللتاريخ أننا كنا نسمع صرخات التعذيب طوال الليل ومن هنا فإن موت رجل تجاوز الستين من عمره تحت تلك الظروف هو أمر منطقي ويمكن توقعه بسهولة بالغة ولا نعتقد أن خلافنا معهم في الفكر والرأي يبرر لنا السكوت عن شهادة الحق لهم أو عليهم أو على خصومهم.

ثالثاً: ضرورة احترام السلطة أي سلطة لحقوق الإنسان

(١) سورة فاطر، الآية: ١٨.

وكرامته، أيا كان انتماء هذا الإنسان من الأخوان أو غير الأخوان فالناس يختلفون في وعيهم وثقافتهم وقدرتهم على ضبط النفس ومن ثم قدرتهم على إصدار أحكام واعية ومنطقية تجاه ما يجري من أحداث لهم أو من حولهم وإذا كانت السلطة تحس اليوم بفائض القوة فليس من المحتم أن يبقى هذا الحال على الدوام وإن سلطة تحرص على زيادة أعدائها من أبناء الشعب لهي سلطة غير حكيمة ولا واعية ولا أمينة على مصالح شعبها.

في النهاية علينا أن نقول أنه عندما تصبح لغة الخطاب الوحيدة المتبادلة بين السلطة والشعب هي اللغة الأمنية فإن هذا يعني أن السلطة لا ترى في الشعب سوى مجموعة من العصاة الذين يتحتم إخضاعهم وإدخالهم في الطاعة وهو عكس التصور الأصلي للعلاقة بين الشعب والسلطة فالشعب هو الذي يأتي بالسلطة التي يختار شكلها وأعضاءها وهو الذي يصنعها وليست هي التي تصنع الشعب.



الجزء الثاني

مدرسة أهل البيت
وفقه التغيير

مدرسة أهل البيت وفقه التغيير

علي بن أبي طالب واستخدام العنف أداة للتغيير.

أبتلي الإمام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ منذ اللحظة الأولى التي فارق فيها رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ هذه الدنيا بالكثير من المصائب والرزايا والفتن وكان عليه أن يواجهها تلك المواجهة التي ستؤسِّس بعد ذلك لفقه التغيير والتصحيح في مجتمعاتنا الإسلامية.

وبالرغم من ثراء التجربة العلوية في مواجهة قوى الفساد والانحراف وتنوع أشكال تلك المواجهات. ذلك التنوع الذي يعطي لتلك التجربة عمقا فقهيا كبيرا سواء لدى ذلك القطاع من المسلمين الذي يعتقد بإمامته أو ذلك القطاع الذي يكتفي بالقول بأفضليته وأولويته وصحبته وأن الصحابة هم مصدر أساسي من مصادر التأسي والاستلهام فممّا يؤسف له أن تجربة الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ لم تأخذ ما تستحقه من الدرس والاهتمام لدى الفريقين.

نهج أهل البيت وفقه القيادة:

أُبتليت الحركات الإسلامية المعاصرة بالعمى المؤقت الذي أعماها عن دراسة قضية الإمامة وجرها إلى السير وراء كل من هب ودب وسماه أشباه الناس قائدا وإماما ملهما وقد تناولنا هذه القضية في غير موضع ولكننا نؤكد هنا على خطورة الجري وراء ذلك الصنف من القادة البدلاء الذين استراح الناس واطمئنوا إليهم لأنهم يوافقون

مزاجهم النفسي والفكري والطيور على أشكالها تقع. ومن هنا تأتي خطورة الانجرار وراء ذلك الصنف من القيادات الزائفة والتي عرضنا جانبا من تفكير وأداء بعضهم فيما سبق من هذا الكتاب ولا بأس من استعراض تلك الرواية عن أبي عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام) وهو يحذر من ذلك الصنف من القادة فيقول: «**عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم فو الله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلا هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شئ تخرجون ولا تقولوا خرج زيد (بن علي بن الحسين) فإن زيدا كان عالما صدوقا ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه وإنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه**»[1].

إن هذه الرواية تظهر خطورة الانجرار وراء ذلك الصنف المزيف من القيادات التي تورد أتباعها موارد الهلاك في الدنيا والآخرة.

الإمام علي عليه السلام في صفوف المعارضة:

ما إن انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى حتى عقد ما سمي باجتماع السقيفة. ذلك الاجتماع الشهير الذي انتهى باستبعاد الإمام علي عليه السلام من موقعه الطبيعي والمنطقي الذي أقر به مائة ألف صحابي يوم غدير خم لدى عودة رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع.

(١) الكافي.

ولسنا هنا في مقام مناقشة بيعة السقيفة وملابساتها التاريخية المختلفة فهناك العشرات وربما المئات من الكتب التي تناولت هذه القضية بالشرح والتفصيل. تلك البيعة التي عقدها ستة نفر من المسلمين ثم أمضوا إرادتهم على بقية أفراد الأمة ثم يقولون لنا أنها كانت أنموذجا للديمقراطية والشورى.

لم تكن بيعة أبي بكر بالشيء الذي تنقاد له الأعناق بيسر وسهولة لاعتبارات متعددة منها الاعتبارات القبلية التي رأت أن الخلافة لا يجوز لها أن تنتقل إلى تيم بن مرة أقل بطون قريش مكانة وثراء.

لهذه الاعتبارات تحركت بعض العناصر الفاعلة في المجتمع الإسلامي الناشئ في اتجاه معارضة هذه البيعة والسعي لإفشالها ولم تكن كل النوايا خالصة لوجه الله ولا كان منها هذا التحرك معرفة بحق آل محمد ومكانتهم السامية في حفظ الدين ومن ذلك النوع كان تحرك أبي سفيان بلحيته الصفراء يحرك العصبيات القبلية البغيضة التي أطاح بها الإسلام، والرواية لابن أبي الحديد شارح النهج قال:

(لما قبض رسول الله ﷺ واشتغل علي عليه السلام بغسله ودفنه وبويع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلي عليه السلام لإجالة الرأي وتكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهييج فحل علي عليه السلام حبوته وقال...... **الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمد والطريق الصراط أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع في غبر أرضه فإن أقل**

يقولوا حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ولكن انطويت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيد)[١].

والأرشية هي الحبال في البئر البعيدة القعر.

لم يكن دخول أبي سفيان على الخط معرفة منه بفضل محمد وآل محمد ولا إقرارا منه بحق علي بن أبي طالب عليه السلام في الإمامة بل كان محاولة مكشوفة من الرجل لإشعال معركة داخلية في صفوف المجتمع الإسلامي هذه المرة معركة قبلية في مجتمع كان ما زال حديث عهد بالإسلام وكان اختيار أبي بكر للخلافة كما قلنا مثار اعتراض البعض من وجهة نظر قبلية بحتة. ومن هنا كانت محاولة الرجل الملحة ليدرك ثأره من الإسلام والمسلمين هذه المرة من داخل البيت فربما تكون هذه الحرب الداخلية ممهدة ليوم الخلاص الأموي الذي انتظره الرجل وأصر عليه حتى كان لبني أمية ما أرادوا.

يظهر هذا المعنى بوضوح في الرواية الثانية التي أوردها ابن أبي الحديد عن هذه الواقعة قال: **(لما بويع لأبي بكر مر أبو سفيان على البيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف وأنشد:**

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأي امرئ يرمي قصيا ورأيها منيع الحمى والناس من غالب قصي؟

---

(١) شرح النهج ج١ ص ٧١.

فقال الإمام لأبي سفيان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه وقد عهد إلي رسول الله ﷺ عهدا وأنا عليه)[١].

لماذا وقف الإمام علي عليه السلام موقف الرافض من عرض أبي سفيان بالتحالف معه ومناصرته في قضيته العادلة باسترداد موقعه الطبيعي والمنطقي والشرعي في ولاية أمر الأمة؟.

السبب الأول: أن موقف أبي سفيان كان مبعثه تلك النعرة القبلية العنصرية التي قضى عليها الإسلام وليس الانحياز إلى الحق المجرد مما يفقد المواجهة المحتملة مشروعيتها وتجردها لله عز وجل.

السبب الثاني: أن أبا سفيان بمكره وخبثه ودهائه كان عالما أن مثل هذه المواجهة لن تحسم الصراع الدائر بقدر تعميقها للانقسام الحادث داخل المجتمع الإسلامي وهو ما كان الإمام علي عليه السلام حريصا على منع حدوثه حتى ولو أدى ذلك إلى نزوله عن موقع أراده الله ورسوله له، فها هو أبو سفيان يصرخ ويستصرخ مستحثا إشعال الحريق لا إحقاق الحق (**أما والله إني أرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم .... يالعبد مناف فيم أبو بكر من أمركم أين الأذلان؟..... أين المستضعفان؟..... يعني عليا والعباس ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ثم قال لعلي عليه السلام أبسط يدك لأبايعك فو الله لئن شئت لأملأنها على أبي فصيل خيلا ورجلا فامتنع علي عليه السلام منه**).

من هنا كانت كلمات الإمام علي عليه السلام (وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة) فالأمر من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام هو عقائدي بحت توضع فيه مصلحة الأمة ووحدتها فوق

(١) شرح نهج البلاغة.

كل اعتبار بينما هو من وجهة نظر أبي سفيان رأس الأحزاب قبلي بحت ومن هنا كان استدعاؤه للمفاخرات القبلية والمنافرات العرقية هو أبعد ما يكون عن الاستراتيجية الإلهية التي يمثلها أهل البيت عليهم السلام وهي استراتيجية كانت ولا زالت تتمتع برؤية واضحة للواقع وللمستقبل تلك الرؤية التي هي حجر الزاوية لأي تحرك سياسي صحيح الآن أو قبل أربعة عشر قرناً. ناهيك عن أن تلك الاستراتيجية ترى أن الأهداف النبيلة لا تتحقق إلا بوسائل نبيلة لا من خلال استدعاء ثارات القبلية البغيضة.

لهذا افتتح الإمام عليه السلام خطبته بقوله شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة إنهم أهل بيت العصمة والنبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وغرق»[(١)].

إن النجاة لا يمكن أن تكون إلا في ركوب سفن النجاة لا في مناهج الخبط والتخبط ولا في اتباع من زعموا أو زعم لهم أنهم الراسخون في العلم أو أنهم أئمة ملهمون والله يشهد أن هؤلاء وهؤلاء دجالون وكاذبون.

إن التزام منهج أهل البيت هو الشرط الأول لصحة أي عمل أو تحرك سياسي، أما الشرط الثاني: فهو أن يخلو هذا التحرك من الأهداف القبلية أو العنصرية ناهيك عن الامتناع عن التحالف مع القبليين والعنصريين لكي يكون التحرك خالصا لوجه الله تعالى، أما الشرط الثالث: فهو ضمان فاعلية التحرك إعدادا وتوقيتا؛

---

(١) رواه النسائي.

أما الإعداد «أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح»؛
أما التوقيت «و مجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع في غير أرضه».

وهكذا فسر عليه السلام أن سبب إحجامه عن التحرك في هذا الوقت لم يكن خوف الموت أو القتل فعندما يأتي أوان التحرك لن يكون الدافع هو الحرص على السلطة بل لأن توقيت التحرك نابع من علم ووعي وتكليف إلهي لم يكن قد آن الأوان لإفشائه ولا لإعلانه.

ومن هنا أيضا كانت تلك الفترة منذ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقت خلافته عليه السلام مرحلة من التحرك الهادئ والمتواصل لإعادة الوعي المغيب. ذلك الوعي الذي نجحت القوى المضادة للإمامة القيادة الشرعية والطبيعية للأمة - في تغييبه واستبعاده من خلال اقتناص اللحظة ومحاولة سرقة حركة التاريخ وتحويل مجراها بعيدا عن مسارها الطبيعي والمنطقي، فلا يعود النهر إلى مجراه مرة أخرى وهذا هو منهجهم إلى يوم الدين ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

إذا فامتناع الإمام علي عليه السلام عن اللجوء لاستخدام القوة لم يكن ناجما عن عجز وضعف مطلقين كما يلح ويكرر بعض أنصار الإمام من دون تدقيق كاف وإنما هو امتناع صادر عن وعي وإدراك بظروف اللحظة التاريخية وأن محاولة سرقة هذه اللحظة من قبل أعداء الإمامة هي أشبه ما تكون بماء آجن ما يلبث شاربه أن يخرجه قيئا ودما ولقمة يغص بها آكلها. لا هي سائغة ولا هي قابلة للهضم وإنما تحمل إلى أمعاء آكلها بذور الهلاك والدمار ومزيدا من الغصص.

ذلك المعنى أكد عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فيما رواه عنه المدائني في زمن خلافته «**أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه ﷺ قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ولا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منا لذلك وخشنت الصور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه**»[1].

إذن فمجرد توافر القدرة والقوة لا يبرر استخدامها بصورة تلقائية لاسترداد الحقوق مهما بلغت تلك الحقوق من الوضوح كحق آل محمد عامة وحق علي عليه السلام خاصة فما بالك إذا كانت تلك الحقوق مجرد ادعاءات وافتراءات قبال الأمة كلها لم يقم عليها دليل سوى تقاعس المتقاعسين عن الوقوف في وجهها وتكذيبها وبيان زيفها وبطلانها وما أكثر المدعين والمفترين وحركات الزيف الذين يتصرفون في حق الأمة تصرفهم في أرض مغصوبة وأوقاف منهوبة ويعتبرون أن وضع اليد من دون منازع يكسب تلك الولاية المدعاة شرعية غير قابلة للتنازع إنهم مجموعة من الواهمين حتى ولو خرجوا علينا صباحاً مساءاً بادعائهم بأنهم (كبرى الحركات وأم الجماعات) إلى آخر تلك الافتراءات.

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين . . . . . هذه واحدة،

والثانية . . . . أن يعود الكفر ويبور الدين عندما يرى الناس تلك الصراعات الدامية التي تعجز الكثير من العقول عن إدراك

---

(١) شرح النهج/ج١: ص ١٠١.

كنهها ومعرفة وجه الصواب فيها وهذه نقطة بالغة الأهمية تضاف إلى مجموعة الأسباب التي سبق ذكرها من نبذ العصبية والقبلية كأساس للتحرك والتزام نهج أهل البيت عليهم السلام القيادة الشرعية للأمة الإسلامية.

إذن فالتزام نهج الإمامة، إمامة الحق لا إمامة الزيف والضلال والتضليل من الدجالين. هي شرط أساس لأي تحرك إصلاحي أيا كان نوع هذا التحرك ثقافيا أو سياسيا أو اجتماعيا وأخيرا ما يعرف بالتحرك العسكري. فالله سبحانه لم يترك أمته هملا ولا ترك رعيته من دون راع. . . . . ذلك المعنى الذي طالما أكد عليه الإمام علي شهيد المحراب، ذلك الإمام الحق الذي أنفت تلك الأمة التعسة أن تشرب من عذب مائه واستبدلته بذلك الماء الآجن الذي تحدثنا عنه آنفا ولا زالت تشرب من تلك البرك والمستنقعات وتتداوى بالتي كانت هي الداء كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها!

ترى أمير المؤمنين في غير موضع يؤكد على هذا المعنى ويربطه ربطا مستمرا بقضية الإصلاح والتغيير والتقدم إلى الأمام تلك القضية التي ما زالت متفجرة منذ اللحظة التي استبدلت فيها تلك الأمة الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

شروط أساسية لمشروعية التحرك:

يقول (عليه السلام): **«استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا سيوفكم في هوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة بحق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيدا ووقع أجره على الله واستوجب**

ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلات سيفه فإن لكل شئ مدة وأجلا»[1].

تلك هي الشروط الثلاث لمشروعية أي عمل إصلاحي أو تغييري:

١ - معرفة حق الله والتزام منهجه.

٢ - معرفة حق رسول الله ﷺ والتزام سنته.

٣ - معرفة حق الإمام والإمامة من آل بيت محمد التي هي المدخل الوحيد والصحيح لالتزام النهج الإلهي وكل ما عدا هذا فهو زيف وتضليل وغش وخداع.

إنها ليست قضية مذهبية و(كل شيخ وله طريقة ولله طرائق بعدد أنفاس الخلائق) كما يقول أولئك الدراويش المغيبون عن الوعي. فهناك طريق واحد موصل ومستقيم وكل ما عدا ذلك سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ونحن ملزمون أن نسمي الأشياء باسمها الحقيقي حق وباطل ولكل أهل صواب وخطأ أما أن يلجأ البعض إلى تبسيط المسائل واعتبار أن السكوت عن قول الحق وإظهاره هو نوع من الكياسة والحكمة المتعالية فتلك هي الكارثة الكبرى والنازلة العظمى.

إن حرية الاختيار ينبغي أن يرافقها القيام بواجب البيان والإيضاح ليهلك من هلك بإعراضه عن الحق عن بينة ويحيي من حيي باتباعه الحق عن بينة وتلك هي المقدمة اللازمة لأي عمل سياسي إصلاحي وكل ما عدا ذلك فهو غش وتزييف واحتيال.

---

(١) شرح النهج/ج٣: ص ٢١٩.

وهذا ينطبق على بعض ما يجري على الساحة الآن في كرنفالات السياسة المحلية والدولية والإعلامية من مزج للمتناقضات ومحاولة جمع النوايا المختلفة والأهواء المتشتتة على عمل تغييري واحد والله يعلم أن كل هذا غش وتزييف. ولو كان ذلك ممكنا لتحالف علي بن أبي طالب مع أبي سفيان بلحيته الصفراء فقد جمعهما قاسم مشترك ربما كان أقوى مما يجمع هؤلاء الجهلة والمتزلفون هو الاعتزاز بأصل مشترك ألا وهو الانتماء إلى (بني عبد مناف) في مواجهة خصم واحد ولكن شيئا من هذا لا يفيد في بناء صرح الحق فكيف إذن يمكن لجلسات الفنادق الفخمة وتلك التحليلات السياسية المرتجلة التي تمتلئ بالنفاق أن تحقق أي هدف إصلاحي نبيل؟؟.

ومن هنا أيضا كانت وصية الإمام علي عليه السلام لشيعته ومحبيه وطلاب الحق وأحرار الدين والدنيا في كل زمان ومكان **(اصبروا على البلاء ولا تحركوا أيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم)** فالصبر على البلاء أفضل من التحرك على غير هدى.

ولنرجع إلى الكلمات الفارغة التي اقتبسناها سابقا لنعرف تلك الألسنة والأقلام التي تعشق الكلمات الضخمة الفخمة الفارغة من أي مضمون فقهي وأخلاقي، والتي تجيد دغدغة مشاعر جماهير اللحظة - صاحبة الوعي المغيب منذ قرون - بإطلاق شعارات تدعي احتكار الحقيقة والقدرة على اختراق أقطار السماوات والأرض كهذا الدجال الذي خاطب أنصاره قائلاً **(عندما يكون منكم ثلاثمائة كتيبة طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد)** ثم وقعت الواقعة وأخذ صاحبنا وأنصاره

إلى السجون والمعتقلات من أجل قتل بضعة أشخاص قبل أن يقتحم لجج الترع والبرك والمصارف لا البحار ولا الأنهار وجرى صاحبنا يبحث عن وساطات تنقذ رقبته ولازال أتباعه إلى يومنا هذا يغتسلون بذلّ تلك المواجهة الخرقاء البلهاء ويتفننون في تقديم الاعتذارات الذليلة الكاذبة عن أحداث تلك المواجهة التي كان يخطط لها ذلك الدجال. والتي تحولت إلى مجرد أخطاء فردية وضاعت كل هذه الكلمات الطنانة الرنانة عن خوض لجج البحار واقتحام عنان السماء وغزو كل جبار عنيد، وكأن الرجل كان يخطط لإنشاء قوات جوية وبحرية تخوض عنان السماء ولجج البحار وانتهى الأمر بأن غرق في (شبر ماء) وضاع مع أول هبة ريح وهذا حكم الله فيهم وفي أشباههم إلى يوم القيامة (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف).

و يبقى أن قادة التغيير والإصلاح الحقيقي هم الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا الذين يسبق فعلهم قولهم ....إنهم ليسوا من محترفي السياسة والتنظيمات إياها، وليسوا خبراء في الدعاية الهتلرية الكاذبة إنهم أصحاب ديانة وورع حقيقي **(فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة بحق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات ميتة الشهداء ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلات سيفه).**

الإمام يحذّر الأمة من الوقوع في براثن القادة المزيفين:

لم يترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرصة يشرح فيها للمسلمين واجباتهم السياسية رابطا محنة الأمة بإعراضها عن أولي الأمر الحقيقيين أهل بيت العصمة والنبوة وخلاصها بالعودة إلى

حضن القيادة الشرعية الحريصة على مصالح المسلمين بوعي وعلم ويتكليف إلهي لا على شاكلة أولئك اللصوص الذين يطلبون ما ليس لهم فيقول عليه السلام :

(أما بعد الحمد لله والثناء عليه - أيها الناس فإني فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيري بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة ولا تضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلتم بكم كرائه الأمور لأطرق كثير من المسئولين وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم. إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الريح يصبن بلدا ويخطئن بلدا. ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تفدم بفيها وتخبط برجلها وتزبن برجلها وتمنع درها ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا غير نافع لهم أو غير ضائر بهم ولا يكون انتصاركم منهم إلا كانتصار العبد من سيده والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى. نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم بمن كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكأس

مصبرة لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه)[١].

ربما تخيل القارئ العجول أننا قد خرجنا عن الموضوع وليس هذا صحيحا على الإطلاق. فنحن ما زلنا في صلب الموضوع فقد كانت مواجهة الإمام علي عليه السلام لقوى التمرد عله أو قوى الفتنة وتشخيصه لها ضرورة حتمية فتلك القوى هي التي ستشكل مادة الفتنة المعاصرة التي تعيشها الأمة الإسلامية في عصرنا الحالي وما سبقه من العصور:

١ - قوى الاستبداد السياسي السائرة على منهاج بني أمية.

٢ - القوى الخوارجية التي تتخذ من المزايدة الدينية شعارا لها فهي تقتل باسم الدين وتتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله وأخيرا تسرق وتنهب باسم الدين.

٣ - القوى المتمردة على إمام الحق من آل محمد ..... قوى الضلال والفساد والتحلل من الدين تلك القوى التي واجهها الإمام علي عليه السلام واصفا لهم بالفتنة لا بالكفر ولا بالردة ولا بالجاهلية فهذا وحده هو الضبط التشريعي الصادر عن إمام الحق لا عن أئمة الزيف والضلال.

ثم أُخبر الإمام علي عليه السلام أن هذه الفتنة ستترك الناس قي حيرة إلا من اعتصم بإمام الحق من آل محمد ومن هنا ستنشأ الكثير من الفرق والطرق والجماعات تحت أسماء وعناوين شتى.

---

(١) شرح النهج/ج٢: ١٧٤.

ثم تمتد حلقات الضيق والبلاء حول عنق هذه الأمة المسلمة التائهة وليست الأمة الكافرة ولا المرتدة ولا أي شئ من هذا الهذيان حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم؛

فما هو عنوانهم وسمتهم وشعارهم (نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة) ولا قضاة؛

ثم يأتي الفرج النهائي على يد قائم آل محمد الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه ومخرجه) ولا تحدثني عن أشباه الرجال الذين سماهم أشباه البشر أئمة وقادة ولات حين مناص.

هذا هو النهج الذي ينبغي السير والدأب عليه وهو النهج الذي لو مات صاحبه على فراشه مات ميتة الشهداء .... إنهم بقية الأبرار الذين طلبوا الآخرة ولا شيء سوى الآخرة وستأتيهم الدنيا سعيا.

إذن فنحن أمام حالة من الوعي الراسخ بخريطة الصراع إنه صراع من عمر الأمة والوعي به لا بد أن يكون عمقه بعمق تاريخ هذه الأمة.

شتان بين هذا الوعي الراسخ بحقيقة الصراع بين الحق والباطل وذلك الوعي الانفعالي المستعار كذلك الرجل الذي أفاق من غيبوبة طويلة وقد تغير كل شئ من حوله ولم تكن حتى إفاقته كاملة فانطلق يهذي بكلمات (مين فين مين فين) ثم أمسك بأول من وقعت عليه عيناه محملا إياه التهمة حتى قبل أن يحدد التهمة والجريمة والمتهم!!.

إن تلك الرواية المستقبلية الواردة عن الإمام علي عليه السلام تحمل بين ثناياها إخبارا عن تلك الفرق السياسية والعقائدية والمذهبية التي يجري إنتاجها في ظل تلك التشوهات الهائلة التي تعاني منها الأمة

المسلمة المعرضة عن نهج الحق المقبلة على قيل الباطل تلك الأمة التي ستقع فريسة سهلة في أيدي المستبدين سواء كان اسمهم بني أمية أو كانوا مثل بني أمية الفارق لا يهم.

ومن هنا تأتي أهمية التشخيص الواعي والدقيق لمصائب الأمة. تلك المصائب التي نتجت عن قلة الوعي ولن تحلها أبدا تلك الخطب الجماهيرية الحاشدة ولا أولئك الحمقى الذين جعلوا من قتل النقراشي فرض عين على كل مسلم ومسلمة ولا أولئك الذين اغتال بعضهم بعضا أيا كان انتماؤهم السياسي أو مذهبهم الفقهي

وهي مشكلة لن تحل إلا على أيدي بقية الأبرار منكم ولن يكون هؤلاء إلا من بين من تربوا على مائدة الإمام علي عليه السلام وإذا أراد أحد أن يتحدث عن التربية الأخلاقية والسياسية للحركة الإسلامية فمكانها في مدرسته والعبرة عندنا بالمضامين لا بالعناوين.

المحاذير: الذين طلبوا الدنيا بعمل الآخرة.

إننا وقبل أن نصل إلى نقطة الفصل في هذا البحث تلك النقطة المتعلقة باستخدام القوة وشرعيتها فالضرورة تحتم علينا التوقف عند بعض الظواهر المرتبطة بتركيبة تلك التيارات السياسية (الدينية) والتي تؤثر من دون شك في التوجه النفسي لأعضاء تلك الجماعات ومن ثم في انفعالاتهم وقراراتهم. فهناك ذلك الصنف من البشر ممن طلبوا الدنيا بعمل الآخرة والذين وصفهم علي عليه السلام بتلك الكلمات البليغة الرائعة (**ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية**) إنه صنف من البشر شائع وموجود في تلك التيارات وفي غيرها يطلب الدنيا بصورها وأشكالها المختلفة؛

فهو إما يطلب جاها ورئاسة ينالها بتقديم نفسه في صورة الخاشع الزاهد المجاهد المدافع عن الدين - والله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[1] - ويمكنك أن تميز هؤلاء بإحدى سمتين؛ تثبيطهم عندما يتحتم الإقدام أو مزايدتهم في المواقف التي يتحتم فيها التعقل والإحجام. فهم لا يحتكمون إلى ضميرهم ولا إلى عقولهم قدر ما يحتكمون إلى وعي اللحظة المصلحية لا المصيرية، إنهم أشبه ما يكونون بالمقامرين الذين يكسبون الملايين أو يتسببون في خسارة فادحة لهم ولكل من حولهم وهذا الصنف تراه عادة في طبقة القادة والزعماء.

أما الصنف الآخر الذي يطلب مالا وثروة ووفرة تدرها عليهم ملامح التقوى والورع التي يرسمونها على وجوههم ويزينون بها ملامحهم إنهم أقل خطرا من الصنف الأول (سيد قراره) إنه الممثل القدير الذي قام بتشكيل منحنيات جسمه لتأخذ بعض السمات المصاحبة للوقار الشكلي «قد طامن من شخصه وقارب من خطوه» تصنعا للورع والوقار و«شمر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة» بادعائه العبادة والزهادة و«اتخذ ستر الله عليه» لأن الله سبحانه لم يفضح حقيقته ذريعة وساترا يتخفى فيه من أعين الناس.... ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

وهناك نموذج كارثي آخر لذلك الصنف من الأدعياء قادة مسيرة

---

(١) سورة محمّد، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩.

الكوارث والنكبات الذين كانت معارفهم وخبراتهم دائما في مستوى واقعهم البائس الذين دخلوا منه إلى مسيرة التنظيم ونظرة واحدة على البرامج الثقافية التي كان يتربى عليها هؤلاء الجنرالات تظهر بوضوح كم الضحالة الفكرية التي أنتجت هؤلاء الأماجد أصحاب الدعاوى الواسعة العريضة بأستاذية الدنيا.

ناهيك عن أن مثل هذه الثقافة التي لم تستخلص من النبع الصافي لا قيمة لها وإن وزنت بالأطنان كمثل الحمار حمل أسفارا أو لم يحمل فالنتيجة واحدة.

(وآخر قد تسمى عالما وليس به قد اقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس أشراكا من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آراءه وعطف الحق على أهوائه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول أقف عن الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء فأين تذهبون وأنى تؤفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردهم ورود الهيم العطاش أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ﷺ إنه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام , ألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق

من نفسي فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل إليه الفكر)[١].

إن هذا ولا شك هو حال كثير من الرموز البائسة لتلك المرحلة السابقة والتي ما زال بعضها متواجدا على الساحة إلى يومنا هذا يفكرون ويتصرفون ويمارسون السياسة بنفس الطريقة التي اعتادوا وتربوا عليها في تلك المدارس الهجومية العدوانية التي لم تتدرب يوما ما على التبصر والتعقل ولا قراءة التاريخ القديم ولا حتى المعاصر في العمق **وحتى عندما يقدمون لنا تاريخهم يقدمونه لنا على طريقة حكايات الجدة حول المدفئة حيث (يبدو الجد في صورة شخصية أسطورية عملاقة تقضي على الغول والعنقاء وكان كل شئ يسير في خطه المرسوم لولا اجتماع الدول الكبرى الأربع في فايد وإصدارهم قرارا جائرا بحل الأخوان)** إلى آخر تلك الأساطير التي اعتادوا حكايتها وتناقلها من دون احتياج لمصدر ولا سند. أما عندما تتناول صحافة المرتزقة الحديث عن ذلك التاريخ البائس فهي دائما تحدثنا عن (رموز تاريخيين وأحيانا جغرافيين وربما فكريين) وأئمة وشهداء فمن أين جاء هؤلاء بمعرفتهم وفقههم الفذ؟؟ الإجابة عند أمير المؤمنين علي عليه السلام (قد اقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال) ثم تصدوا لموقع لم يكن يوما ما لهم (فنصبوا للناس حبائل من غرور وقول زور قد حمل الكتب على آرائه وعطف الحق على أهوائه) وانفعالاته . . . . . فهذا الذي حرم من منصب وزير المعارف انطلق ينصب للناس أشراكا من حبائل غرور وقول زور وانطلق يدعو إلى خيانة المجتمع الذي منحه العلم والمنصب والجاه وتقويض بنائه

(١) شرح النهج/ج٢: ص ١٢٩-١٣٠.

باعتباره مجتمعا جاهليا ويااليته اقتصر على إلحاق الأذى بنفسه بل أدى بفكره هذا إلى إلحاق كم هائل من المصائب بذلك الشباب الذي اعتبره رمزا للتمرد على الكفر والجاهلية المعاصرة ويبقى أن المسئولية لا تقع عليه بمفرده بل على أدعياء التقوى والورع من كهنة التنظيم ومن عموم كهنة الحالة الدينية الحالية المزيفين أيا كانت اتجاهاتهم وآرائهم التفصيلية فهم ما زالوا يرون مصلحتهم الدنيوية في مداهنة تلك التيارات الزائفة والثناء المستمر على رموز الزيف والضلال، فمصلحتهم تكمن في بقائهم في ساحة المجاملات وحفلات الاستقبال والتعارف والمهرجانات الخطابية الوحدوية المنشوشة وهم بعد كل هذا أبعد ما يكونون عن الهدى. فهم لا يعرفون باب الهدى ولا باب العمى فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان.... ذاك ميت الأحياء فأين تذهبون؟؟؟ وقد ذهبوا.... وأنى تؤفكون؟؟ والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى.... فبأي آلاء ربك تتمارى؟؟

فأعلام الحق قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة ولماذا أعرض هؤلاء عن نهج آل محمد؟؟ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[1] و(كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق) ويحشرهم ربنا يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما_ بما ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا.

ثم ينبه الإمام علي عليه السلام على أن وعي الواقع لا يأتي من فراغ وإنما من خلال دراسة تاريخ الأمة القريب والبعيد **(و اعلموا أنكم**

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل)[1] .

إنها المقدمة اللازمة لأي تحرك عام يستهدف الإصلاح والتصحيح .... قراءة التاريخ قراءة واعية ومستفيضة.

فإنك لن تعرف الرشد حتى تعرف الذي تركه ولن تأخذ بميثاق الكتاب حتى تعرف الذي نقضه. والواقع يقول أن هذه الحركات قد فرضت على أبنائها وعيا مغيبا أو زائفا بالتاريخ الذي أفضى إلى ما نحن فيه الآن، بل ووقفت موقف الدفاع عن الذين نقضوا وبدلوا وحرفوا وغيروا. رافعين بذلك راية الولاء لسلفهم الصالح الذين كان من بينهم من قتل أبناء النبي وأحفاده وحاربهم ولعنهم على منابر المسلمين أكثر من ثمانين عاما ولا شك أن احترام هؤلاء وتقديسهم يكشف عن منهج ممتد في الذرية (الصالحة لهذا السلف الصالح) فهم يمنعون أتباعهم من قراءة التاريخ مستدلين استدلالا باطلا وزائفا بقوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) والله يشهد إنهم لكاذبون في استدلالهم هذا.

فنحن ومن كانوا على عهد رسول الله ﷺ ومن جاؤوا من بعده أمة واحدة ومن هنا كان دفاعهم وتغطيتهم التاريخية والمذهبية على جرائم وخطايا أسلافهم وامتناعهم المستمر عن إدانة هؤلاء القتلة والمتآمرين سواء من رفع السلاح في وجه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أو الذين أباروا عترته الطاهرة من بعده قتلاً

(١) شرح نهج البلاغة/ج٢: ص ٤٢٩.

وسلباً وتحريقاً ومنهبة، كما تشارك أيسار على جزر. فأنت إذا عايشت هؤلاء لا تسمع لقلبهم حسا ولا ركزا إذا ذكر مصرع الحسين على مسامعهم بل تراهم ينظرون إليك خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي فهم يعلمون أنهم أحفاد هؤلاء القتلة وورثة نهجهم وإن لم يكونوا أحفادا ماديين فهم أحفادهم المعنويين الذين يسعون إلى إعادة أمجاد الخلافة الأموية مع بعض المساحيق والديكور التي تتلاءم مع بعض المستجدات المعاصرة مثل شرعة حقوق الإنسان وهلم جرا.

وحدة الأمة الإسلامية - ركيزة أساسية لأي عمل إصلاحي:

انطلق الإمام علي عليه السلام في مواجهة الظروف والصعاب والمشاكل التي واجهته من ركائز أساسية كان من الضروري الحفاظ عليها. من بين تلك الركائز كانت ضرورة الحفاظ على وحدة الأمة فهو لم يسارع أبدا إلى بدء أي قتال وهو يقدر أن لا يفعل ولا الضرب بسيفه أينما اتفق وكيفما اتفق بل كان حريصاً (سلام الله عليه) أن يستبقي هذه الوحدة قدر استطاعته فعندما عوتب من قبل الخوارج على جعله أجلا في التحكيم بينه وبين عسكر معاوية بن أبي سفيان كان جوابه عليه السلام **(و أما قولكم لم جعلت بينك وبينهم أجلا في التحكيم فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله أن يصلح أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لأول البغي)**[1].

إذن فالعمل العسكري وإن توفرت له كل أسباب المشروعية التي نتحدث عنها الآن لا يعدو أن يكون أداة لحسم ما عجز إعمال

---

(١) شرح النهج/ج٢: ص ٣٠٣.

العقل وتبادل الرأي والتريث والأناة وعوامل الزمان عن ادراكه والوصول إليه ويبقى أن الحفاظ على (وحدة الأمة الإسلامية) هو هدف من الأهداف العليا التي ينبغي استبقاؤها والحفاظ عليه بكل الوسائل والسبل من دون التنازل في نفس الوقت عن المبادئ والقيم الإسلامية العليا.

وتبقى أم القضايا ألا وهي قضية قيادة الأمة الإسلامية تلك القضية التي كانت سببا من أسباب التفرق والتشرذم عندما أعرضت الأمة عن القيادة الشرعية إمام الحق من آل محمد (عليه وعلى آله الصلاة والسلام). إنها إشكالية لن يحلها بأي شكل من الأشكال الانخراط وراء أي قيادة تدعي لنفسها الشرعية وتعتبر أن حصولها على قسط من الجماهيرية هو نوع من البيعة الشرعية فهذا ليس صحيحا على الإطلاق وما أسهل الاستفادة من هذا النوع من الأدلة ودونكم تلك الواقعة التي أوردتها الصحافة عن ذلك النزاع الدائر بين قطبي (الحركة الإسلامية) في السودان عمر البشير وحسن الترابي:

فالترابي هو الشيخ المؤسس والمفكر والمنظر والدكتور. الأول هو رئيس الجمهورية الآن، الفريق حالياً، والعقيد سابقا وتلميذ الترابي وهو من أعطى البيعة لمولاه الترابي ولكن ضرورة حبك مسرحية الاستيلاء على السلطة في السودان وسرقتها من بين أيدي الشعب السوداني (باسم الدين) اقتضت أن يذهب الترابي في أيام الانقلاب الأولى إلى السجن حتى تستقر السلطة والقوة في يد التلميذ الوفي الذي أقسم على المصحف والمسدس هو الآخر. وربما كان هناك تباين في الطقوس بين القاهرة والخرطوم إنه مشهد متكرر في جوهره ثم تبدل الحال ولكن هذه المرة احتاج الأمر في

السودان إلى عشر سنوات قبل أن يحدث الصدام بينما حدث ذلك الصدام في مصر خلال أقل من عامين وفعل الصراع على السلطة مفاعيله بين الشريكين الذين خرجا من بوتقة واحدة ولما وقع الصراع وزج بالمرشد الترابي إلى السجن كما فعل بالمرشد الهضيبي من قبل وهذه المرة سجن حقيقي وجاء الوسطاء (من حكماء الجماعات) الخبراء في انتاج وتصدير هذا الفكر من ولاة أمر الأمة المحدثين وطلبوا من الترابي (الإمام السابق) أن يذعن للبشير (إمام الأمر الواقع) أمام الأمر الواقع وهذا هو فقه تلك الجماعات والتنظيمات (الإمرة لمن غلب) كان رد الفقيه الترابي على الفقهاء غير الترابيين هو الرفض. وكان تعليله لذلك «لست متشددا ولكن وساطة الإسلاميين قامت على أساس إقناعي بضرورة طاعة ولي الأمر في الإسلام وعدم إجراء أي اتصالات إلا بإذن ولي الأمر وهذا غير صحيح!!! مضيفا أن هؤلاء العلماء كانت آراؤهم غريبة وهم على حد قوله لا يفقهون أحكام العلاقات الدولية في الإسلام وتقتصر معرفتهم على الأحكام الفقهية»[1].

هذا هو رأي الفقيه الترابي في الفقهاء غير الترابيين فهم لا يفقهون في أحكام العلاقات الدولية في الإسلام وتقتصر معرفتهم على الأحكام الفقهية يعني كلهم فقهاء حيض ونفاس أما هو فهو علامة عصره وواحد زمانه فمن أراد العلم والحكمة فليأتها من بابها وليذهب إلى حسن الترابي رجل الانقلابات التي تقطع بعلمه وفقهه وأمانته مع شعبه المجني عليه وإذا كان هذا هو رأيه فيهم فيا ترى ما هو رأيهم فيه.

---

(١) الأهرام ٣١-٥-٢٠٠١.

لا شك أننا وبعد كل هذا الغثيان نحتاج أن نعرف لمن نلجأ وبمن نستغيث؟؟ نستغيث أولاً بالله وبرسوله ثانياً - ثم ندخل إلى العلم والدين من الباب الذي أمرنا به (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها).

فلنذهب مرة أخرى إلى الإمام علي عليه السلام وهو يُعلّم الأمة من هو أولى بالإمامة وأحق بالقيادة **(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك)** تلك هي معالم المهمة المنوطة بأئمة الحق لا منافسة في سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ولكن لتظهر حقائق الدين ويتحقق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي في الأرض؛ فيأمن المظلومون من عباد الله ويقتص من الظالمين وتقام حدود الله المعطلة.

ولكن ما هي المؤهلات التي تمكنه من القيام بهذه المهام **(إنه أول من أناب وسمع وأجاب إنه السبق إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هذه واحدة).**

والثانية: أن يكون هذا الإمام مترفعا عن أموال المسلمين فلا يكون موسوما بالبخل فيكون في مال الله نهمته ورغبته في جمع تلك الأموال.

ولا يكون الإمام جاهلا فيضلهم ولا جافيا قاسيا مستبدا عنيفا ولا الخائف للدول ضعيف القاعدة الشعبية المتوجس من المؤامرات الداخلية والخارجية فيتخذ قوما دون قوم أي يمالئ قوما من أجل

مساندته والوقوف معه في وجه الآخرين ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة بإضلالها)[١].

الإمام علي عليه السلام ومشروعية استخدام القوة.

نعتقد أن القتال في سبيل الله هو مواصلة للجهاد بوسائل عسكرية وهو الوجه الآخر للمقولة المشهورة (أن المفاوضات إنما هي استمرار للقتال بوسيلة أخرى) ونعتقد أيضا أن الجهاد في سبيل الله إنما هو مفهوم واسع وشامل يشمل المساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالإضافة إلى الجوانب العسكرية بكل تأكيد.

هذا هو معنى الأثر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عن علي عليه السلام (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس) وهو المعنى الذي رفضه مؤسس جماعة الأخوان بقوله (**شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهادا أكبر هو جهاد النفس وكثير منهم يستدل بذلك بما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الأثر وذكر النص ثم** قال وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله وهذا الأثر ليس بحديث على الصحيح)[٢].

ونحن نعتقد بصحة المعنى سواء صحت الرواية أم لم تصح. ومعنى الجهاد الأكبر يمتد ليشمل كل دوائر الجهاد في سبيل الله فكريا

(١) شرح النهج/ج٢: ص ٣٧٨.
(٢) رسالة الجهاد.

وعقائديا وسياسيا واجتماعيا وأخلاقيا ولو كانت هذه الجماعات التي انطلقت لتحطم وتدمر وتواجه وتقتل تمتلك فهما صحيحا لما حولها لما آلت أمورها إلى ما آلت إليه الآن ولما توالت الاعتذارات الذليلة التي قدمتها الجماعة الأم والجماعات الأبناء، الذين تباروا في تقديم ما سمي بمبادرات وقف العنف وكلها صور مختلفة لانسحاب ذليل كنا ننزههم عنه. ولكنه الاندفاع اللاواعي وراء غرور القوة الموهومة هو الذي دفع الإمام الشهيد الملهم لإسقاط الرواية وعدم الاعتداد بها باعتبار أن الجيش الإسلامي كان جاهزا للانطلاق ولا مبرر لإيقافه من أجل مناقشات غير ضرورية وهو نفس الحال الذي عانت منه الجماعات الأبناء في انطلاقتها البائسة اليائسة التي حدثت في نهايات القرن الماضي حيث لم يكن أحد مستعدا (لإيقاف مسيرة الجهاد) من أجل مراجعة المنطلقات لأن جيش الجهاد المظفر كان قاب قوسين أو أدنى من اقتحام مقر قيادة الأعداء!!.

يبقى في تقديرنا أن القتال العسكري هو الجهاد الأصغر حتى في مواجهة العدو الصهيوني. لأنه أي القتال مجرد جزء من منظومة أكبر هي منظومة القوة. ونظرة واحدة على واقع المسلمين من حولنا تقطع بما نقول، فالمسلمون لا يعانون من قلة عددية ولا من قلة الحماس والرغبة في الاستشهاد وهم الذين يقدمون أنفسهم يوميا قرابين في عمليات استشهادية ولكن الثابت أن مجمل أوضاعهم الاقتصادية والسياسية والتقنية لا تساعدهم على حسم الحرب الدائرة بينهم وبين أعدائهم ونحن نتحدث عن الحسم لا عن استمرار المواجهة. ومن هنا تبرز أهمية الجهاد الأكبر في إصلاح أوضاع الأمة والنهوض بها في كل الاتجاهات والنأي بها عن القفز إلى

المجهول كما أراد إخواننا وفشلوا والحمد لله. أن هذه العقليات تفشل باستمرار في اعتلاء سدة الحكم وإلا تضاعفت الكارثة.

نقول أيضاً: لو أفلح المسلمون في تغيير مجمل أوضاعهم لما استمرت إسرائيل تحتل أرضهم طوال هذه المدة وهي مرشحة للاستمرار في هذا الاحتلال إلى زمن يعلمه الله ونقول أيضا لو نجح المسلمون في تغيير مجمل أوضاعهم وإيجاد تلك القوى المؤهلة لإحداث هذا التغيير من خلال العمل على المحاور الفكرية والثقافية تجديدا للمشروع الإسلامي وتخليصا له من تلك الخزعبلات الفكرية التي التصقت به وشوهته منذ العصر الأموي لتغير وضعهم وحالهم إلى أفضل حال.

القفزة الأخرى في فكر تلك الجماعات هو تبنيهم لأطروحة النسخ في آيات الجهاد. وهي أطروحة لم يتفردوا بها ولكنهم استخلصوها وانتقوها من بين ثنايا المدارس الفكرية المختلفة انطلاقا من حالة نفسية وعدوانية متوثبة تتلهف للاستيلاء على السلطة وإنجاز مهمة إقامة دولة الجماعة في أقرب فرصة ممكنة. ومن هنا لم يكن عجيبا أن يطرح السؤال عن استخدام القوة على قادة ومؤسسي تلك الجماعات في النصف الثاني من ثلاثينات القرن الماضي بعد عشر سنوات فقط من إنشاء الجماعة الأم فكان جواب المؤسس نعم سنستخدم القوة المسلحة عندما يتوفر لنا ثلاثمائة كتيبة أو اثني عشر ألف مقاتل أخواني ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة فهل حقا أصبحت المواجهة العسكرية بين الإسلام والكفر هي الشأن الدائم كما استشهد سيد قطب بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا

يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[1] وأن آيات سورة التوبة نقضت كل عهد بين المسلمين والمشركين بنص قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾[2].

أولاً: فمن ناحية العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم أو بين المسلمين والمشركين فالقرآن الكريم لم يُبح نقض العهد مع هؤلاء المشركين بصورة عامة. وكما يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان آيات سورة التوبة (ولم يبح نقض العهود والمواثيق إلا فيما يبيحه حق العدل وهو أن ينقضه المعاهد المقابل نقضا بالبغي والعتو أو لا يؤمن نقضه لسقوطه عن درجة الاعتبار وهذا مما لا اعتراض فيه لمعترض ولا لوم للائم فأجاز نقض العهد عند خوف الخيانةو **لم يرض بالنقض من غير إخبارهم ولا اغتيالهم وهم خائفون** فأوجب أن يخبروهم بالنقض المتقابل احترازا من رذيلة الخيانة ثم **استثنى سبحانه الموفين بعهدهم من المشركين فقال إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم...** وقد علل الاستقامة بأنها من التقوى لأن الله يحب المتقين.

أما النقض الابتدائي من غير نقض من العدو المعاهد فلا مجوز له في هذا الدين الحنيف أصلا وعلى ذلك جرى عمل النبي ﷺ أيام حياته فقد عاهد بني قينقاع وبني قريظة وغيرهم من اليهود ولم ينقض حتى نقضوا وعاهد قريشا في الحديبية ولم ينقض حتى نقضوا وأما النقض من غير نقض فلا مبيح له من الإسلام وإن كان الوفاء مما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة التوبة،الآية: ٧.

يفوت على المسلمين بعض منافعهم ويجلب إليهم بعض الضرر وهم على قدرة من حفظ منافعهم بالبأس والقوة أو أمكنهم الاعتذار ببعض ما تصور لهم الحجة ظاهرا وتصرف عنهم اللوم والعذل فإن مدار الأمر على الحق والحق لا يستعقب شرا ولا ضرا إلا على من انحرف عنه وآوى إلى غيره)[١].

إذن فالاستقرار في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو الأصل الثابت والشأن الدائم لا كما يقول هواة القتال اللفظي أي السلام ولا يضيرنا أن كلمة السلام قد أصبحت سيئة السمعة من كثرة ما استخدمها الصهاينة والعرب المتخاذلون. فإسرائيل ليست كل العالم ويبقى أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام والاستقرار وتبادل المنافع ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾[٢] ويبقى أيضا أن القتال والمواجهة بين المسلمين وأعدائهم هو الاستثناء الذي نقدم عليه كارهين لحفظ مصلحة أعلى وأكبر لم يعد ممكنا الحفاظ عليها عبر الوسائل السلمية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

فمن أين إذن جاء سيد قطب بفقهه الجهادي وإلى أي مذهب أو مدرسة فقهية استند الرجل في إعلانه الحرب على ما أسماه بالجاهلية المعاصرة عندما قال: (والذي يدرك طبيعة هذا الدين يدرك حتمية

---

(١) تفسير الميزان/ج٩: ص١٩٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم من اصطلاح الحرب الدفاعية).

(وكما أسلفنا فإن قاعدة الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة وهذه كلها التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة).

ثم يقرر سيد قطب لنفسه وجماعته حق إعلان الحرب فيقول **(وحيثما وجد التجمع الإسلامي الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطة وتقرير النظام مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان. . - هذه الركاكة من عنده - . . . فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد فهذه مسالة خطة لا مسألة مبدأ مسألة مقتضيات حركة لا مسألة عقيدة)**[1].

هكذا تكلم سيدنا قطب وأعلن بما لا يدع فرصة للقيل والقال وكثرة السؤال المبادئ التالية.

١ - حيثما وجد التجمع الإسلامي الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي وقد وجد والحمد لله بوجود جماعة الأخوان وفي رواية ثانية بوجود تنظيم الجهاد وفي رواية ثالثة بوجود الجماعة الإسلامية وفي رواية رابعة بوجود جماعة المسلمين المسماة بالتكفير والهجرة ناهيك عن وجود تنظيم للقطبيين الأصفياء الأوفياء الذين ينفون عن منهج سيد قطب غلو الغالين وتقصير المقصرين!!.

---

(١) معالم في الطريق - باب الجهاد ص٩١.

٢- عندما يوجد هكذا تجمع فإن الله تبارك وتعالى يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام!!.

٣- هل منحهم الله تبارك وتعالى هذا الحق؟؟ هم يدعون ذلك وعليك أن تنحني إجلالا لكل ادعاءاتهم وتبايع وتشايع وتسمع وتطيع ثم تضيع لا يهم فهناك عفو رئاسي وهناك عفو سياسي وهناك عفو صحي وهناك عفو مولد النبي وهناك مبادرات إيقاف العنف إنهم دائما صادقون وإذا أردت أن تتأكد من صدق أو كذب ادعاءاتهم كل ما عليك أن تقدم نفسك شهيدا على خطى سيد قطب وعندما تعود تخبرنا والمشكلة أنه لم يرجع أحد ممن ذهبوا حتى الآن!!!.

إذن فجماعة الأخوان هي الأخرى تقول بالنص الإلهي على جماعتهم من غير إيراد نص واحد يفيد صحة هذا الإدعاء ولا ذكر واقعة واحدة تدل على ذلك ولا حتى الادعاء بأن رسول الله ﷺ قد جمع المسلمين وقال لهم (من كنت مولاه فحسن البنا مولاه) أنهم كالشيعة الذين يعتقدون بالنص الإلهي على إمامة أهل البيت مع فارق بسيط ولكنه جوهري للغاية وهو أن الشيعة لديهم مئات النصوص من السنة النبوية المطهرة التي تنص على ذلك ولكنها وللأسف الشديد لا يمكنها أن تزحزح هؤلاء عن معتقداتهم التي ورثوها عن الآباء والأجداد فلماذا إذن يتهمون هؤلاء الآباء والأجداد أنهم قد انحرفوا عن صحيح الدين وارتدوا وباتوا يعيشون في جاهلية معاصرة؟؟.

ولذا فقد أثار استغرابي الشديد ما ادعاه سيد قطب من أن الله تبارك وتعالى منح الجماعة إياها حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام وكيف تقبلّ هؤلاء الرافضون لإمامة أهل

البيت بالنص الإلهي هذا الكلام الفارغ الجريء؟ لا لشيء إلا لأنه يوافق أهواءهم ونفسياتهم المريضة ولأن رفضهم لإمامة أهل البيت عليهم السلام لم تكن من القبيل الحرص على مبدأ الشورى وحق الجماهير في حكم أنفسها وإنما رُفضا للاستقامة والسير على طرق السلامة وإيثارا للأهواء المريضة: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(١).

لم يفت سيد قطب أن يسبغ على كلامه مسحة من التسامح والتواضع المفتعل فيسوق تلك العبارة الركيكة (مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان) ثم وينهي تلك الفقرة الديماجوجية بتقرير هام وهو أن الأصل عنده هو سفك الدماء وأن كل ما عدا ذلك فهو استثناء **(فالكف خطة لا مبدأ ومقتضيات حركة لا مسألة عقيدة)**.

ولا شك أن إعادة نشر هذا الكلام عام ١٩٩٩ على يد واحد ممن يفترض فيهم أنهم من الأخوان المعتدلين المستنيرين (سالم البهنساوي) يكشف أن كف هؤلاء أيديهم عن دماء المسلمين هو أيضا (مسألة خطة لا مسألة مبدأ ومقتضيات حركة لا مسألة عقيدة). وأن كل ما قيل أو يقال عن تحولات سلمية في إطار تلك التنظيمات وتحت رعاية هذا الصنف من القادة لا يعدو أن يكون ذرا للرماد في العيون التي كادت أن تفقد بصرها بصورة نهائية من كثرة التزييف والتضليل الذي يمارس ضدها؛ وربما كان ذلك النشر والتلميع متفقا مع الحملة التي يقوم بها أعضاء الجماعة وسماسرة الصحافة لتسويق

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

الأخوان ديمقراطيا والتأكيد على أن الجماعة قد اتخذت خطا ديمقراطيا ونبذت كل أنواع العنف.

والسؤال هو كيف استطاع منظرو تلك الجماعات تنزيل تلك النصوص على واقع المسلمين الراهن سواءاً كانت آية السيف ناسخة أم منسوخة وسواءاً كان نقض العهود مع الكفار أمرا جائزاً أم غير جائز وسواءاً كان الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم ممن جرى وضعهم جميعا في خانة الأعداء هو السلام أو المواجهة والقتال. فنحن أمام مبحث فقهي بالغ الدقة ولا بد من ضبط المصطلحات والأحكام فكيف جرى بث ذلك الخلل والفوضى على تصور المسلمين لتلك القضية؟؟.

نقول: إن تلك القفزة أو النقلة جاءت من مصدرين:

١ - إعراضهم عن دراسة وقراءة تاريخ أهل البيت عليهم السلام وأولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم باقي الأئمة من بعده وهم كانوا قادة المعارضة وطليعة التغيير في العالم الإسلامي وهو ما يحتم دراسة تجربتهم التي هي جزء جوهري وأصيل من تاريخ الأمة يُلقي ضوءا على الطريقة المثلى في التعامل مع المشاكل الحادثة في العالم الإسلامي في مواجهة الحكومات المنحرفة والجائرة والمستبدة.

٢ - الأمر الثاني حدث نتيجة إعراضهم عن هذا التراث وتداويهم بالتي كانت هي الداء فلم يجد هؤلاء أمامهم إلا الأطروحة التكفيرية وتقسيم حركتهم إلى مرحلة مدنية ومكية ومرحلة بناء عقيدة ومرحلة نزول أحكام. والثابت أنه لا مجال لتكرار هذا التسلسل مرة أخرى إلا في إطار استعادة وإحياء مبادئ التكفير

وهو ما حدث بالفعل ونظرةً واحدة على ما اقتطفناه في هذا البحث من أقوالهم تثبت هذا الكلام ناهيك عما تركناه.

إياك والدماء:

لم يكن يأت استنكارنا لذلك المنهج الدموي الانفعالي الذي قرره واستخدمه أولئك العشوائيين من منطلق يرى - أن ليس في الإمكان أبدع مما كان - وإنما من إدراك لخطورة التسرع والتعجل في إطلاق الرصاص من دون مبرر كاف ومن دون صبر أو أناة في استخدام الوسائل السلمية والسياسية كأداة من أدوات التغيير. ومن هنا كانت وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه) **(إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه لا شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم)**[١].

إننا نهدي هذا الكلام لشباب الحركة الإسلامية الذين ربما صادفهم ذلك الصنف من الزعماء الذين قادوا أتباعهم طيلة السنوات الماضية نحو الكوارث والنكبات وربما قالوا لهم هذا فلان لا يحكم

(١) شرح النهج/ج٤: ص ١٥١.

بما أنزل الله وهذا كذا وذاك كافر زنديق الخ الخ.

ولا شك أن الأمة الإسلامية تستحق أفضل من هذا البلاء الذي تعيش فيه الآن ولكننا نقول لهم أن هذا الهدف النبيل الذي هو إقامة الحكومة الإسلامية الصالحة لا يستلزم بالضرورة سفك الدماء ولا حمل السلاح وإنما يتطلب في الأساس العمل السياسي الجاد بناء لوعي الأمة محفّزاً لإرادتها على رفض الظلم وإقامة العدل فالنظم السياسية تحتاج دائما إلى رضى الجماهير وتعاونها مع هذا النظام أو ذاك. ويوم أن يفقد أي نظام في العالم مهما كان بطشه أو جبروته ذلك الرضى والتعاون فإن أيامه في السلطة تصبح معدودة، لأن البطش والطغيان سواءاً كان من الحكام أو من المحكومين له مردود عكسي... إنه لا يجلب القوة ولا الاستمرار ولا الاستقرار كما يتوهم الجبارون والمتعجلون والمتلهفون على إطلاق الرصاص بل هو يزيل النعمة وينقص المدة ويخصم من رصيد القوة.

لماذا قاتل علي بن أبي طالب طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ثم قاتل الخوارج من بعدهم؟؟.

نقول أولاً: أن الإمام علي عليه السلام لم يبدأهم بقتال وتمهّل طويلا قبل أن يعطي الأذن ببدء هذا القتال مع أي طائفة ممن خرجوا على إمرته وأفسدوا في الأرض ظلماً وعدواناً وقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة أن أصحاب علي عليه السلام وقد استبطئوا إذنه بحرب أهل الشام فأجابهم عليه السلام: **(أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت أم خرج الموت إلي وأما قولكم ـ شكا ـ أي أنه عليه السلام كان متشككا في وجوب قتال أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي**

بي وتعشو إلى ضوئي وذلك أحب إلي من أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بإثمها ولكني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة فإن رسول الله ﷺ قال لي يوم خيبر لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس)[١].

أما مشروعية قتال هؤلاء (المسلمين) فكانت بوصية من رسول الله ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي بن أبي طالب ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله قال أبو بكر أنا يا رسول الله قال لا قال عمر أنا قال لا ولكن خاصف النعل)[٢].

وعلى هذا الأساس قاتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام لقطع دابر الفتنة التي أحدثوها في المجتمع الإسلامي وهي فتنة لا تزال آثارها ممتدة إلى يومنا هذا.

عن أبي أيوب الأنصاري قال: (أمر رسول الله ﷺ عليا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)[٣].

إذن فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يشعل حربا برأي من عنده ولا دخل حربا كان بإمكانه تجنبها وحتى عندما دخل هذه الحروب فهو لم يكفر أحدا ولم يسب ولم يسلب ولم يغنم. بل إن

(١) شرح نهج البلاغة/ج١: ص ٣٤١.
(٢) النسائي - المستدرك - مسند أحمد بن حنبل.
(٣) المستدرك على الصحيحين.

أهل البيت عليهم السلام (ورثة علم رسول الله (صلى الله عليهم أجمعين) لم يبيحوا الغدر ولا الاغتيال كما فعل كهنة المعبد من جماعة الأخوان الذين أباحوا لأنفسهم تكفير معارضيهم والحكم بخيانتهم ثم الغدر بهم واغتيالهم في وضح النهار على مرأى ومسمع من النساء والأطفال كما فعلوا مع القاضي الخازندار والواقعة التي تعرض لها مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) أشهر من أن تحتاج إلى إسناد فقد كان متمكنا من اغتيال عبيد الله بن زياد اللعين الذي قتل أبا عبد الله الحسين عليه السلام فيما بعد عندما ذهب لزيارة هانئ بن عروة ولكنه امتنع عن ذلك وأطلق مقولته الشهيرة: نحن أهل بيت لا نغدر وقد حرم الإسلام الغدر والخيانة بكل صورها فهل يعقل تلامذة محمود الصباغ أو تلامذة سيد قطب الذي كان يحلم أن يكون جيفارا الأخوان وأن يشعل حربا كونية بين الإسلام والكفر حسب تصوره الساذج ويقف هو على قمة جبل الجماجم يتأمل ما بقي من حطام الأمة.

الشيء الآخر المؤسف أن الواجب على عقلاء الأمة وحكمائها وعلمائها أن يتصدوا لهذا السخف والعته بالدرس والتحليل والتأصيل الفكري الذي لا يقدر عليه إلا أناس متجردون.

لا هم من أذناب السلطة أي سلطة ولا الطامعين في ذهب المعُزّ ولا الخائفين من سيفه ولا هم ممن تكرست ذيليتهم لهذا الفكر المنتفخ واعتادوا الجلوس على منصة المتحدثين من دون أن يحققوا لأمتهم ولا لدينهم أي إنجاز حقيقي سوى استمراء الكذب والغش والخداع والتزييف وتجارة المذكرات السياسية وأدعياء البطولات الوهمية، لأن الناس لو اكتشفوا حقيقة أن هؤلاء قد باعوا لهم الترامواى وأن كل هؤلاء الأماجد ليسوا إلا مجموعة من أخطر دجالي آخر الزمان لقامت قيامة هؤلاء .....

هل بقى عند هؤلاء السادة شيئا يبيعونه أو حتى يقولونه؟؟

لماذا لا تتركونهم يتكلمون باستمرار وإني على يقين أنهم لو تُركوا يتكلمون باستمرار لانتهت بضاعتهم بعد بضعة أسابيع في أفضل حال؟؟

لماذا تصرّون على جعلهم شهداءاً ومظلوميناً ومقهوريناً؟ اتركوهم ليطرحوا بضاعتهم الكاسدة ولكن افتحوا الأبواب للنور الإلهي الذي سيقتل كل أنواع الجراثيم والطفيليات والحشرات الضارة ويجعل من بقائها في النور أمرا مستحيلا.

ولكن لماذا كل هذه الضجة التي نقيمها؟؟

إنهم بخير

وجيوبهم عامرة

وصورهم تنشر في الصحافة والتلفاز،

وذكرياتهم، لا.. مذكراتهم تباع وتشترى بالدنانير والريالات

إنهم رجال المرحلة،

إنهم رجال مرحلة ولّت وانقضت.

ولكنني على يقين أن هؤلاء هم آخر رجال آخر مرحلة من الغش والخداع والدجل والتزييف.

الدكتور أحمد راسم
النفيس
المنصورة مصر
٩-٧-٢٠٠١
١٨ ربيع الآخر ١٤٢٢

الفهرس

الموضوع الصفحة

من أسس لثقافة العنف

الجزء الثاني: مدرسة أهل البيت وفقه التغيير

التنفيذ الطباعي: دار القماطي للطباعة
٠١\٤٥٠٤٦٧_٠١\٤٥٠٤٥٤ ـ بيروت, لبنان


تراث للتجليد والتجارة
سليمان مهدي - تلفون ٤٤٥٣٤٥٦(٠١)







حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com